المجلة اللغوية

كلية اللغات والترجمة

العـــدد (الأول) ديـــسمبر 2019

Issue (The First) December 2019

مجلة علمية محكّمة نصف سنويّة

تصدر عن كلية اللغات والترجمة بجامعة الزيتونة. ترهونة

هيئة المجلـــــة:

د. عزالدين سلطان الباشير

المشرف العام

د. محمد عبد الصادق محمد

رئيس التحرير

د. أحمد علي أحمد الشيباني

مدير التحرير

أسرة التحرير

د.عبد الحكيم محمد بلعيد عضـــــوا

د.سالم خليفة الجـــوادي عضـــــوا

د.عبد العظيم علي الواعر عضـــــوا

د.حنان الصغير أبوالقاسم عضـــــوا

المجلّـــــة اللُّغويـــــة

مجلة (المجلة اللغوية):

مجلة علميّة محكّمة نصف سنوية تصدر عن كلية اللغات والترجمة بجامعة الزيتونة، تقوم بنشر الأعمال البحثية للباحثين وفق المعايير العلمية، وكذا وفق قوانين إصدار ونشر الدولة الليبية.

أهداف ورسالة المجلة:

مِن أهم أهداف ورسالة المجلة الرقي بمستوى البحث العلمي، نشر أعمال متخصصة تراعي إتباعها لقواعد النشر العلمي، الإسهام في نشر ثقافة البحث العلمي وتنشيطه، إظهار الجهود العلمية للباحثين والدارسين ونشر بحوثهم.

شروط النشر في المجلة:

- يشترط أن تكون البحوث العلمية المقدمة للنشر معدة وفق مناهج البحث العلمي من حيث الشكل والمضمون.
- ألاّ تكون المواد المقدمة للنشر قد سبق نشرها.
- ألاّ تزيد عدد صفحات البحث المقدم للنشر عن (25) صفحة، ومطبوعًا ببنط (12) وتُرسل نسخة مطبوعة وأخرى محفوظة بقرص مدمج (CD).
- أن يكتب على البحث اسم الباحث ثلاثيًا وكذلك جهة عمله وعنوانها والبريد الإلكتروني.
- أن يكون توثيق المراجع داخل البحث بنظام **(APA)** بحيث يشار إلى التوثيق في نهاية الفقرة، فيكتب الاسم الأخير وسنة النشر ورقم الصفحة داخل قوسين، وتكون قائمة المراجع في نهاية البحث وفق هذا النظام.
- أن يكون الخط **(AL-Mohanad Bold)**للبحوث المكتوبة باللغة العربية، وخط (**Times-New Roman**) لبحوث اللغة الانجليزية، وبمسافة بين الأسطر (1.15سم).
- تقبل البحوث العلمية المكتوبة باللغة العربية والانجليزية والفرنسية، ويشترط إرفاق بحوث اللغتين "الانجليزية والفرنسية" ملخصًا باللغة العربية لا يتجاوز (200) كلمة.
- تخضع البحوث العلمية المقدمة للنشر في المجلة للتقييم العلمي واللغوي.
- يخضع البحث المقدم للتقويم السري لبيان صلاحية نشره من عدمها ولا يُعاد البحث لصاحبه إذا لم يُقبل و تقدّم أسباب رفضه للباحث.
- تؤول جميع حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشر البحث أو أجزاء منه في أيّ مكان آخر بعد نشره في المجلة إلا بإذن كتابي من هيئة المجلة.

خطـــــوات التحكيم:

تعدّ عملية التحكيم عملية مهمة لضمان جودة البحوث، ومدى صحة المعلومات الواردة فيها، ولا تنشر في المجلة إلّا بعد موافقة لجنة التحكيم والتقويم، وقد قرّرت لجنة المجلة أنْ يدفع كل مَن يريد نشر أيّ بحث في المجلة مبلغا وقدره (50د.ل) عن كل بحث نظير تحكيمه مِن متخصصين قبل النشر ، وهذا المبلغ غير قابل للاسترجاع في جميع الأحوال .

عناوين المراسلة :

جميع المراسلات المتعلقة بالمجلة ترسل على العنوان التالي:

- مقر كلية اللغات جامعة الزيتونة- سوق الأحد، ترهونة ليبيا.
- إيميل مجلة كلية اللغات والترجمة: Languagesfaculty2019@gmail.com
- أو الاتصال على رقم الهاتف : 0927017738 / 0919008502

تنـــويـــــــــه:

إنّ كافـــة الآراء والأفكـــار والمعلومـــات التـــي تنشـــر بأســـماء كُتّابهـــا تعبـــر عـــن وجهـــة نظـــر أصـــحابها ولا تمثـــل وجهـــة نظـــر هيئـــة تحرير المجلة.

المجلة اللغوية بكلية اللغات و الترجمة، جامعة الزيتونة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد الأول/ ديسمبـــر 2019

المحتويات

ر.ت	المحتويـــــــات	الصفحة
-1	المقارنة بـ(أفعل) التفضيل وأثرها في الاتساق الشكلي للنص، دراسة نصية من خلال بعض الشواهد القرآنية. د. أحمد علي أحمد الشيباني د. محمد امحمد سالم عبد الله.	18 -1
-2	اقتران الأضداد من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، (استبرق وسندس – انموذجا). د. نجمة خليفة عطية.	32 -19
-3	الوجوب والتأويل النحوي عند بدر الدين العيني من خلال كتابه: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري . د. عبد العظيم علي محمد الواعر.	51 -33
-4	القصة في الشعر الليبي. د. نورية سعد سالم.	75 -52
-5	أثر الصوائت القصيرة في توجيه المعنى النحوي في التركيب الواحد د. منى البشير محمد علي.	93 -76
-6	التغير الدلالي في المصطلح البلاغي عند الخطيب القزويني في الإيضاح. دراسة في الدلالة والمصطلح " مصطلح الطباق نموذجا" . د. أميمة علي طالب جمعة.	104 -94
-7	آراء الجُزولي من خلال شرح الرضي علي الكافية. د. الصادق سالم حسن عبد الله.	115 -105
-8	البعد الغائب من فهم الثقافة الإسلامية. د. عمار مفتاح البصير.	124 -116
-9	الوقفات التفسيرية في كتاب التبيان في إعراب القرآن للعكبري. د. سالم مفتاح علي امبـارك.	143 -125
-10	جانب من الفقه التحليلي: دراسة تحليلية نموذجية. د.عبد الله الدوكالي علي معتوق.	170 -144
-11	**The integration of authentic materials within the Libyan evolving EFL curriculum (principle and priorities).** Dr.Abdulhakim M. Belaid.	185 -171
-12	**Reviewing some second language acquisition theories behind learning and teaching grammar.** Dr.Aduslamam S Tantani.	198 -186

الكلمة الافتتاحية

السادة القراء الكرام ،،،،

يسعدني أنْ أضع بين أيديكم العدد الأول من "المجلة اللغوية" راجيًا من الله - عز وجل- التوفيق والسداد؛ لتحقق هذه المجلة رسالتها السامية وغايتها المنشودة، والتي أردنا بها أن تكون إضافة جديدة لهذا الصرح العلمي، ما يسهل على المهتمين من الباحثين والنقاد نشر جهودهم العلمية وأبحاثهم المبتكرة... كما نسعى من خلال إنشائها خدمة المثقفين من أبناء هذا الوطن، لعلهم يجدون فيها ضالتهم فينهلون من معينها، خدمة للوطن الذي يتوق إلى مثقفيه الذين يحملون على عاتقهم رسالة العلم والحضارة، والمثقف الذي يحتاجه المجتمع اليوم هو مثقف غير مستلب ولا مستنسخ ولا تابع، بل هو مثقف جامعي يتحمل مسؤولية تجاه وطنه بدرجة أكبر من بقية المثقفين؛ لأنه هو من يصنع رجال المستقبل وينشيء الركائز الأساسية في كل مجال من مجالات التقدم والارتقاء، وتظل مهمته مستمرة ورسالته الوطنية والأخلاقية متميزة، وتبقى الكتابة العلمية لبنة حضارية يسهم بها صاحبها في بناء صرح الوطن، ويُخلَّد بها في تاريخه ومآثره، يقول الشاعر:

وما من كاتبٍ إلَّا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه.

وأخيرًا أتمنى وزملائي أنْ تلقى هذه المجلة اهتمامًا كبيرًا وأنْ تنال مكانة مرموقة بين البحاث والمثقفين.

رئيس التحرير

المقارنة بـ"أفعل" التفضيل وأثرها في الاتساق الشكلي للنص "دراسة نصية من خلال بعض الشواهد القرآنية"

د. أحمد علي أحمد الشيباني، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الزيتونة
د.محمد امحمد سالم عبد الله، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الزيتونة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فاللغة وسيلة للاتصال والتواصل بين البشر، وأداة للتعلم والتفكر، يعبر بها المتكلم عما يدور في عقله من معارف وعلوم وأفكار، وما يجول في صدره من خواطر وأحاسيس وأسرار، كما أنها ديوان يحفظ تراث الأمة، وما هي عليه من علم وتقدم وازدهار، أو جهل وتأخر وانحدار؛ لذلك كله كانت موضع اهتمام العلماء والباحثين عبر القرون عند مختلف الأمم والشعوب، واللغة العربية واحدة من هذه اللغات، إلاَّ أنها نالت اهتماما أكبر مما سواها من اللغات؛ لارتباطها بكتاب الله – تعالى – الذي كتب لها الحفظ من التفسخ والضياع، وجعل لها من الخصوصية ما أغرى أهلها وغيرهم للتعلق بها، ودفعهم إلى سبر أغوارها، وكشف مكنون أسرارها، فكان أن ظهرت العلوم والمصنفات في شتى ضروب المعرفة، وهذا خير شاهد على ذلك.

وقد تدرج البحث اللغوي تبعًا لتطور اللغة ونموها، ما نتج عنه ظهور اتجاهات جديدة انطلقت من (الجملة) متجاوزة حدودها إلى ميدان أرحب وأوسع، ألاَ وهو (النص)، وصارت الفكرة الأساس لعلم اللغة النصي تكمن في جعل (النص) الوحدة الكبرى والموضوع الرئيس في التحليل اللغوي، وهو بدراسته له – وفق منهج لساني وصفي – يكون قد تخطى المناهج اللغوية المعيارية القديمة التي وقفت عند حدود الجملة؛ معتبرة إياها أكبر وحدة للتحليل اللغوي في مجال البحث اللساني، وعنى في دراسته لنحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة، منها: « علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب التابعة، والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى الضمير، والتنوعات التركيبية، وتوزيعها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلاَّ من خلال وحدة النص الكلية »(محمد العبد،2007،ص:33).

وكان الهدف من هذه الدراسة: هو محاولة كشف اللثام عن بعض الأدوات الرابطة في اللغة العربية ودورها في تحقيق التماسك النصي، أما سبب اختيار هذا الموضوع فهو قلة الدراسات التي تناولت الروابط النصية في اللغة العربية، وأبرزت دورها الرابطي في النص، من ذلك أداة التفضيل، والمنهج المتبع في الدراسة: هو المنهج الوصفي القائم على التحليل النصي لصيغة التفضيل، وما يمكن أن تقوم به من دور في الربط اللفظي بين أجزاء النص بما يحقق له النصية.

واقتضت طبيعة الدراسة أن يشتمل البحث - بعد المقدمة - على توطئة ومطلبين، يتناول المطلب الأول: الحديث عن أفعل التفضيل ودورها في الاتساق النحوي، أمَّا المطلب الثاني: فيتطرق لدارسة نصية لأفعل التفضيل من خلال بعض الشواهد القرآنية.

وقد آثر البحث التطبيق على النص القرآني على غيره من النصوص؛ لما يتميز به من شدة التماسك والترابط؛ إذ هو كلام الله – تعالى – المعجز بلفظه ومعناه، والتزم الاختصار تناسبا مع نوعية الدراسة ومحدوديتها– كمًا وكيفًا - ، ولوجود دراسات سابقة تناولت بإسهاب هذه المفاهيم وغيرها مما يتصل بعلم اللغة النصي.

وقبل الحديث عن صيغة التفضيل، وما لها من دور في الربط ينبغي أن يتعرض البحث لبعض المفاهيم الأساسية للسبك الشكلي؛ لما لها من صلة مباشرة بموضوع الدراسة.

توطئة:

يُعدّ الاتساق الشكلي أحد وسائل التماسك النصي التي تسهمُ في ترابط النص، وشدة تماسُكِه، كما أنه العنصر الجوهري والأساس في تشكيل النص وتفسيره، فهو يعمل على « جعل الكلام مفيدًا، ووضوح العلاقة في الجملة، وعدم اللّبس في أداء المقصود، وعدم الخلط بين عناصر الجملة، واستقرار النّصّ وثباته، وذلك بعدم تشتيت الدّلالة الواردة في النّصّ »(صبحي الفقي،2000،ص:74/1)، وتنظيم بنية المعلومات داخل النص، هذا كله يساعد القارئ على فهم النص عن طريق متابعة خيوط الترابط المتحركة عبر النص ولكنها ضرورية (حسام فرج،2007،ص:8).

وهو ما أكده (فان دايك) حيث يرى أن السمات الشكلية في النص تحدد بنيته الدلالية (فان دايك، تـ: سعيد بحيري2005،ص:275).

ويتحقق الاتساق الشكلي من خلال أدوات الربط النحوية والمعجمية الظاهرة على سطح النص، ويختص بالوسائل التي تبرز وحدة البنية اللغوية للنص (خطابي، 1991، ص:241،240)، وإذا كان الاتساق الشكلي هو التماسك من خلال الأدوات البارزة على سطح النص فإن وظيفة هذه الأدوات هي الإسهام في جعل النص كلا واحدا مترابطا، وهذه الأدوات هي: الربط النحوي، والربط المعجمي.

وتؤدي هذه الأدوات وظيفتها بالنص زيادة على كونها وحدات نحوية تربط بين الجمل بعضها ببعضها الآخر؛ فهي وحدات وظيفية تؤدي دورًا في تكوين النص، وهذا يعني: أنَّ للاتساق خاصية دلالية للنص، تعتمد على فهم كل جملة مكونة في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، وتقوم أدواته بوظيفة إبراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص في مستواه الخطي المباشر(سعيد بحيري،2010،ص:123)، فهو يمثل انطلاقًا من الشكل إلى الدلالة؛ إذ إن الروابط التي تربط ظاهر النص تحتوي على قدر من الدلالة تم الربط على وفقه(جمعان بن عبد الكريم،2009،ص:222).

ويعد الربط النحوي من أهم وسائل الاتساق الشكلي؛ الذي يعتمد على « النحو التفسيري... والنحو - أيضا - بوصفه البنية العميقة التي تعطي الجملة معناها، ذلك أن النحو - كما قدمه علماؤنا الأوائل - علم نصي؛ لأنه يتعامل مع التراكيب، ولا يمكن فهم تركيب ما إلا من خلال بنيته النحوية »(محمد حماسة،2001،ص:29) في سياقها اللغوي والحالي.

وهذا يستلزم وجود وسائل للربط تعمل على إحداث الترابط بين التراكيب المتتالية والمتلاحقة في النص، ومن ثم فهو يشمل الوسائل التي تعمل وفق مبدأ الاقتصاد اللغوي، وهي: (الإحالة، والحذف، والاستبدال)، كما أن هناك وسائل أخرى للربط النحوي لكنها تعمل وفق طريقة البسط والاتساع، وهي (الوصل، الشرط، والتكرار)، وهذه جميعا تسهم في الربط بين الجمل داخل النص، مما يتضمن سلامة اتساق التراكيب، وانتظامها داخل هياكل وشبكات منسقة اتساقا يسمح لها بحمل المضمون إلى المتلقي كما يريده الباحث، بحيث يؤدي كل تركيب وظيفته على أكمل وجه داخل النص، هذه الوظيفة التي تؤدى من خلال الربط بين الوحدات المتجاورة داخل التركيب الواحد، أو بين التراكيب المتتالية داخل الشبكات التركيبية.

أما الربط المعجمي فهو الوسيلة الثانية للاتساق الشكلي التي تقع بين مفردات النص، وعلى مستوى البنية السطحية فيه، فتعمل على الالتحام بين أجزائه معجميا، ومعاني جمله وقضاياه، من خلال إحكام العلاقات الدلالية القريبة والبعيدة فيه، إذ يؤدي ذلك إلى تلازم الأحداث وتعالقها من بداية النص حتى آخره؛ مما يحقق للنص نصيته،(خطابي،1991،ص:15 – محمد الشاوش،2001،ص:142/1) ويشتمل على وسيلتين، هما: (التكرار، والمصاحبة المعجمية).

ويتحقق الربط المعجمي من خلال العلاقات المعجمية بين الكلمات في النصوص، والعلاقات المعجمية الرابطة متعددة ومختلفة، وإذا كانت طريقة الربط العجمي « فعالة في تبصيرنا بشبكة العلاقات بين العناصر المعجمية وبطريقة اتساقها، فإنها لا تخلو مع ذلك من عيوب كما يرى ذلك بعض الباحثين »(خطابي، 1991، ص:249).

ومما لا شك فيه أن هذه الوسائل تعمل على تحقيق الاستمرارية في ظاهر النص، واتساق أجزائه، والربط النحوي من أهمها؛ إذ يتمظهر على مستوى سطح النص بأدواته المتعددة؛ محدثا ترابطا شكليا ذا علاقات دلالية.

ولعل أهم وسيلتين للربط النحوي لهما صلة مباشرة بالبحث: (الإحالة، والوصل الأداتي)؛ وستتعرض لهما الدراسة بشيء من الإيجاز؛ وذلك حتى يتسنى للمطلع معرفة أي الوسيلتين يمكن أن تندرج تحتها(أفعل التفضيل)؛ لكونها من أدوات المقارنة.

فالإحالة تعد من أهم وسائل الربط النحوي، وأكثرها انتشارًا في النصوص، ومن المعايير المهمة التي تسهم بدور كبير في تحقيق الكفاءة النصية، وتعني: « العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما؛ إذ يشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عـــالم النص، أمكن أن يقال عن هذه العبارات: إنها ذات إحالة مشتركة »(دي جراند، تـ: تمام حسان، 1998، ص:320).

ويفهم من هذا أن الإحالة قد تكون داخلية تتجه إلى عناصر سابقة أو لاحقة لكنها داخل النص، وقد تكون خارجية تتجه إلى مرجع خارجي يفهم من سياق المقام، إذ إن المعرفة الإنسانية بالعالم تهيئ للإنسان خلفية مشبعة بالتعويضات والتفصيلات والاحتمالات بالنسبة لكل حكم يحكمه الإنسان، وهذا يعني: أن العناصر اللغوية المحيلة لا تكفي بذاتها من حيث التفسير، بل لا بد من العودة إلى ما تحيل إليه من أجل تفسيرها(حسام فرج، 2007، ص:83).

وللإحالة وسائل يطلق عليها اسم "العناصر المعوضة عن المرجع" التي تقوم مقامه وتعود أو تحيل إليه(دي جراند، تـ: تمام حسان، 1998، ص: 320).

فالنص لا يكاد يخلو من ضمير عائد، أو اسم إشارة، أو اسم موصول، أو غير ذلك، وتقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتتجمع في كل واحد عناصر متناغمة (الأزهر الزناد، 1993، ص: 121)، وهذه الأجزاء المتباعدة لا يمكن أن تقام الجسور بينها إلا من خلال عناصر قوية قادرة على هذا الربط الدلالي (سعيد بحيري، 2006، ص:235)، ومن النصيين من جعل من أنواع الإحالة: الإحالة بالتكرار، والإحالة بأدوات المقارنة.

أما (الوصل الأداتي) فيعد مظهرا من مظاهر الربط النحوي داخل النظام التركيبي للجملة؛ وذلك لوجوب الجمع بين الجمل المتجاورة؛ حتى تصير نصا متماسكا، كما أنه يعد وسيلة للربط بين المفردات اللغوية داخل التركيب النحوي، وبين أجزاء النص الواحد، بل يستحيل فهم المعاني والدلالات الواردة في الكلام دون وجود هذا الترابط بين أجزائه، سواء أكان هذا الكلام جملة أم تركيبا نحويا واحدا، أم كان نصا من النصوص؛ إذ لا بد أن يتوفر الترابط بين أجزاء النص ومفردات التركيب، حتى يمكن أن تؤدي أجزاؤه مجتمعة ومترابطة معنى كليا مرادا فيه، فقد تكون الروابط لفظية أو معنوية، ومن خلال هذا الترابط الحادث بين التراكيب والجمل والفقرات تحدث المعاني التي يريد المتكلم أو الكاتب أن يعبر عنها، ويتكون من خلال ذلك - أيضا - النص، الذي يؤدي معنى عاما أو كاملا، سواء كان هذا النص نثرا أو شعرا (مصطفى حميدة، 1997، ص:195).

وقد تباينت وجهات نظر اللسانيين النصيين في التعامل مع الروابط الشكلية الدلالية، فـ"هاليدي ورقية حسن"، يجعلانها في علاقات (الوصل)، ويحصرانها في أربعة أنواع، هي: الإضافية، والعكسية، والسببية، والزمنية(جمعان بن عبد الكريم،2009، ص:301)، في حين يذهب بعض اللغويين إلى حصرها في خمسة أنواع، هي: « الربط الإضافي المتناسق، والتتابع الزمني، والربط السببي، والربط الاستدراكي، والربط الشرطي، والربط الدال على التضاد مع الجملة الرئيسية » (المرجع السابق، ص:301)، وإن كان هناك علاقات أخرى يوردها آخرون في إطار اللغة الانجليزية، كالبديلة، والتوضيحية، والشرطية، والموافقة... إلخ، إلاّ أنه في العربية يمكن أن تضاف بعض الأدوات الأخرى التي تعمل على ربط النص، كالوصل ببعض الظروف المكانية، وبعض حروف الجر، وبعض أدوات الشرط، والاستثناء، والتشبيه، وغيرها.

وأدوات الوصل يمكن تقسيمها إلى:

1 -أدوات العطف النسقي: وتفيد (الجمع – الترتيب – التراخي - التخيير – الإضراب...).

2 -أدوات غير عاطفة: وتفيد (التعليل – الاستدراك – الغاية – الاستثناء – الظرفية – الشرطية – التشبيه – الجر...).

ومن ثم نلحظ كثرة الأدوات الرابطة في اللغة العربية، وتنوع معانيها ودلالاتها، فأي أداة نحوية تربط ما بين جملتين بوجه ما، تعد من الروابط الشكلية الدلالية (جمعان بن عبد الكريم ،2009 ، ص:303- 307).

والتماسك النصي لا يتحقق إلّا بتضافر الروابط اللفظية والمعنوية، ولكل منهما أدواته ووسائله؛ التي تسهم بفاعلية كبيرة في تماسك النصّ؛ إلا أن البحث سيتجه إلى دراسة أداة من أدوات المقارنة، وهي (أفعل التفضيل) التي هي من وسائل الاتساق النحوي الشكلي؛ لأنها مجال البحث والتطبيق، وحتى يتسنى للمطلع الوقوف على ما طبق منها، وساعد في تحقيق التماسك النصي.

المطلب الأول: أفعل التفضيل وأثرها في الاتساق الشكلي للنص

من الأدوات الرابطة في اللغة العربية (أفعل التفضيل)، إذ هي تربط اللاحق بالسابق من خلال المفاضلة بين طرفي التفضيل، وهما (المفضل والمفضل عليه)، ومن ثم عدّها طائفة من النصيين من أدوات المقارنة التي يقصد بها:«كل الألفاظ الّتي تؤدّي إلى المطابقة، أو المشابهة، أو الاختلاف، أو الإضافة إلى السّابق، كمًا وكيفاً، أو مقارنة»(عفيفي،2005، ص: 534)، وهذه الأدوات المقارنة تنقسم إلى: مقارنة عامة، ومقارنة خاصة، فالمقارنة العامة: عبارة عن ألفاظ تعبر عن التَّشابه، أو التَّطابق، أو التَّخالف، ومن ثم فهي تقع بين محوري التشابه والاختلاف دون الأخذ في الاعتبار صفة معينة، أما المقارنة الخاصَّة: فتعبر عن قابلية المقارنة بين شيئين أو أكثر في صفة معينة سواء من حيث الكم أو الكيف (عزة شبل، 2009، ص:125،124).

وفي اللغة العربية يمكن أن نعد من أدوات المقارنة أدوات التشبيه، مثل: الكاف، وكأن، ومثل، ومشابه، وغيرها؛ مما يفيد المماثلة والمشابهة؛ إذ التشبيه يتم عن طريق الجمع بين شيئين أو أشياء، وهذا الجمع يسهم بدون شك في تماسك النص وترابطه(عبد العزيز صابر، 2005، ص:209)، وقد حكى البهاء الاتساقي أن (أفعل التفضيل)من أدوات التشبيه (بهاء الدين الاتساقي، د.ت، ص:3/393،392)، وهو ما أشار إليه الطيبي من أن «من أدوات التشبيه (أفعل التفضيل)، مثل: زيد أفضل من عمرو...» (شرف الدين الطيبي، د.ت، ص:212).

والحق أنَّ أصل دلالة صيغة (أفعل التفضيل) الإخبار بالمعنى على سبيل المفاضلة، لا التشبيه، ففي قولنا: (العسل أحلى من عصير الفاكهة)، تدل بهذه الصيغة على مجاوزة العسل العصير في الحلاوة، والكلام وإنْ أفاد اشتراك الاثنين في الصفة إلا أن هذه الإفادة ليست قصدا وأصالة، وإنما من مضمون الكلام بحكم اشتراك المتفاضلين في الصفة التي يقع فيها التفاضل، فالتشبيه ليس مدلولا عليه بأداة وإن كان مستفادا من الكلام، هذا فضلا عن اختلاف إفادة التشبيه بـ""أفعل التفضيل" عن إفادته بالكلمات الأخرى: مثل، وشبه، وغيرها ...؛ لأن مبناه أن المفضل يفوق المفضل عنه ويجاوزه، فليست فيه دعوى إلحاق شيء بشيء؛ لأن الكلام يدل على اختلافهما في الصفة زيادة ونقصانا دون أن يلحق الناقص بالكامل، كما هو شأن ما يدل على التشبيه ... أو ما يفيده من هذه الكلمات (رياض الجبوري،2005، ص:9).

ويترجح - بناء على ما سبق - أن أفعل التفضيل يمكن أن تقوم بوظيفة المقارنة الخاصَّة، فقد نلحظ معنى المقارنة من خلال عقد المفاضلة بين المفضل والمفضل عليه، والمعنى اللغوي والاصطلاحي لاسم التفضيل يؤكد ذلك، فهو لغة: «مصدر فَضَّلَ يُفَضِّلُ بالتضعيف، يقال: فَضّلتُهُ على غيره تَفضيلا، أي: حكمت له بذلك وصيرته كذلك، وجعلته أفضل منه، وأفضل عليه: زاد» (ابن منظور، د.ت، ص:2/1105)، فهو يدل على زيادة في شيء، ومن ذلك الفضل: الزيادة. أما في الاصطلاح فهو: «ما اشتق من فعل لموصوف بزيادة على غيره وهو أفعل» (الاسترآباذي، 1978، ص:3/447)، ثم صارت هذه الترجمة

في الاصطلاح اسما لكل ما دل على الزيادة، تفضيلا كانت، كأحسن، أو تنقيصا، كأقبح، وإن لم يكن على وزن (أفعل)، كـ(خير، وشر) (الخضري، 1953، ص:50/2).

ويلاحظ أنّ الجذر (ف. ض. ل) في المعجم لا يدل إلاّ على الزيادة الحسنة في مدح أو كمال، لكن هذه الزيادة في الاصطلاح يراد بها الزيادة المطلقة في كمال أو نقص، وهذا الاتساع يمكّننا من الوقوف على أهم دلالات اسم التفضيل واستعمالاته، فالمفضل عليه لا يخلو من مشاركة المفضل في المعنى غالبا، وهذه المشاركة إما أن تكون حقيقية، كقوله تعالى: {أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ} (سورة النحل:92)أي: أزيَد، وقد تكون المشاركة تقديرية لا حقيقية، وتسمى - أحيانا- اعتقادية، وإن كان الاعتقاد باطلا، كقوله تعالى: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} (سورة التوبة:108) على اعتقاد أن في مسجد الضرار حقا(القرطبي،2000، ص:166/8)،

كما يمكن أن يضم إليها الألفاظ الدالة على الترتيب الزماني، تلك التي تتسم بطابع النسبية في بيان الزمن، مثل: من قبل، ومن بعد (محمد يونس،2009، بحث في العدد:3، مجلد:9).

فهذه الأدوات وغيرها وإن اتفقت في إفادة اشتراك اثنين في صفة، إلا أن لكل أداة خصيصة في هذه الإفادة راجعة إلى أصل مادتها اللغوية (محمود حمدان، 2007، ص:20)، ومن ثم نعلم أن مهمة التّفضيل الأولى هي تفضيل شيء على آخر في أصل الوصف الذي اشتركا فيه، وبيان وجه الزيادة في الأول، فالمفضل مذكور دوما يطلق عليه أحيانا اسم (صاحب أفعل)، وهو الموصوف به، أما المفضل عليه فهو المجرور بـ(من)، والمضاف إلى اسم التّفضيل في قسم المضاف، والمشار إليه باللّام في قسم المقترن بـ(أل)، وإلى ذلك أشار الرضي بقوله: «وضعه الأهم لتفضيل الشيء على غيره، ومع (من) والإضافة ذكر المفضل عليه ظاهرا، ومع اللام هو في حكم المذكور ظاهرا؛ لأنّه يشار باللام إلى معين مذكور قبل، لفظا أو حكما» (الاسترآباذي، 1978، ص:453/3)، فإذا اقترن اسم التّفضيل بـ(أل)، أو (من) التّفضيلية لم تجز تعريته عن معنى التّفضيل مطلقا، والخلاف فيما حذفت منه (من) ولم تكن مقدرة (رياض الجبوري،2005، ص:39).

وقد اختلف اللغويون في طبيعة الدور الذي يمكن أن تؤديه أدوات المقارنة والتي من بينها (أفعل التفضيل)، مع اتفاقهم على أهميتها في الاتساق النصي، فبعضهم أدرجها تحت وسيلة (الإحالة)، في حين أدرجها بعضهم الآخر ضمن وسيلة (الحذف)، كما أن من اللغويين من أدرجها تحت ما يعرف بـ(الوصل الأداتي)، وما ينتج عنه من علاقات دلالية رابطة، وأسماها: (علاقة المقارنة)، وهذه الوسائل جميعا هي من وسائل الربط النحوي، ولعل هذا الاختلاف ناتج عن الخصيصة اللغوية لكل لغة، فالباحثان "هاليداي ورقية حسن" يؤكدان على أن (المقارنة) وسيلة من وسائل الإحالة، وأنها تقوم بدورها الاتساقي عندما يكون متعلقها متحد الهويّة (نفسه) أو مشابها لمثله، أو مخالفا له، وأنها لا تختلف عن الضَّمائر الشخصية، وأسماء الإشارة والموصول في كونها نصيّة، حيث إنها تتميز بأنّها تعبيرات إحاليَّة لا تستقل بنفسها، فهي تتمثل في بعض الصّيغ الّتي لا تخضع لأي نوع من أنواع الإحالة، ولكنها كلمات أو عبارات تحيل على عناصر أخرى داخل النّصّ أو خارجه، وهو ما يؤهلها لأنّ تكون وسيلة من وسائل التَّماسك؛ لذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثا عما يحيل عليه المتكلّم، وكما هو الأمر مع الضَّمائر وأسماء الإشارة، يحتمل أن يكون المرجع خارجيا، ويحتمل أن يكون داخليا،

فإذا كان داخليا، فإما أن يكون المرجع متقدّما، أو متأخّرا، ومن ثمَّ فهي تقوم بدور كبير في ترابط النّصّ عن طريق الإحالة (عفيفي، 2005، ص:534).

وقد تبعهما في هذا الرأي طائفة من الباحثين العرب، منهم: د. أحمد عفيفي، حيث جعل ألفاظ المقارنة من وسائل الإحالة النصية، وأكد على أنها« تصنع ربطا واضحا بين السابق واللاحق...» (المرجع السابق، ص:534).

ومنهم د. محمد خطابي الذي أكد - أيضا - على أهمية هذه الأدوات في الإحالة، وأنها تقوم بدور مهم في ربط أجزاء النص بعضها ببعض؛ بما يفضي إلى تماسكه(خطابي، 1991، ص:17- 19).

ومن الذين ساروا على هذا الرأي د. محمد محمد يونس، حيث جعل أدوات المقارنة ضمن وسائل الإحالة، وأكد ذلك بقوله: «تتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك؛ ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثا عما يحيل عليه المتكلم، وكما كان الأمر مع الضمائر وأسماء الإشارة، يحتمل أن يكون المرجع خارجيا، ويحتمل أن يكون داخليا، فإذا كان داخليا، فإما أن يكون المرجع متقدما، أو متأخرا» (محمد يونس، 2009، ص:166).

أما الباحث محمد الشاوش (الشاوش، 2001، ص:130/1) فردّ الاتجاه السابق، ورأى إرجاع ألفاظ المقارنة إلى تفسير واحد، وضمها إلى وسيلة (الحذف) لا الإحالة؛ لأنها أقرب إلى السمات الدلالية، إذ المقارنة تظهر عند استعمالها في المايزة والتفضيل واحدة من مقتضيات البنية الدلالية للألفاظ، والصيغ المستخدمة لها، وأكد على إلغاء دور أدوات المقارنة في الاتساق؛ لأن البنية المنطقية للمقارنة والتشبيه وطبيعتها تقتضي بنية ثنائية اقتضاء، حيث قال: «والملاحظ أن تناول "هاليداي وحسن" لمسألة المقارنة قام على الجمع – ولك أن تقول: على الخلط – بين الإحالة من ناحية والتركيب في علاقته بالدلالة من ناحية أخرى، فما بدا لهما في المقارنة راجعا إلى الإحالة هو في حقيقة الأمر من مقتضيات البنية الدلالية للألفاظ والصيغ التي تستعمل في المقارنة والتفضيل، فمفردات من قبيل (مثل) و(شبه) وما جاء من الكلمات على صيغة التفضيل تقتضي دلاليا أو قل منطقيا بنية ثنائية، وبالتالي لا يجري استعمالها إلا في بنية تركيبة تتوفر فيها تلك الاثنينية بوجه من الوجوه، فإذا اعتبرت هذه الظاهرة الدلالية التركيبية من قبيل الإحالة فتحت بابا يصعب عليك أن تغلقه، إذ سيدخل فيه جميع البنى الدلالية التركيبية التي تقتضي عنصرين اثنين بما في ذلك الصيغ الدالة على المشاركة، بل وحتى الأفعال التي لا تتحقق إلا بتوفر عدد معين من العناصر، وإذا بالإحالة تبتلع جميع مقتضيات الدلالة والإعراب »(الشاوش، 2001، ص:130/1).

أما الاتجاه الثالث فيرى أن أدوات المقارنة تمثل علاقة من علاقات الربط بالأداة، وهو ما يعرف (بالوصل الأداتي)، وليست هي من وسائل الإحالة – كما ذكر هاليداي ورقية حسن- ؛ وأيّد ذلك ثلة من الباحثين(حسام أبو علي، 2011، ص:238- 240)، وقد أسس هذا الاتجاه رأيه على أن هذه العلاقة تحدثها أدوات دالة عليها يستفاد من تلك الأدوات في الربط بين جملتين أو أكثر لدلالة معينة ومحددة، وهي (المقارنة)، دون إحالة إلى سابق أو لاحق كما يحدث مع الضمائر، أو أسماء الإشارة، أو الأسماء الموصولة؛ وذلك لأن أدوات الإحالة – كما قال (براون ويول) نقلا عن هاليداي نفسه:« هي الأدوات التي نعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر.

أما الربط بالأداة – كما يرى الأستاذ/ الأزهر الزناد - فهو «مشروط بالخلاف بين الجملتين، أو المقطعين المتصلين أو المتباعدين، ومصطلح الخلاف يجمع عددا من الوجوه، منها تعاقب على أساس إضافة عنصر إخباري جديد » (الأزهر الزناد،1993، ص:56)، وعليه فروابط مثل: بالإضافة إلى، وعلاوة على، وفضلا عن... ليست روابط إحالية، كما ذكر آنفا، بل روابط تأتى لعلاقة الإضافة، كما تأتى الأدوات: (ك – كما – مثل...) أدوات ربط لعلاقة التشبيه والمقارنة، فليس من الممكن اعتبار الأدوات أو الروابط السابقة عناصر إحالية تقوم بنفس الوظيفة التي تؤديها الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة في الإحالة.

وهذا الاتجاه هو الذي يميل إليه البحث؛ إذ إن كلمة (المقارنة) تحمل في معناها أن هناك سمة مشتركة بين شيئين اثنين يجب المقارنة بينهما، من هنا يظهر دورها في الربط بين الشيئين المقارن بينهما، والذي سيخرج لنا بعد ذلك جملا مترابطة عن طريق هذه المقارنة بما يؤدي إلى ترابط النص؛ ذلك أن المقارنة تقوم على طرفين يقوي أحدهما الآخر، فالمقارنة تقوي المقارن بالمقارن به فتعمل على «كسر القيد الدلالي عن المشبه، وفتحه على احتمالات الدلالة التي يقدمها المشبه به» (محمد الجزار، 2001، ص:164)، وهذا يعني: أن المقارنة تعتمد على وجود عنصرين يقارن بينهما في النص على سبيل المطابقة أو التشابه، وتقوم على ألفاظ من مثل: وصف الشيء بأنه شيء آخر، أو يماثله، أو يوازيه، وبعضها يقوم على المخالفة، كأن تقول: يضاد أو يعاكس أو أفضل أو أكبر أو أجمل (محمود الهواوشة، 2009، ص:117).

ويمكن أن نذكر - هنا - ما قاله الباحث محمد يونس (محمد يونس، 2009، ص:182-185) عن حالات اسم التفضيل، من أن قواعد اللغة العربية تقتضي أن يأتي اسم التفضيل على النحو الآتي:

1- أن يكون مقترنا بـ(من)، للمفاضلة بين شيئين أو أكثر، ويصاغ من الثلاثي على وزن(أفعل)، دون أن يتطابق اسم التفضيل مع المفضل عليه، كما في نحو: "خالد أكبر من سعيد، لكن سعيدا أذكى"، حيث جاء تكملة "أكبر" لتحيل على(سعيد)المتأخر الذكر، وجاءت كلمة (أذكى) لتحيل على(خالد) المتقدم الذكر، وكما في نحو: "سناء أجمل من زينب.. النساء أقصر من الرجال"، يتبين لنا أن صيغة التفضيل ملازمة للإفراد، والتذكير، لاقترانها بـ(مِنْ)، فإذا لم يكن الفعل ثلاثيا أو لم تنطبق عليه شروط صوغه على (أفعل)، صيغ التفضيل بالإتيان بمصدر الفعل مسبوقا باسم تفضيل مناسب، كأن يقال: أكثر اجتهادا، أو أقل مشاغبة، أو أشد صبرا، أو نحو ذلك.

3 -أن يكون مجردا من (من)، للدلالة على صيغة منتهى التفضيل، ويصاغ من الثلاثي على وزن(أفعل) للمذكر، و(أفعل)، أو(فعلى)للمؤنث، وثمة ثلاث حالات تأتي عليها صيغة منتهى التفضيل من حيث مطابقته وعدم مطابقته للمفضل عليه من حيث الجنس والعدد، وهذه الحالات هي:

أ- إذا اقترنت صيغة منتهى التفضيل بـ(أل)، وجبت المطابقة بينها وبين المفضل عليه(ابن هشام،1982،ص:263/3)، نحو: "في معظم بلدان العالم رئيس الدولة هو القائد الأعلى للقوات المسلحة، اليد العليا خير عند الله من اليد السفلى، أمريكا وروسيا هما الدولتان العظميان في العالم".

ب- إذا كانت صيغة منتهى التفضيل مضافة إلى معرفة، جازت المطابقة وعدمها، مع أن عدم المطابقة أكثر شيوعا(المرجع السابق:265/3- 266) نحو: "عادل معروف بين زملائه بنشاطه، وخالد يوصف بأنه

أقواهم، لكن محمودا هو أذكاهم"، "نبيل وحسن أذكى/ أذكيا إخوتهما، سامية وسعاد أفضل/ فضليا رفيقاتهما، المنافقون أرذل/ أراذل الناس، نادية وأمينة وسلمى هن أكبر/ كبريات طالبات الفصل".

ت- إذا كانت صيغة منتهى التفضيل مضافة إلى نكرة، وجب عدم المطابقة، نحو: "خديجة أكبر بنت في أسرتها، نادية وأمينة وسلمى أكبر طالبات في الفصل".

هذه هي الحالات التي ذكرها الباحث محمد يونس ملخصة عن كتب النحو، والآن لنا أن نشرع في تحديد الدور الذي يقوم به اسم التفضيل في ضوء علم النص، وهو أن اسم التفضيل في العربية يقوم بوظيفة المقارنة الخاصة، التي هي من أدوات الاتساق النحوي المفضية إلى التماسك النصي، وما قلناه سابقا عن المقارنة العامة بأدوات التشبيه من أنها من قبيل (الوصل الأداتي) القائم على علاقة التشبيه والمقارنة، لنا أن نؤكده هنا فيما يتعلق باسم التفضيل الذي يحقق المقارنة الخاصة؛ التي يؤتى بها للتعبير عن الموازنة بين شيئين أو أكثر من حيث الكم أو الكيف، والباحث محمد يونس بعد أن ساق ما تقتضيه قواعد اللغة العربية من حالات يأتي عليها اسم التفضيل، كما سبق، ضرب أمثلة لكل حالة، والذي يهم البحث هو التعليق على ما رآه الباحث من أن أداة التفضيل وسيلة من وسائل الإحالة، وقد أورد أمثلة أيّد بها رأيه، من تلك الأمثلة: خالد أكبر من سعيد، لكن سعيدا أذكى، حيث قال: « وفي الأمثلة السابقة جاءت كلمة (أكبر) لتحيل على (سعيد) المتأخر الذكر، وجاءت كلمة (أذكى) لتحيل على (خالد) المتقدم الذكر» (محمد يونس، 2009، ص:183).

وللتعليق على ذلك يرى البحث أن دعوى الإحالة هنا غير متأتية، لما سلف نقله عن الباحث محمد الشاوش، من أن اسم التفضيل تقتضي بنيته الصريحة وجود المفضل والمفضل عليه؛ وذلك ليتسنى لنا عقد المقارنة بين هذين العنصرين؛ فإذا غاب أحد عنصري هذه البنية عند المقارنة أو التفضيل لفظا، لجأنا إلى التقدير؛ حتى يتسنى لنا عقد تلك المقارنة أو التفضيل(محمد الشاوش،2001،ص:130/1).

والمثال الذي ساقه الباحث يظهر بوضوح ما أشرنا إليه، وهو أن لفظ (أكبر) جاء بين المفضل (خالد)، والمفضل عليه (سعيد)، فدلت المفاضلة أو المقارنة على أن (خالدا أكبر من سعيد)، وكانت بنية المفاضلة أو المقارنة صريحة، حيث ذكر المفضل والمفضل عليه، وتوسطت أداة التفضيل بينهما (أكبر)، أما لفظ (أذكى) فلم يحل إلى سابق - كما ذكر الباحث - ، بل إن الحذف هو الذي ربط اللاحق بالسابق، وحقق الاتساق بالنص، حيث لم يأت بعد أداة التفضيل (أذكى) المفضل عليه، بل حذف، وبنية التفضيل تقتضي وجوده ولو تقديرا، وأمر الحذف لا يركب ولا يتأتى إلا متى قامت القرينة، وتوفر الدليل عليه، ودليل الحذف موجود بالكلام، وهو المفضل في بنية التفضيل الأولى (خالد)، ومن ثم صح الحذف، وبإعادة المحذوف صح الربط بوسيلة الحذف، لا بالإحالة، وتحققت علاقة المقارنة بين المذكور والمقدر.

وما ذكرناه آنفا ينطبق على الآية التي ساقها للاستشهاد بها على الإحالة بالمقارنة، وهي قول الله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**) (سورة آل عمران:118) حيث قال: « فقد ربطت كلمة (أكبر)التي هي لفظ من ألفاظ المقارنة الجملة الثانية بالأولى؛ لأنه لا يكون الشيء أكبر إلا بالموازنة بشيء آخر، ولا يعرف ذلك الشيء الآخر إلا بالرجوع إلى ما سبق في الآية، ومن

هنا تتحقق فكرة اعتماد أجزاء النص بعضها على بعض، وعدم استغناء أحدها عن الآخر...»(محمد يونس، 2009، ص:184).

ويرى البحث: أن ما قاله الباحث من أن كلمة (أكبر) ربطت الجملة الثانية بالأولى؛ لأنه لا يكون الشيء أكبر إلا بالموازنة بشيء آخر صحيح، بيد أن أداة المقارنة (أكبر) لم تحل إلى السابق، وإنما كانت أداة وصل ربطت بين عنصري التفضيل، وأنتج ذلك علاقة دلالية هي علاقة المقارنة والتفضيل، أما الوسيلة النصية التي نرجع بها إلى ما سبق في الآية لمعرفة ذلك الشيء الآخر (المفضل عليه) فهي (الحذف)، لا أداة التفضيل والمقارنة؛ وذلك لنتبين بالمذكور - الذي هو دليل الحذف – المحذوف، فنحسن تقديره، قال ابن عادل الدمشقي: «المفضل عليه محذوف، أي: أكبر من الذي أبدوْه بأفواههم » (سراج الدين النعماني،1998، ص:5/493).

ومن ثم نلحظ أن بنية المقارنة إذا كانت صريحة بأن ذكر طرفاها، كانت وسيلة لفظية تفضي إلى علاقة معنوية أو دلالية، هي علاقة المقارنة، أما إذا غاب أحد عنصريها لفظا، فإن الوسيلة اللفظية التي يرجع بها إلى سابق الكلام هي الحذف، وتعمل أداة المقارنة على خلق علاقة معنوية هي علاقة المقارنة، التي ربطت بين عنصريها: المذكور، والمقدر بناء على دليل الحذف الموجود بالنص، وهذا ينطبق على أدوات التشبيه وألفاظ التمثيل والتفضيل (محمد الشاوش،2001،ص:1/131).

المطلب الثاني: دراسة نصية لصيغة التفضيل من خلال بعض الشواهد القرآنية

من الشواهد القرآنية للمقارنة الخاصة باسم التفضيل قوله تعالى: **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** (سورة البقرة:217)، حيث جاء العنصر الدّال على التَّفضيل (أكبر) مجردًا من(أل) والإضافة، ومصاغا من الثُّلاثي على وزن (أفعل) للمذكّر، هذا العنصر هو الذي عقد المفاضلة والمقارنة بين المفضل (الفتنة) والمفضل عليه (القتل)، فكانت دلالة تلك المفاضلة والمقارنة بين عنصري التفضيل في الآية: أن الفتنة أكبر ذنبا من القتل؛ نظرا لما تحدثه من شرخ في المجتمع يصعب لأمه، وهذا يفوق في أثره ما يحدثه القتل عند الالتحام والاقتتال، وهو ما يدل عليه سياق الآية، ومن ثم فقد ربطت أداة المقارنة بين طرفي التفضيل، وأنتجت علاقة معنوية أسهمت في ترابط النّصّ وتماسكه.

ومن المقارنة الخاصة باسم التفضيل قوله تعالى: **(إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)** (سورة يوسف:8)، وقوله تعالى: **(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)** (سورة التوبة:24)، فقد ورد اسم التفضيل (أحب) في الآيتين الدال على المقارنة والتفضيل؛ للدلالة على الزيادة الحقيقية التي تقتضي اشتراك المتفاضلين في أصل الوصف (المحبة)، وزيادة أحدهما فيها على الآخر، وذلك في المفاضلة بين متناظرين، أو خيرين - كما هنا- ، وقد لزم الإفراد والتذكير مع أنه أسند في الآية الأولى إلى مثنى، وفي الثانية إلى جمع؛ لأنه ورد مجردًا من (أل) والإضافة مقترنا بـ(من) التفضيلية جارة المفضول، وعُدّي بحرف الجر (إلى)؛ لأن اسم التفضيل إذا كان من مصدر فعل متعد بنفسه، دال على

الحب أو البغض أو بمعناهما، فإنه يعدى إلى الفاعل معنى بـ(إلى)، نحو: يوسف أحبّ إلى أبيه من غيره، ويعدى إلى المفعول معنى بـ(اللام)، نحو: يوسف أحب لأبيه من غيره (ابن مالك،1982،ص:1144).

ودلالة (أحب) على التفضيل والمقارنة في الآيتين المذكورتين واضحة، فهو في الآية الأولى يدل على أن يعقوب - عليه السلام - كان يحب جميع أبنائه، لكنه كان يفضل يوسف وأخاه عليهم بزيادة محبته لهما، أما آية التوبة وهي كما قال الزمخشري: «تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين، واضطراب حبل اليقين» (الزمخشري، 2002، ص:427/2)، فمعنى التفضيل فيها، قل: إن كانت هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله ورسوله وجهاد في سبيله، فتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بعقوبة عاجلة أو آجلة (الرازي،2001، ص:12/6).

ومن ثم نلحظ كيف أدت أداة التفضيل دورها في عقد المقارنة بين عنصري التفضيل، وإنتاج علاقة دلالية كان لها أثرها في ربط السابق باللاحق، وتحقيق النصية في الخطاب بما يسهم في اتساق النص وترابطه.

وفي قوله تعالى: **(وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)** (سورة النحل:92)، جاء اسم التفضيل والمقارنة (أربى) للدلالة على المشاركة والزيادة في الكثرة والعزة والعلو، ورجحان المفضل على المفضل عليه المجرور بـ(من) التفضيلية وهو (أمة) في قوله: **أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ**، قال ابن عاشور: « وأربى: أزيد، وهو اسم تفضيل من الربو بوزن العلو، أي: الزيادة، يحتمل الحقيقة، أعني: كثرة العدد، والمجاز، أعني: رفاهية الحال، وحسن العيش، وكلمة (أربى) تعطي هذه المعاني كلها، فلا تعدلها كلمة أخرى تصلح لجميع هذه المعاني، فوقعها هنا من مقتضى الإعجاز» (ابن عاشور، 1997، ص:266/14) ، ولم يبين الله - تعالى- وجه الزيادة في أي شيء؟ أهو في القوة، أو في العدد، أو في غيرهما؟ وذلك لتتضمن جميع وجوه الزيادة التي يرغب بنقض العهد لأجلها، فلا يبقى لمن تسول له نفسه في نقض عهد الله ورسوله ما يدعيه ويتماسك به (أحمد الجواري،1987، ص:50)، فكان قوله: **أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ** يدل على وجود مقارنة بين عنصري التفضيل، وهما المفضل (أمة) التي هي اسم كان الناقصة، أو فاعل كان التامة، والمفضل عليه المجرور بـ(من) (من أمة)، نتج عنها وجود علاقة معنوية تدل على مشاركة المفضل المفضل عليه في الكثرة والمنعة والقوة والزيادة عليه فيها، مما يعني وجود ارتباط وثيق بين عنصري التفضيل كان لأداة التفضيل الدور الأكبر في تحقيق هذا الارتباط الذي أكسب النص اتساقا لفظيا، وانسجاما معنويا.

وهذا ما نلمحه من سياق الآية التي جاءت حضا على الوفاء بالعهد، ونهيا عن نقض الإيمان المؤكدة، عن طريق تشبيه الناقض العهد بعد توكيده بالتي تنقض غزلها بعد فتله وإبرامه، للحكم على فساد من يفعل ذلك، بعد أن اتفق الناس جميعا على فساد وحماقة من تنكث الغزل من بعد قوة أنكاثا (الطبري، 2001، ص:265/7)، قال الفراء: « معناه: لا تغدروا بقوم لقلتهم وكثرتكم، أو قلتكم وكثرتهم، وقد عززتموهم بالإيمان، فسكنوا إليها» (الفراء، 1983، ص:113/2).

وقول أكثر المفسرين: أن «المقصود النهي عن العود إلى الكفر بسبب كثرة الكفار وكثرة أموالهم» (القرطبي، 2000، ص:113/10)، والمعنى: «لا يحملنكم قلة محمد – صلى الله عليه وسلم - وكثرة المشركين، أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام» (الدمشقي، 2000، ص:1047)، وان كان ظاهر

الآية النهي عن نقض أي عهد يقع من الإنسان سواء كان بينه وبين ربه، أو بينه وبين الناس، ويؤكد قول من قال بأنّ المقصود بالآية النهي عن نقض عهد الله ببيعة الرسول – صلى الله عليه وسلم - الآيات الواردة بعد هذه الآية، فإن المتأمل فيها لا يجد بُدا من القول بصحته (أحمد الجواري، 1987، ص:49).

ومن المقارنة باسم التفضيل قوله تعالى: **(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)** (سورة الأحقاف:5)، لفظة (أضل) في الآية اسم تفضيل من الفعل (ضلّ) الثّلاثيّ، وزنه (أفعل)، وجاءت عينه ساكنة للتضعيف، هي ممنوعة من الصّرف للوصفية، والمفضل عليه(ممن يدعو) وهو اسم مجرور بـ(من) الّتي دخلت على المفضل عليه وجرته، والمقارنة هنا وقعت بين المفضل والمفضل عليه، بواسطة اسم التّفضيل، وترتب على هذه المقارنة وجود علاقة دلالية بين عنصري التفضيل، هي علاقة المقارنة، التي ربطت الأداة فيها اللاحق بالسابق، مما أسهم في سبك النّصّ وتماسكه.

وقد ورد اسم التفضيل (أضل) مقرونا بـ(من) في سياق النفي بأسلوب الاستفهام الإنكاري، قال أبو السعود: «إنكار ونفي لأن يكون أحد يساوي المشركين في الضلال، وإن كان سبك الترتيب لنفي الأضل منهم من غير تعرض لنفي المساواة، أي: هم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم»(أبو السعود،2010،ص:67/6).

فالاستفهام في الآية لا يراد به السؤال عمن هو أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له، بل المراد منه التنبيه على شدة ضلال من هذه حاله، دون ذكر لنفي المساواة. و ههنا ملحظ هام، وهو أن (من) التفضيلية - كما هو معلوم - لا تجرّ غير المفضول، ولا يُجر بغيرها، فقوله تعالى: **مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ**، كان مفضلا قبل دخول الاستفهام، والتقدير: من يدعو من دون الله أضل من كل ضال، فلما سبك التركيب مصدرا بـ(من) الاستفهامية، جُرّ**مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ** بـ(من) التفضيلية على أنه مفضول، فلما لم يتعين من هو أضل منه، ودل الاستفهام على نفي أن يكون أحد أضل ممن يدعو من دون الله، بقي المجرور بـ(من) التفضيلية مفضولا في اللفظ وإن كان مفضلا من حيث المعنى، وهذا دليل آخر على شدة ترابط الألفاظ مع مراعاة المعاني (رياض الجبوري،2005، ص:57- 58).

ومن المقارنة باسم التفضيل قوله تعالى: **(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)** (سورة آل عمران:166- 167)، فـ(أقرب) في الآية اسم تفضيل مستعمل في الدلالة على الزيادة في القرب، إذ هو مأخوذ من القرب المقابل للبعد (أبو حيان، 2001، ص:115/3)، أما وجه الزيادة، فهو أنهم كانوا يظهرون الإيمان قبل ذلك اليوم بقولهم: إنا مسلمون، وما ظهرت منهم أمارة تدل على كفرهم، فلما انخذلوا عن معسكر المؤمنين، وقالوا مقالتهم: **لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ**، ازدادوا قربا من الكفر، وبعدا عن الإيمان المظنون بهم (الزمخشري، 2002، ص: 204/1)، وقيل: إن معنى الآية يقوم على حذف مضاف، أي: «هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان؛ لأن تقليلهم لسواد المسلمين يجُر إلى تقوية المشركين» (الرازي،2001، ص:423/3).

وقول أكثر العلماء «أن هذا تنصيص من الله - تعالى- على أنهم كفار، قال الحسن: إذا قال الله - تعالى- (أقرب)، فهو اليقين بأنهم مشركون» (المصدر السابق، ص:423/3)، فإذا أخذنا الآية على ظاهرها لم يسلم لنا المعنى؛ لأنهم ليسوا قريبين من الإيمان حتى يقال: هم إلى الكفر أقرب، كما أن

قوله - تعالى- (يومئذ) يوحي ظاهره أنهم كانوا أقرب إلى الإيمان قبل ذلك اليوم، فلما عدلنا عن الظاهر إلى التقدير والتأويل صار المعنى: «ما يشاهد من حالهم يومئذ أقرب دلالة على أنهم يبطنون الكفر من دلالة قولهم: إنا مسلمون» (ابن عاشور،1997، ص:163/4) فخرجنا بدلالة السياق إلى معنى الآية المعهود.

وهنا نلحظ أن فعل التَّفضيل (أقرب) قد أسهم في ربط النّصّ كاملًا؛ شكلا ومعنى؛ حيث عقد مقارنة بين عنصري التفضيل، ترتب على عقدها إقامة علاقة دلالية هي علاقة المقارنة التي ربطت أجزاء النّصّ ببعضها، ربطا معنويا تجاوز مداه الجمل السابقة لأداة التفضيل ليشمل كل الجمل المتتالية لها، فحقق بذلك النصية للنص.

ومن المقارنة باسم التفضيل قوله تعالى: **(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)** (سورة البقرة:96) فقد ورد اسم التفضيل (أحرص) للمفاضلة في شدة الجشع وفرط الرغبة على الحياة، أي: لتجدن يا محمد اليهود في حالة دعائهم إلى تمني الموت، أحرص الناس على حياة (الطبري، 2001، ص:492/1)، ولم يقل - سبحانه - : ولتجدنهم أشد الناس حرصا على حياة، كما جاء في بيان عداوتهم للمؤمنين من قوله - تعالى: **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ)** (سورة المائدة:82)؛ لأن (أحرص) - في نفسه - يدل على فرط الرغبة والإرادة (ابن منظور، د.ت، ص:609/1)، فلا حاجة بعد ذلك تدعو إلى استعمال ما يدل على فرط رغبتهم وجشعهم، ك(أشد)، فالحرص لا يدل على الرغبة فحسب، بل يدل على فرط الإرادة والشره إلى المطلوب (المرجع السابق:609/1).

وأما قوله تعالى: **(وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا)**، فمعناه متعلق بـ(الواو)، وفي ذلك ثلاثة أقوال(الرازي،2001، ص:609/1): الأول: أن (الواو) عاطفة، والمعنى: أن اليهود أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا. ويجوز أن يكون في الكلام حذف، أي: وأحرص من الذين أشركوا، فحذف (أحرص)؛ لدلالة الأول عليه (الزمخشري، 2002، ص:87/1)، وهو من باب الحمل على المعنى؛ لأن معنى أحرص الناس: أحرص من الناس، الثاني: أنها استئنافية، وقد تم الكلام عند قوله: عَلَى حَيَاةٍ، وتقديره: من الذين أشركوا أناس يود أحدهم، على حذف الموصوف، الثالث: أن في الآية الكريمة تقديما وتأخيرا، وتقديره: ولتجدنهم وطائفة من الذين أشركوا أحرص الناس على حياة.

وما ذهب إليه أنصار القول الأول من ترجيح أصح وأولى؛ لأن من أراد أن يخص موصوفا بصفة ينفرد بها، حتى لا تكاد تذكر في غيره، فإنه يجمع سائر الموصوفين الذين يشاركونه في هذه الصفة، فيفضله عليهم بها، ثم ينتقل بعد هذا التعميم إلى التخصيص، فيذكر من اختصت بهم هذه الصفة حتى كادت تكون وقفا عليهم - وإن كانوا داخلين في الأول - فيفضله عليهم أيضا، لينتقل الحكم إلى المفضل الأخير (رياض الجبوري، 2005، ص:39- 42)، وعلى هذا يكون معنى الآية: لتجدن اليهود أحرص على الحياة من عامة الناس، وأحرص من الذين أشركوا، وإنما أفردوا بالذكر؛ لأن حرصهم شديد (الزمخشري، 2002، ص:87/1)، فيكون - سبحانه - قد حكم على اليهود بهذه الصفة الذميمة توبيخا لهم، ونلحظ من السابق أن المقارنة والمفاضلة التي عقدت بين طرفي التفضيل (المفضل والمفضل عليه) قد امتد أثرها ليشمل عدة جمل تحقق الاتساق بينها بعلاقة المقارنة، وقد ساعد في ذلك الوصل العطفي، وعوارض التركيب التي من بينها الحذف، والتقديم والتأخير.

ومن المقارنة باسم التفضيل قوله تعالى: (**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**) (سورة الكهف:54)، فاسم التفضيل (أكثر)هنا أضيف إلى المفضل عليه وهو (شيء) الذي جاء نكرة، والمفضل عليه النكرة تجب مطابقته لصاحب (أفعل) في الجنس والإفراد والتذكير وفروعهما(العليمي، د.ت، ص:104/2)؛ لذلك قيل في (شيء) في الآية: أنه مفرد بمعنى الجمع موافقة لصاحب اسم التفضيل وهو (الإنسان)؛ لأنه عام يشمل جميع الجنس (أبو حيان،2001، ص:131/6)، كما يجب أن يكون المضاف بعض المضاف إليه، بشرط إرادة التفضيل وبقاء معناه (أبو حيان،2011، ص:226/3)، ويكون معنى (أكثر شيء) على ذلك: أكثر الأشياء، فحذفت (أل) استغناء واختصارا، وترك بناء الجمع استخفافا (سيبويه، 1966، ص:203/1).

وكان اسم التفضيل (أكثر) المضاف إلى النكرة وسيلة التفضيل والمقارنة، ومعلوم أن أصل المضاف إلى النكرة أن يقترن بـ(من) (الصبان، د.ت، ص:47/3)، فتقدير الآية: وكان الإنسان أكثر من كل شيء جدلا، فحذفت (من كل) اختصارا، وأضيف (أكثر) إلى (شيء)، والمراد من إضافة (أكثر) إلى (شيء) إثبات كثرة الجدل عند المفضل وهو (الإنسان) في الآية على جنس المفضل عليه، وبناء عليه يكون معنى الآية: جدل الإنسان أكثر من جدل جميع الأشياء التي من شأنها الجدل والمحاورة إن عدت شيئا بعد شيء، فالعموم الذي أفادته النكرة جاء من اعتبار هذا الأصل، وإن كانت النكرة لا تعم في سياق الإثبات (العليمي، د.ت، ص:105/2،104)، فكان لفظ المقارنة (أكثر) قد عمل على ربط ما أضيف إليه بالسابق من الكلام، فحقَّق بذلك سبكًا للعبارات والجمل الواقعة قبل أفعل التَّفضيل وبعدها، ومن ثم فقد حقَّقت هذه الوسيلة المفاضلة بين طرفي التفضيل، وترتب على ذلك إحداث ترابط لفظي بأداة التفضيل، وترابط معنوي كان بعقد المقارنة بين عنصري التفضيل، وما نتج عنها من علاقة دلالية أفضت إلى تفضيل المفضل على المفضل عليه، وكان في الآية لذم كثرة الجدل عند الإنسان، أي: أن جدل الإنسان أكثر من جدل الأشياء التي يتأتى منها الجدل والخصومة إن فضلتها واحدا بعد واحد(الشنقيطي، 1996، ص:404/2)، وبهذا الاتساق - في الشكل والدلالة – الذي كان من أدواته (أفعل التفضيل) تحقق التماسك النصي للآيات السابقة.

نتائج البحث:

من خلال العرض السابق لمادة البحث يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج التالية:

1 -توصلت الدراسة إلى أن أدوات المقارنة بقسميها: العامة، والخاصة، هي عبارة عن صيغ وأدوات لفظية ذات صبغة دلالية تقوم بدور مهم في تحقيق النصية من خلال العلاقة الدلالية التي تنتجها عند الربط بالأداة بين طرفي التفضيل أو التشبيه، ومن ثم فالوسيلة التي تندرج تحتها هذه الأدوات هي وسيلة (الوصل الأداتي) لا الإحالة، كما قررت ذلك بعض الدراسات اللغوية.

2 -ترجح الدراسة أن طبيعة الدور الذي يمكن أن تؤديه أداة التفضيل هو إقامة علاقة دلالية بين طرفي التفضيل؛ إذ إنها أقرب إلى السمات الدلالية منها إلى المبهمات أو العناصر الإحالية.

3 -ظهر للدراسة أن من أدوات الربط في اللغة العربية التي تسهم في الاتساق النحوي على مستوى النص (أفعل التفضيل)، وهي عندما تعقد المقارنة بين الأشياء أو الأحداث أو الأشخاص يكون بعضها سابق لهذه الأداة، وبعضها الآخر لاحق لها، ويكون دور هذه الأداة هو ربط اللاحق بالسابق، وهو ما يحدث سبكا لفظيا بارزا على سطح النص، ينتج عنه إحداث علاقة دلالية، هي علاقة

المقارنة، وبهذا المعنى يتحقق للنص خاصية الاستمرارية والاتصال والتماسك لظاهر النص.

4 -أثبتت الدراسة أن (أفعل التفضيل) كغيرها من أدوات الاتساق النحوي أدت وظيفتها الدلالية بالنص عند عقد المقارنة بين عنصري التفضيل زيادة على كونها وحدات نحوية تربط بين الجمل بعضها ببعضها الآخر؛ فهي وحدات وظيفية تؤدي دورًا في تكوين النص.

5 -تبين للدراسة من خلال وقفة مع الشواهد القرآنية أن القرآن الكريم قد اعتمد كثيرا عند عقد المقارنة على صيغة التفضيل بمختلف أحوالها؛ لخلق علاقة دلالية تحقق الربط بين أجزاء النص، بما يضمن له سبكه، ومن ثم شدة ارتباطه وتماسكه.

توصية: توصي الدراسة بتتبع جميع أنواع الروابط في اللغة العربية ودراستها دراسة نصية؛ وذلك لبيان أهميتها ودورها في الربط بين عناصر النص وأجزائه المكونة له، بما يفضي إلى تحقيق النصية له، كما توصي بالاهتمام بالدراسات النصية الحديثة، وتتبع روافدها، وجعلها في مقررات دراسية تتناسب مع مراحل التعليم المختلفة؛ لتكون تلك الدراسات وصفية قائمة على التحليل لكل الروابط الشكلية والمضمونية والتداولية والتواصلية المشكلة للنص، مع بيان أهميتها في إحداث التماسك النصي، ودورها الفاعل في التمييز بين ما هو نص وما ليس بنص.

ثبت المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم).**

أولا: المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

-الإبداع الموازي (التحليل النصي للشعر)، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، (د - ط)، 2001م.

-أثر عناصر الاتساق في تماسك النص (سورة يوسف مثالا)، محمود سليمان حسين الهواوشة، دار عماد الدين للنشر والتوزيع - عمان، ط1، 1430هـ - 2009م.

-الإحالة في نحو النص (دراسة في الدلالة والوظيفة)، د. أحمد عفيفي، بحث منشور مقدم للمؤتمر الدولي الثالث للعربية والدراسات النحوية، بعنوان: (العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، 2005م.

-أدوات التشبيه (دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم)، د. محمود موسى حمدان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1428ه – 2007م.

-ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي الجياني الغرناطي الأندلسي، (ت: 745هـ)، تحقيق: محمد عثمان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2011م.

-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو سعود العمادي بن محمد بن مصطفى(ت:982ه) دار إحياء التراث العربي- بيروت2010.

-إشكالات النص (المداخلة انموذجا) دراسة لسانية نصية، د. جمعان بن عبد الكريم،، النادي الأدبي- الرياض، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 2009م.

-أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، د. محمد الشاوش، والمؤسسة العربية للتوزيع - تونس، ط1، 1421هـ = 2001م.

-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، (ت: 1393هـ)، وتتمته لتلميذه: عطية محمد سالم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، (د - ط)، 1415هـ - 1995م، وطبعة: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط1، 1417هـ = 1996م.

-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد بن عبد الله جمال الدين، ابن هشام الأنصاري(761ه)، ومعه كتاب (بغية السالك إلى أوضح المسالك) تأليف: عبد المتعال الصعيدي، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان،1402=1982م.

-البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الجياني، (ت: 754هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ = 2001م.

-التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي، (ت:743هـ)، تحقيق: د. هادي عطية، دار النهضة العربية.

-التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، (د - ط)، 1997م.

-تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ)، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط1، 1423هـ = 2002م، وطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه.

-تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت: 774هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط1، 1420هـ = 2000م.

-التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الشافعي، (ت: 606هـ)، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط4، 1422هـ = 2001م.

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ) ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي – بيروت– لبنان، ط1، 1421هـ = 2001م.

-الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: 671هـ) تحقيق: سالم مصطفى البدري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1420هـ = 2000م.

-حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد الخضري(ت 1288هـ) وبهامشه شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، راجعته وصححته لجنة علمية، مطبعة الاستقامة - القاهرة، 1372هـ = 1953م.

-حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان(ت 1025هـ)، دار

إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه - بيروت، (د. ت).

-حاشية ياسين على شرح التصريح: الشيخ ياسين بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن عليم الحمصي الشافعي، الشهير بالعليمي، (ت: 1061هـ)، بهامش شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك، خالد بن عبد الله الأزهري، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه - بيروت، (د - ت).

-الخطاب الشعري عند محمود درويش، محمد فكري الجزار، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1، 2001م.

-دينامية النص(تنظير وإنجاز)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط2، 1990م.

-شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترآباذي (ت: 688هـ) تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، 1398هـ = 1978م.

-شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله، محمد بن مالك الأندلسي (ت: 672هـ) حققه وقدم له: عبد المنعم هريري، دار المأمون، مكة المكرمة - السعودية، ط1، 1402هـ = 1982م.

-ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، (دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة)، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع - القاهرة، ط1، 1427هـ - 2006م.

-عروس الأفراح (شرح تلخيص المفتاح)، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين الاتساقي، (ت:763هـ)، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة – مصر، (د - ت).

-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1، 1421هـ - 2000م.

-علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق: أ. د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، القاهرة - مصر، ط2، 2005م.

-علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط2، 1431هـ - 2010م.

-علم لغة النص (النظرية والتطبيق) د. عزة شبل محمد، تقديم: أ. د. سليمان العطار، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط2: 1430ه – 2009م.

-في اللسانيات المعاصرة (دراسات ومثاقفات) د. محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م.

-الكتاب، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (ت: 180هـ)، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط1، 1385هـ - 1966م.

-اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص، سراج الدين، عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، (ت: 775هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعية: د. محمد سعد رمضان حسن، ود. محمد المتوالي الدسوقي حرب، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ = 1998م.

-اللغة والإبداع الأدبي، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط2007،2م.

-لسان العرب، جمال الدين، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، (ت: 711هـ)، قدم له: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، (د. ت).

-لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، د. محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط1، 1991م.

-معاني القرآن، أبو زكريا، يحيى بن زياد الفراء، (ت: 207هـ)، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط3، 1403هـ = 1983م.

-نسيج النص(بحث ما يكون به الملفوظ نصا)، د. الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1993م.

-النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة - مصر، ط1، 1418هـ = 1998م.

-نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان - القاهرة، ط1، 1997م.

-نظرية علم النص(رؤية منهجية في بناء النص النثري)، د. حسام أحمد فرج، تقديم: أ. د. سليمان العطار، وأ. د. محمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1، 1428هـ = 2007م.

❖ **ثانيا: الرسائل والأطروحات العلمية:**

-أدوات الربط في القرآن الكريم والتوراة، دراسة تركيبية مقارنة، حسام محمد محمد أبو علي، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1432ه = 2011م.

-اسم التفضيل في القرآن الكريم (دراسة دلالية) رياض يونس خلف الجبوري، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية التربية - جامعة الموصل، 1426هـ = 2005م.

-وسائل الربط النصي في شعر عمر بن الفارض، إعداد الباحث: عبد العزيز صابر عبد العزيز خليفة، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، 1426هـ - 2005م.

❖ **ثالثا: المقالات والدوريات:**

- الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه، د. محمد محمد يونس علي، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، العدد:3، المجلد: 9، سبتمبر 2009م.
- أسلوب التفضيل في القرآن الكريم، أحمد عبد الستار الجواري، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد - العراق، المجلد (38)، الجزء (1)، 1407هـ = 1987م

اقتران الأضداد من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم
إستبرق و سندس- أنموذجا

د. نجمة خليفة عطية ، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الزيتونة

مقدمة:

أهمية معرفة الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم

الحمد لله ربِّ العالمين حمدا كثيرا يوافي نعمه ، فهو أهل الحمد و الثناء ، و الصلاة والسلام على رسوله وصفوته سيدنا محمد الذي لا نبي بعده ، و على آله و صحبه الذين آزروه و نصروه ، و اتبعوا النور الذي أُنزل عليه ، بلغة هي أرقى اللغات وأكثرها سموا و رفعة ، وبعد:

إنَّ اللغة ترتقي " و تنحط بارتقاء الأمَّة الناطقة بها و انحطاطها و تَّتسع بمقدار سعة العقول ، فإنَّ اللغة ما وضعت إلاَّ للتعبير عن المراد و تصوير الفكر النفساني فلا بدع إنْ أخذت سعة كلَّما اتَّسعت الأفكار، ألا ترى الصَّبيَّ كلَّما شبَّ كان أشدَّ احتياجاً إلى تعلُّم الكلمات والجُمل ، و لذا نرى لغات الأمم المتوحشة تكاد تنحصر في عدد معلوم من الألفاظ ، و كذلك نرى الطفل يتعلم من اللغة مقدار ما يفي لحاجاته ، و نرى اللغة في الأمَّة الواحدة تتَّسع إذا ارتقت وتنسى إن انحطت الأمَّة عن شامخ مجدها إلى حضيض السقوط؛ و لذلك كان العلماء أحوج الناس إلى التوسُّع في اللغة"(ابن عاشور،ط2، 2007م ، ص187). يقول السجستاني تـ (248هـ) معللاً لتأليف كتابه في الأضداد:" حملنا على تأليفه أنَّا وجدنا من الأضداد في كلامهم و المقلوب شيئاً كثيرا فأوضحنا ما حضر مِنه إذ كان يجيء في القرآن الظنُّ يقيناً و شكّاً ، و الرَّجاء خوفاً وطمعاً وهو مشهورٌ في كلام العرب ، و ضدُّ الشيء خلافهُ و غيرُهُ فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرفُ لغات العربِ أن الله عزَّوجل حين قال:﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الذين يظنون ...﴾ { البقرة 45- 46} وإنما المعنى يستيقُنون ، و كذلك في صفة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ { الحاقة 19}إني ظننتُ يريد إنِّي أيقنتُ و لو كان شاكا لم يكن مؤمناً" (السجستاني:1912، ص72).

والعلم يشرف بمتعلقه ، وألفاظ الأضداد لها علاقة بتفسير كتاب الله ، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾{ النساء:82}، و لأغراض بلاغية تخصُّ المعنى فجمع القرآن الكريم بين اللفظ و ضده في الموضع الواحد ، في نحو قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾{ البقرة: 108}،وقوله أيضا في مقابلة الكفر بالإيمان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾{ آل عمران:177}،وقال سبحانه:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ{ البقرة: 16}،وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ {النّحل19}، و نظيره قوله عزوجل:﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ {النّمل25}.

و هو ما يُسمَّى بالتَّضادُّ العرفي، ويكون في شيئَيْن مُختلفَيْن في الواقع اختلاف تضادٍّ تناقضي؛ نحو: (العدل والظُّلم)، و(الخير والشَّر)، و(السّلام والحرب)، و(الرّفق والعُنف).و هذا الضرب من الأضداد أطلق عليه ابن الأنباري تـ (328هـ):(الألفاظو المعاني: النقائض و المترادفات)، إذ يقول:" إن أكثر كلام العرب يأتي على

ضربين آخرين، أحدهما: أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين كقولك: الرجل و المرأة و الجمل و الناقة...."(ابن الأنباري:PDF)

و سوف تتناول الباحثة هذا الضرب من الأضداد ، من خلال دراستها للفظتين متضادتين اجتمعتا في موضع من القرآن الكريم ، وهما (إستبرق و سندس)، و قد اقترنت لفظة (إستبرق) بلفظة (بطائنها) في موضع يمثل ضربا آخر من التضاد ، و لأهل اللغة و التفسير حوله رأي مختلف. وليس من شأن هذه الدراسة البحث في الألفاظ التي تحمل معنيين متضادين ، كالقنيص للصائد والمصيد ، و الجَلل للعظيم و الحقير ، و إنما تهتم بدراسة الكلمة و نقيضتها، و لعل الثعالبي تـ (429 هـ) في كتابه (فقه اللغة) ، و ابن السِّكيت تـ (244هـ) في كتابه (تهذيب الألفاظ) ، و الهمذاني تـ (395هـ) في كتابه (الألفاظ الكتابية) من أوائل المهتمين بهذا الضرب من الأضداد.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الورقة البحثية في أنها تتطرق لدراسة بعض ألفاظ القرآن الكريم، و بيان معناها ، و التنويه إلى جذورها اللغوية ، ومناقشة آراء اللغويين و المفسرين حولها ، و فيما تضفيه على البحث اللغوي في باب التضاد من جديد ؛ لإفادة الدارسين والباحثين و المهتمين باللغويات القرآنية.

منهجية البحث:

عمدت الباحثة إلى رصد مواضع لفظتي (إستبرق) و (سندس) في القرآن الكريم، منفردة كل لفظة بمنعزل عن الأخرى ، و مجتمعة معها في مواضع أخرى ، فتناولت كل واحدة منهما بالبحث و الدراسة.

ثم عرجت الباحثة إلى بيان أهمية اقترانهما و أثره على السامع، فقد جمعا بين الضدين في اللباس، إحداهما تعني الرفيع المباشر للجسد ، و الأخرى تدل على الغليظ الذي يليه.

و لم تغفل الباحثة عن البلاغة و الإعجاز في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن54] ،لما اشتملت عليه الآية الكريمة في قوله (بطائنها) من معنى التضاد.

و اتبعت الباحثة المنهج التاريخي في توضيح معنى اللفظتين و استعمالاتهما عند العرب و العجم ، و بيان جذورهما اللغوية التي تنحدر من أصول غير عربية ، و مناقشة آراء اللغويين و المفسرين حولهما منفردتين

و مجتمعتين ، و ما يضفيه اقترانهما على المعنى و أثره على المتلقي.

هيكلية البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى المحاور الآتية:

أولاً: تعريف الأضداد.

ثانياً : لفظة (إستبرق) معناها و جذورها اللغوية.

ثالثاً : لفظة (سندس) معناها و جذورها اللغوية.

رابعاً : أهمية اقترانهما و أثره على المتلقي.

خامساً: البلاغة و الإعجاز في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾.

و قد أنهيتُ البحث بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها. ثم ذيلتُ البحث بثبت للمراجع التي اعتمدت عليها ، على النحو الذي الآتي:

أولا: تعريف الأضداد

يُعرِّف أبو الطيب اللغوي تـ (351هـ) هذا الضرب من الأضداد قائلا: " الأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضداً له ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان ، وليسا ضدين ، وإنما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم فالاختلاف أعم من التضاد ، إذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين "(أبو الطيب:PDF) . و جاء في تاج العروس:" السواد ضد البياض ، و الموت ضد الحياة. قال الليث: و يقال: لقي القوم أضدادهم و أندادهم ، أي أقرانهم. و قال الأخفش: الندُّ هو الضد و الشبه. و قال ابن السكِّيت: حكى لنا أبو عمرو: الضدُّ مثل الشيء، والضدُّ: خلافه" (الزَّبيدى ، س . و.د)، و في المصباح المنير:" الضِّدُّ هُوَ النَّظِيرُ وَالْكُفْءُ وَالْجَمْعُ أَضْدَادٌ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الضِّدُّ مِثْلُ الشَّيْءِ وَالضِّدُّ خِلَافُهُ وَضَادَّهُ مُضَادَّةً إذَا بَايَنَهُ مُخَالَفَةً وَالْمُتَضَادَّانِ اللَّذَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ كَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ". (الفيومي، ضد د). و أطلق عليه التضاد العرفي وهو ظاهرة اجتماعية كـ (الإيمان و الكفر)، و(العدل و الظلم)، و(الخير و الشر).(انظر: إسلامبولي،PDF) ، وقد خصَّه ابن الأنباري بباب (الألفاظ و المعاني: النقائض و المترادفات)- كما مرَّ بنا.

ومن هذا الضرب من الأضداد الإستبرق و السندس ، و قد جمع القرآن بينهما في غير موضع ؛ لذا رأينا أن نخصَّهما بورقة بحثية نهدف من خلالها للتعرض لمعناهما ، و جذورهما اللغوية الغير عربية، ومواضع ورودهما في آي القرآن الكريم، و أهمية اقترانهما و أثره على المتلقي، و آراء المفسرين و اللغويين حولهما.

ثانياً : لفظة (إستبرق) معناها و جذورها اللغوية

الإستبرق: صنف من الديباج الغليظ . والديباج : نسخ غليظ من حرير، و الاستبرق ينسخ بخيوط الذهب ، أو أنّه منسوج من الحرير المنقوش ، ويلبس فوق الثياب المباشرة للجلد ، وهو أجود أنواع الثياب (انظر: الزَّجاج،(1988)،262/2 ، والجواليقي: (1998) ، ص 14، ابن عاشور :(د.ت)، 313/15 ، 317/25، 268/27- 269، شير:1990، ص10، وبراجشتراسر:2003، ص 215 ، وألتونجي:2005، ص 192 ، وله معان أخر وردت في القاموس المحيط : (الفيروزآبادي ، 1999، برق).

و" الاستبرق : ما غلظ من الديباج بالفارسية ، وأمَّا السندس فهو مارَقَّ منه ، فالاستبرق باطنه ، والسندس ظاهره ، ومنه قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن 54] ، " أي : وظواهرها من السندس ؛ ومنه أيضا : ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الدخان53] ، وفي لغة القبط البطائن هي الظواهر(القليبي:2002 ، ص 28، والعنيسي:1932، ص 3 ، واليسوعي:(د.ت)، ص 217). فاقترن السندس و الاستبرق في القرآن الكريم .

وورد أربع مرات في القرآن الكريم ، مرة واحدة في سور : الكهف ، والدخان ، والرحمان ، والإنسان ، كما سيأتي بيانه.

وهو من الألفاظ التي اختلف في تعيين أصولها الأعجمية ، والتي أشار إليها ابن عاشور جميعا في غير موضع من المواضع التي وردت فيها من آي القرآن الكريم ، جمعها في أول موضع وردت فيه ، معززا أقواله بما رُوي عن العلماء الأئمة ، ومشيراً في بعضها إلى ما سبق ذكره ، فقال في أثناء تعليقه على قوله تعالى :﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾[الكهف31] : " أمَّا الاستبرق فهو معرَّب عن الفارسية . وأصله في الفارسية (إستبره) أو (إستبر) بدون هاء ، أو (إستفره) ، أو (إستقره). وقال ابن دريد : هو سرياني عُرِّب وأصله (إستروه) . وقال ابن قتيبه : هو رومي عُرِّب ؛ ولذلك فهمزته همزة

قطع عند الجميع ، وذكره بعض علماء اللغة في باب الهمزة وهو الأصوب ، ويجمع على أبارق قياسا على أنهم صغّروه على أبيرق فعاملوا السين والتاء معاملة الزوائد"(ابن عاشور: (د.ت)،15/313).

وقال في آية الدخان :﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [53] : " هو معرَّب (إستبره) فارسية (المرجع نفسه ،25/317).

وزاد على ذلك في أثناء تعليقه على قوله عزَّ وجل : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن54]- حكاية عن الرازي والفيروز آبادي فقال : " قال الفخر : وهو معرّب عن الفارسية ، عن كلمة (سْتبرك) بكاف في آخره علامة تصغير (ستبر) بمعنى ثخين ، وقد تقدم في سورة الكهف ، فأبدلوا الكاف قافاً ، خشية اشتباه الكاف بكاف الخطاب ، والذي في القاموس (الاستبرق) : الديباج الغليظ ، معرّب (اسْتروه) ، وقد تبين أنَّ الاستبرق : صنف من الديباج ، والديباج : ثوب منسوج من الحرير منقوش ، و هو أجود أنواع الثياب(المرجع نفسه : 27/268 – 269 ، وانظر: الرازي:(د.ت)،21/112، و السيوطي:(د.ط)،ص71)، وبالرجوع إلى القاموس ثبت أنَّ الأصل : (استبره). انظر : (الفيروزآبادي: 1999، ص781).

أمَّا في أثناء تفسير قوله تعالى :﴿ عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ [الإنسان21] ، فاكتفى ابن عاشور بالإشارة إلى موضع سابق ، مبينا الفرق بين السندس و الاستبرق ، فقال:" السندس الديباج الرقيق ، و الاستبرق الديباج الغليظ ، وتقدما عند قوله تعالى :﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ في سورة الكهف ، وهما معرَّبان ، ثمَّ قال :" أمَّا الاستبرق فنسج من نسج الفرس واسمه فارسي ، وأصله في الفارسية : استقره (ابن عاشور: (د.ت) ،29/399).

من النصوص السابقة يتضح لنا مايلي :

- إنَّ ابن عاشور قطع القول بأن (استبرق) معرَّب عن الفارسية ، ولم يجزم بأصل اللفظة ، أكان من (إستبره) أو (استبر) بغير هاء أو (إستفره) أو (إستقره) ، فرواها جميعا.
- لم يغفل ابن عاشور عن التنويه عمَّا ذكره السابقون ، أمثال ابن دريد وابن قتيبة ، فأجاز في الأول كونه سريانيا ، وأصله (إستروه) ، واختار الثاني أنَّه رومي معرَّب .
- روى عن الرازي ما استحدث في اللفظة من تغيير ، وهو إبدال كاف الأصل (استبرك) قافا ، لئلا تلتبس بكاف الخطاب .
- رأى أنَّ الأصوب في همزته أن تكون همزة قطع ؛ لذا جعله بعض علماء اللغة في باب الهمزة ، ويجمع جمعاً قياسياً على أبارق ، وصُغِّر على أبيرق ، فعاملوا السين والتاء معاملة الزوائد. وسنتعرض بعد حين لآراء اللغويين حول الأصول والزوائد في (استبرق) ، وجمعه وتحقيره ، وهمزة أوله إذا ما كانت همزة وصل أم قطع ، وصرفه أو منعه من الصرف .

ولا خلاف في القول بأعجمية (استبرق) فارسي الأصل ، غير أن الجواليقي اختار من الأصول التي رواها ابن عاشور- فيما بعد- عن الأئمة (استفره) ، فقال :" غليظ الديباج ، فارسي معرَّب ، وأصله (استَفْرَه) ، وقال ابن دريد (إستروه) ، ونقل من العجمية إلى العربية فلو حُقر (استبرق) أو كُسِّر لكان في التحقير (أبيرق) ، وفي التكسير (أبارق) بحذف التاء و السين جميعا(الجواليقي: 1998، ص14) ، وأشار إلى فارسيته الزركشي ، (انظر: الزركشي ، 1/288) ؛ لأنهما زائدتين.

ذهب ابن قتيبة إلى أن السندس رقيق الديباج و الإستبرق ثخينه. و روى عن آخرين أنه فارسي معرب أصله استبره و هو الشديد (انظر: ابن قتيبة ،1398هـ ، ص 267)

وأشار السيوطي من المتأخرين إلى أعجميته مرة ، وإلى أنَّ أصله (استروه) مرة أخرى (انظر: السيوطي،1997 ، 109/2 ، و(د.ت) : 280/1).

ومن أصحاب المعاجم غير الفيروز آبادي ، الجوهري وابن منظور ، فيما نقله عن الجوهري أنه من قبيل توافق اللغات ، وعلق عليه بأنه الصواب (انظر: الجوهري ،1984 ، (برق) ، و ابن منظور:(د.ت)،(برق)

وعن آدّي شير أنَّه "معرّب عن اسْتَبر (معجم الألفاظ الفارسية المعربة : ص 10)"، وزاد براجشتراسر ، أنه (استَبر)" بإلحاق(ak) وهي كثيرة جداً في الأوصاف الفارسية (براجشتراسر: 2003، ص 215).

وذهب بعض المحدثين إلى خلاف ذلك ، فقال : إن أصله (إسْتَبْره) حولت الهاء إلى قاف في أثناء التعريب(انظر: ألتونجي:2005 ، ص 192).

وهو رأي الزَّجاج (انظر، الزَّجاج ،1988، 262/5) وتبعه الزمخشري (انظر: الزمخشري،(د.ت)، 673/4.) والرَّضي في شرحه للشافية ، معللاً ذلك بأنَّه لمَّا عُرِّب حُمل على ما يناسبه من أبنية ألفاظ اللغة العربية ، فلم يجدوا له من أبنية الأسماء شيئاً ؛ لأنه يناسب نحو بناء (استخرج) من الأفعال ، أو مصدره (استخراج) من أبنية الأسماء ، باجتماع الألف والسين والتاء في أوله فحُكم بزيادتها حملاً على نظيره.

وإذا أردوا تكسيره لزم حذف اثنين من الزوائد ، فلم يحذفوا الهمزة بالضرورة ؛ لفضلها بالتصدر ، وهي همزة قطع ؛ لذا حذفوا السين والتاء(انظر:الإستراباذي ،1982، 264/1.).

إلاَّ أنَّ أبا عليٍّ كان الأسبق إلى ذلك فقال : " أما الاستبرق فلا تخلو حروفه من أن تكون أصلاً كلها ، أو يكون بعضها أصولاً ، وبعضها زائدا ، فلا يجوز زائدا أن تكون كلها أصولا ؛ لأنّه ليس في كلامهم في الأسماء والأفعال ما هو على ستة أحرف أصول ، فإذا لم يجز ذلك ثبت أنَّ منها أصولاً ومنها زائدا ، فإن حكمت أنَّ الهمزة وحدَها هي الزائدة لم يجز؛ لأنّ الهمزة إذا لم تلحق زائدة أوائل بنات الأربعة ، فأن لا تلحق بنات الخمسة أجدر ، فإذا لم يجز أن تكون أصلا ، ولم يجز أن تكون وحدها زائدة ، فلا بدَّ من أن ينضمّ معها في الزيادة غيرها ، فلا يجوز أن يكون في المنظمّ معها في الزيادة السين ؛ لأنَّ السين لم تزد مع الهمزة أولاً ، ولا يجوز أن تكون التاء والهمزة ، كما لم يجز أن تكون الزيادة مع السين ، فإذا لم يجز أن تكون التاء ولا السين زائدين على انفرادهما ؛ لأنهما لم يجيئا على هذا الوصف ، علمت أنَّ الزيادة هي التاء والسين مع الهمزة ، وأنَّ الكَلمة من الثلاثة ، ولما نقلت فأعربت وافق التعريب وزن استفعل الذي هو مثال من أمثلة الماضي ، إلاَّ أنّ الهمزة منه قُطعت للنقل من مثال الفعل إلى الاسم ، وكان قطع الهمزة أحد ما نُقل به الفعل إلى أحكام الاسم ... وجعل النحويون هذا الحرف ، ومجئ الهمزة مقطوعة فيه أصلا لجميع ما في أوله همزة موصولة ، إذا نُقل فسمي به ، فقطعوا الهمزة في جميع ذلك فقالوا : لو سميت رجلاً بـ : اضرِب أو اشرب ، أو اقتل ، لقطعت الهمزة في جميع ذلك (الفارسي: 1998، 359/6- 360).

لعل ذلك كان دافعاً لابن محيصن لأن يقرأ (واستبرق) (انظر: المرجع نفسه : 360/6، و ابن جنِّي:1998، 355/1، و البنا: 1987، ص 406) موصولة الألف مفتوحة الآخر ، فأراد أن يجعله على مثال الماضي بمعنى بَرق، وعلَّق على ذلك ابن جنِّي قائلا : " هذه صورة الفعل ألبتة ، بمنزلة استخرج ، وكأنه سمّى بالفعل وفيه ضمير الفاعل ، فحُكي كأنه جملة ، وهذا باب إنّما طريقة في الأعلام ، كتأبط شرّا ، وذَرّى حبّا ، وشاب قرناها . وليس (الإستبرق) علما يسمّى بالجملة .... إنما استبرق : إذا بلغ فدعا البصر إلى البَرق .... (3) (ابن جنّي:2001، 79/3 ، 273/3 ، و ابن جنِّي:1998، 255/2) ، ولست أدفع أن تكون قراءة ابن محيصن

(3) وأراد بالآخر ، قائل : ❖ فمالِكُ مَوتٍ بالقضاء دهاني ❖

بهذا ؛ لأنّه توهم فعلاً ، إذا كان على وزنه فتركه مفتوحاً على حاله ، كما توهم الآخر أن ملَك الموت من معنى المِلْك"(ابن جنّي:1998، 355/2).

وردّه أستاذه أبو عليٍّ ردّا صريحاً ؛ لأنَّه من باب توافق الألفاظ بين لغتين – كما مرَّ بنا في غير هذا الموضع– فقال :" إنَّا لا نعلم استبرق استعمل في كبرق ، وإنما وافق اللفظُ اللفظَ في التعريب ، فوافق لفظه استفعل .... وإذا كان كذلك لم ينبغ أن يُجعل مثال الماضي ، ولكنه اسم جنس ، ولا ينبغي أن يحمل الضمير الذي يحتمله نحو : استخرج ويدل على ذلك دخول لام المعرفة عليه ، والجار في قوله : ﴿ بطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ ، فإذا كان كذلك ففتحة لا يجوز، إذ ليس بفعل ، وإذا لم يكن فعلاً كان اسماً أعجميا معرَّبا واقعاً على الجنس ، كما أنَّ السندس والخزَّ والكتان كذلك ، فإذا كان اسماً أعجميا ، كان بمنزلة الدِّيباج ، والفِرنْد ، والإبريسيم ، ونحو ذلك من الأسماء المنقولة ، نكرة ، وليس من باب إسماعيل ، و إبراهيم ، وإذا كان من هذا الضرب لم يكن فيه إلاَّ الصرف ، إلاَّ أن يسمِّى به شيء فينضمّ إلى مثال الفعل التعريف ، وإذا لم يكن كذلك ، فترك الصرف منه لا يستقيم"(الفارسي:1993، 360/6- 361). وتبعه الزمخشري في قوله بعدم صحة قول من زعم أن (استبرق) مسمّي باستفعل من البرق (انظر: الزمخشري،(د.ت) 673/4)، وسبقه الزَّجاج إلى تغليط من ادّعى أنَّه منع من الصرف لأعجميته ، للأسباب نفسها التي ذكرها أبو علي (انظر: الزَّجاج: 1988،262/5- 263).

ولا يفوتني أن أنوه إلى أنَّ العكبري انفرد عن السابقين و اللاحقين في قوله بأن (استبرق) جمع (استبرقه) ، وهو اسم جنس (انظر: العكبري،1998، 103/2).

وخلاصة القول إن ابن عاشور لم يخالف العلماء في جميع أقواله التي سبق ذكرها ، مهتماً بالردِّ على من زعم أنَّ (استبرق) ليس بأعجمي[1]، وهو في الواقع للسيوطي ، أوجزه ابن عاشور ، بعد أن عزاه إلى صاحبه في مستهل الاقتباس وخاتمته ، فقال :" وفي الإتقان للسيوطي ... هذه خلاصة على كلامه على تطويل فيه (ابن عاشور:(د.ت)، 313/15- 314).

ورغبنا الرجوع إلى الإتقان ، فرأينا السيوطي يروي عن بعضهم ما يجد فيه دفاعاً عن القرآن الكريم ، وإن وردت فيه ألفاظا أعجمية ؛ لأنّ ذلك لا يقلل من شأن فصاحته و إعجازه ، وفي ذلك دليل يؤكد أعجمية (استبرق) ، فقال: " إنْ قيل إن (استبرق) ليس بعربي ، وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة ، فنقول : لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظٍ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك ... ولا يجد العربي لفظا واحدا يدلّ عليه ؛ لأن الثياب من الحرير عرَفها من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثخين اسم ، وإنما عرّبوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلّة وجوده عندهم ونزرة تلفظهم به ... فعلم بهذا أن لفظ (استبرق) يجب على كل فصيح أن يتكلم به موضعه ، ولا يجد ما يقوم مقامه ، وأي فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله "(السيوطي:1997 ، 107/2- 108).

ثالثاً : لفظة (سندس) معناها و جذورها اللغوية

[1] من هؤلاء خليل عمران المنصور في تحقيقه لكتاب الجو اليقي :" يرجح أن الكلمة عربية وليست معرّبة ، كما زعم الكثير من اللغويين ، لأنّها من ألفاظ القرآن وليس في القرآن معرّب عدا الأعلام . حاشية المعرّب من الكلام الأعجمي : ص 14.

السندس صنف من الثياب الخضر من الدِّيباج الرقيق النفيس ، الذي يلبس مباشرا للجلد ليقيه غلظ الاستبرق . وقد سبقت الإشارة إلي ذلك - والظاهر أنّه لا يُصْبَغ إلاَّ أخضر اللون ؛ لأنه أمتع للعين (انظر: الجواليقي ، 1998، ص 90 ، والسيوطي:1997، 2 / 113 ، والخفاجي:(د.ت)، ص 166 ، و القليبي:2002، ص 136 ، والقنوجي: 1878، ص 23 ، د واليسوعي:(د.ت)، ص 260) ، قال تعالي : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ ﴾[1] الإنسان 21].يقول ابن منظور:" وفي الحديث: أن النبي- صلى الله عليه و سلم- بعث إلى عمر- رضي الله عنه- بجبَّة سندس ، قال المفسرون في السندس: إنه رفيق الديباج و رفيعة ، و في تفسير الإستبرق: إنه غليظ الديباج ولم يختلفوا فيه. قال الليث: و لم يختلف أهل اللغة فيها أنهما معربان ، و قيل: السندس ضرب من البرود"(ابن منظور:(د.ت)، سندس).

وبيَّن ابن عاشور سبب التسمية في أثناء تعليقه على آية سورة الإنسان ، مستشهدا ببعض من الشواهد الشعرية ، مما سمع عن العرب ، فقال :"قيل إنَّ سبب هذه التسمية أنَّه جلب إلى الاسكندار ، وقيل له : إن اسمه (سندون) فصيره للغة اليونان سندون ؛ لأنَّهم يكثرون تنهية (لأسماء بحرف السين) ، وصيره العرب سُندساً. وفي اللسان : أنَّ السندس يتخذ من المِرْعِزّى (كذا ضبطه مصححه) والمعروف المِرْعِز كما في التذكرة وشفاء الغليل ، وفي التذكرة المِرْعِز : ما نَعُم وطال من الصوف اهـ . فلعله صوف حيوان خاص فيه طول أو هو من نوع الشَعر ، والظاهر أنّه لا يكون إلاَّ أخضر اللون ؛ لقول يزيد بن حذاق العبدي يصف مرعى فَرسه :(ابن عاشور:(د.ت)، 15/312 ، 29 /399 ، و ألتونجي:2005، ص 199).

وداوَيْتُها حتى شَتَتْ حَبَشيّة كأنَّ عليها سُندساً وسُدُوساً

أي في أرض شديدة الخضرة كلون الحبَشي. وفي اللسان : السدوس الطيلسان الأخضر. ولقول أبي تمام يرثي محمد حميد النبهاني الطوسي :

تَرَدّى ثياب الموتِ حُمْرا فما أتى لها الليلُ إلاَّ وهْيَ من سُندس خُضْرُ "(ابن عاشور:(د.ت)،29/399)

وورد في الشعر العرب – غير ما سبق - في نحو قول الرجز:(انظر: الجواليقي ،1998 ، ص 3)

وليلةٍ من الليالي حِنْدِسِ لَوْنُ حواشيها كَلَوْنِ السُّنْدِسِ

وقال المَتَلمِّس : (ألتونجي:1998، ص 112)

له جُدَدٌ سُودٌ كأنَّ أرِنْدجاً بأكْرُعِهِ وبالذِّراعَيْنِ سُنْدس

وهو من الألفاظ التي قطع اللغويون القول بأعجميتها ، وإن اكتفى بعضهم بالإشارة إلي أنّه معرّب وسكت عن أصله أمثال الجواليقي في قوله : "السندس رقيق الدِّيباج ، لم يختلف فيه المفسرون. وقال الليث :"السُّندس ضربٌ من البُزْيُونِ يُتخَّذ من المِرْعِزَاءِ ، ولم يختلف أهل اللغة في أنَّه معرّب "(الجواليقي:1998، ص90)، وصاحب القاموس(آل علي:1979، ص163) - فيما روي عنه . والخفاجي (الخفاجي:(د.ت)، ص166)، والقنّوجي (انظر: القنوجي،1878، ص 23).

ونقل السيوطي عن الجواليقي أنَّه فارسي ، وعن الليث أنَّه معرَّب، وعن شيذلة أنه هندي (السيوطي:1997،2/113) ، يقول السيوطي:" ذكر الثعالبي في فقه اللغة أنه فارسي و قال الليث- رحمه الله- : لم يختلف أهل اللغة و المفسرون في أنه معرَّب ، و قال شيدلة: هو بالهندية" (السيوطي:(د.ت)، ص81). كذا في التحفة القليبية ، أشار إلى الفارسية والهندية معا (ص136)، ونقل الألوسي عن بعض المتأخرين أنّه هندي (الألوسي:2005،5/56)، وقيل : يوناني sindhon (انظر: اليسوعي، (د.ت)، ص260) ، و يرى الشيخ حمزة فتح الله أن (سندس) مُعرَّب بالهندية أو الفارسية ، وروى: أنه فارسي. (فتح الله ، د.ت ،).

و روي عن المستشرق Dvorak أنه من (سَنْدكُس): باليونانية و هو حسب ما ذكر (سترابو) يطلق على ملابس نساء مفصَّلة من كتَّان رقيق شفاف بلون اللحم(السبحان: المعرَّب و الدخيل:ص256). و في الرد على هذا الرأي يقول الدكتور السبحان:" إن صح هذا القول فإنه عرب بحذف الكاف ، فأصبح (سندس) و حركة الدال في الأصل كسرة بتدوير الشفتين و هذه الحركة تبدل كسرة حيناً و ضمة حينا آخر، و هنا أبدلت ضمة و كذلك ضمت السين ليكون المُعرب على وزن فعلل"(نفس المصدر و الصفحة: المعرب و الدخيل في اللغة العربية ، عبد الرحيم عبد السبحان ، رسالة دكتوراه مخطوطة محفوظة بالمكتبة المركزية- جامعة الأزهر ، تحت رقم ، 538).

فاتضح لنا أن اختلاف اللغويين لم يكن حول القول بأعجميته بقدر ما اختلفوا في تحديد أصله اللغوي الذي ينتمي إليه السندس هندي أم يوناني أم فارسي ؟

فإذا انظرنا في التحرير والتنوير ، رأينا ابن عاشور قد أشار إلي أنّه معرّب في كل موضع ذكر فيه من القرآن الكريم. على النحو الذي رأيناه. غير أنّه انفرد بالتنويه إلي أصول أخرى لم تذكر فيما سلف.

فقال في أثناء تفسير آية الكهف - وهو أول المواضع التي تطرق فيها لهذه اللفظة :" فأما لفظ (سندس) فلا حلاف في أنَّه معرَّب وإنما اختلفوا في أصله ، فقال جماعة : أصله فارسي ، وقال المحققون : أصله هندي ، وهو في اللغة (الهندية) (سَنْدوُن) بنون في آخره. كان قوم من وجوه الهند وفدوا على الإسكندر يحملون معهم هدية من هذا الديباج ، وأنَّ الروم غيروا اسمه إلي (سندوس) ، والعرب نقلوه عنهم فقالوا(سندس)، فيكون معرَّبا عن الرومية ، وأصله الأصيل هندي "(ابن عاشور: دار سحنون،15 /313).

وفي الموضع الثاني ، وهو في أثناء تفسير آية الدخان حيث قال : "أنَّه معرَّب من الفارسية وقيل عربي. أصله : سنْدي ، منسوب إلي السندس على غير قياس "(المرجع نفسه:25 /317).

وفي آخر المواضع ، وهو في تفسير سورة الإنسان ، قال : "أمَّا السندس فمعرَّب عن اللغة الهندية ، وأصله (سندون) بنون في آخره "(المرجع نفسه:25 /399). فإذا نظرنا إلي أقوال ابن عاشور السابقة نظرة تأمل وتؤدة يمكننا القول أنَّ ابن عاشور أكثر ميلاً إلي القول بأنَّه هندي الأصل ، وصل إلي بلاد العرب عن طريق الروم ، بعد أن عرَّبوه إلي لغتهم ، ذكره مرتين ، وختم به أقواله في سندس . وهو اختيار الباحثة أيضا.

رابعاً: أهمية اقترانهما و أثره على المتلقي:

رأينا – فيما مضى- أن سندس مقترن بإستبرق ، و أن ذكره متقدم عليه في جميع المواضع التي ورد فيها في القرآن الكريم ، وهي : قوله تعالى :﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف 31] ، وقوله عزَّ وجل: ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الدخان 53] ، وقوله :﴿ عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان 21] .

و عرفنا أنه نوع من الثياب النفيس رقيق يكون ناعم الملمس لمباشرته للجلد ، كأن الله سبحانه و تعالى يخشى على عباده ما يلحق جلودهم من أذى خشونة الإستبرق فجعل السندس لمباشرة أجسادهم.

و من رحمة الله بعباده أيضا أن اختار لهم من الألوان المباشرة لأجسادهم اللون الأخضر ليكون أكثر راحة للنظر لما للون من تأثير فسيولوجي ناتج على شبكية العين" سواء كان ناتجاً عن المادة الصباغية الملونة أو عن شعاع الضوء الملون ..... فهو إحساس إذاً وليس له وجود خارج الجهاز العصبي للكائنات الحية... والعين على درجة كبيرة من الحساسية خاصة للون الأخضر، وتنعدم هذه الحساسية عند نهايتي الأحمر والبنفسجي، فالعين قادرة على إدراك أقل اختلاف في اللون ويمكنها أن تميز من 200 إلى 250 لون"(عبد العزيز:2010،نُشر إلكترونياً).

و"لقد حظي اللون الأخضر في القرآن الكريم بالاهتمام أكثر من أي لون آخر، فهو يمثل في البيان الإلهي الخير والجمال والسلام، وهو أفضل الألوان كلها وأشرفها، وفي سورة الإنسان حيث ذكر المولى عز وجل:﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان 21].

أتت كلمة " خُضْرٌ " منونة بالضمة، لوصف ما جاء في الجنة من أبسطة وملابس، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ أن الله سبحانه وتعالى وصف في كتابه العزيز أهل جنته المخصوصين بتقريبه ومزيته بلباس الثياب الخضر.

كما أتت كلمة خُضْرًا منونة بالفتحة في سورة الكهف آية 31 في قوله سبحانه: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف 31] وفي ذلك فقد وصف الله زينة ملابس أصحاب الجنة الحريرية وصفاً لا مثيل له وكذلك أدواتهم، فلو كان في الألوان أفضل من الخضرة لوصفهم الله سبحانه بذلك، لذا يعد اللون الأخضر لوناً مختار من ألوان الجنة، يدل على النعيم و به أحيا الأرض بعد موتها"(عبد العزيز:2010، نُشر إلكترونياً).

"ومما سبق يتضح أن اللون الأخضر يعني الحياة بما فيها من معاني للاستقرار والراحة، ويحمل أيضاً دلالة الخصوبة . ذلك فضلاً عما اكتشفه العلماء من أنه عندما تدخل طاقة الضوء إلى الجسم فإنها تنبه الغدة النخامية والجسم الصنوبري مما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من العمليات الفسيولوجية، وبالتالي السيطرة المباشرة على تفكيرنا ومزاجنا وسلوكياتنا، وكذلك فللألوان تأثير على مكفوفي البصر تماماً كالمبصرين نتيجة لترددات الطاقة التي تتولد داخل أجسامهم، وهذه الفكرة استخدمها الصينيون القدماء في علاج الأمراض وتسمى (بال فينج شوي).

وحديثاً أجروا تجارب لاستخدام الألوان في علاج بعض الأمراض، وذلك بجعل المريض يرتدي ثوباً من لون معين أو يجلس في غرفة حوائطها وفرشها من نفس هذا اللون، ويقوم بتركيز نظره لفترة محددة عليه في الوقت الذي يحصر فيه ذهنه ويتأمل مكان الألم الذي يعانيه، فكان مما اكتشفوه أن اللون الأخضر بالذات يقتل الجراثيم والبكتريا ويسكن الآلام ويقاوم الإنهاك والشعور بالتعب، فيشعر صاحبه بأريحية وسعادة ويشفي من الأمراض الميكروبية، وبذلك عرفوا السر في استخدام الفراعنة للون الأخضر في مقابرهم لحفظ المومياوات من التحلل البكتيري[18] . وصدق الله العظيم في قرآنه الكريم عندما جعل اللون الأخضر لون لباس أهل الجنة ولون فرشهم ليلفتنا إليه وإلى وجوبية التشبه بهم في ملابسنا وفرشنا في الدنيا لعلنا نذوق جزءاً من سعادتهم .

ذلك فضلاً عن ما يؤديه لون الخضرة من تقوية للنظر والزيادة في حاسة البصر، وسبب ذلك فيما يقوله أهل الطب أن اللون الأخضر يجمع الروح الباصر جمعاً رفيقاً مستلذاً غير عنيف، وإن كان اللون الأسود يجمع الباصر أيضاً لكنه يجمعه بعنف واستكراه على ضد ما يجمعه اللون الأخضر. [19]" (عبد العزيز:2010،نُشر إلكترونياً).

خامساً: البلاغة و الإعجاز في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ :

اشتملت الآية الكريمة على ضرب آخر من الأضداد في قوله (بطائنها)، قال أبو حاتم السجستاني:" قال الحسنُ – رحمه الله- بطائنها من إستبرق ظواهرها ، و قالُوا ظهرُ السماء وجْهُها ، و بَطنُ السَّماء كذلك ، و قرأتُ القرآن عن ظهر قلب و عن ظهر اللسان"(السجستاني: 1912، ص145) ، ويقول أبو بكر بن الأنباري ت (328هـ):" و من حروف الأضداد أيضاً الظهارة والبطانة ، يقال للظِّهارة بطانة ، و للبطانة ظهارة ؛لأنَّ كل واحد منهما قد يكون وجهاً، و يقال: رأيتُ ظهر السماء، و رأيتُ بطن السماء، للذي تراه ، وكذلك بطن الكوكب و ظهر الكوكب ، فقد تكون البطائن بطائن، و قد تكون ظهائر".(الأضداد :ص208) ، و قال ابن فارس ت (394هـ):" البطن خلاف الظهر".(ابن فارس:(د.ت) ، ص97)

و في البطانة أيضاً" قال الفرَّاء ت (207هـ): قد تكون البطانة ظِهارة ، و الظِّهارة بطانة ، و ذلك أنَّ كلَّ واحد منهما قد يكون وجهاً، تقول العرب: هذا ظهر السماء، و هذا بطن السماء، قال: و قال ابن الزبير، وذكر قتلة عثمان- رضي الله عنه- فقتلهم الله كلَّ قتلة، و نجا من نجا منهم تحت بطون السماء و الكواكب، يعني هربوا ليلاً، و هذا أيضاً من عجب التفسير، كيف تكون البطانة ظِهارة ، و الظِهارة بطانة ، و البطانة: ما بَطَن من الثوب، و كان من شأن الناس إبداؤه! و هل يجوز لأحد أن يقول لوجه مُصلّى: هذا بطانته، و لِما ولَي الأرض منه: هذا ظِهارته؟! و إنما أراد الله جلَّ و عزَّ أن يُعرِّفنا من حيث نفهم فضلَ هذه الفرش، و أنَّ ما ولي منها إستبرق ، و هو الغليظ من الديباج، و إذا كانت البطانة كذلك ، فالظهارة أعلى و أشرف ، و كذلك قال النبي- صلى الله عليه وسلم- لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه الحُلَّة، فذكر المناديل دون غيرها ؛لأنها أخشن من الثياب، و كذلك البطائن أخشن من الظواهر، و أما قولهم: ظهر السماء وبطن السماء، لِما و لينا، فإنَّ هذا قد يجوز في ذي الوجهين المتساوين، إذا ولي كلُّ واحد منهما قوما، تقول في حائط بينك و بين قوم، لِما وليك منه: هذا ظهر الحائط، و يقول الآخرون لما وليَهم: هذا ظهر الحائط، فكلُّ واحد من الوجهين ظهر وبطن(الواحدي،441،2007- 442)."و قال الواحدي:(من إستبرق) و هو كل ما غلظ من الديباج، قال ابن مسعود: أُخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر؟ و قال أبو هريرة: هذه البطائن فكيف بالظهائر؟! و قيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ فقال هذا مما قاله الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾السجدة17، و قال ابن عباس: وصف البطائن و ترك الظواهر؛ لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر" (الواحدي، 4،1994/226- 227)، و قال الزمخشري:(بطائنها من إستبرق) من ديباج ثخين، و إذا كانت البطائن من الإستبرق فما ظنك بالظهائر؟! و قيل: ظهائرها من سندس: و قيل من نور"(الزمخشري ،(د.ت)،4/452)، و قال ابن عطية" و روي في الحديث أنه قيل لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- هذه البطائن(من إستبرق) فكيف الظواهر؟ قال: هي من نور يتلألأ ، و الإستبرق ما خشن و حسن من الديباج، و السندس مارقَّ منه".(ابن عطية ،2001، 5/233)

و بعد أن نقل القرطبي قول من تقدم من المفسرين، قال:" و عن الحسن: بطائنها من إستبرق، و ظواهرها من نور جامد ، و عن الحسن أيضاً: البطائن هي الظواهر ، و هو قول الفرَّاء ، و روي عن قتادة... و أنكر ابن قتيبة و غيره هذا، و قالوا: لا يكون هذا إلا في الوجهين المتساويين إذا ولي كل واحد منهما قوماً ، كالحائط بينك و بين قوم، و على ذلك أمر السماء" (القرطبي:17/140) ، قال الألوسي:" و الحق أن البطائن هنا مقابل الظهائر على الوجه المعروف"(الألوسي،14،2001/117)

وقال ابن عاشور من المحدثين:" البطائن جمع بطانة- بكسر الباء- و هي مشتقة من البطن ضد الظهر من كل شيء ، و هو هنا مجاز عن الأسفل ، يقال للجهة السفلى بطن ، و للجهة العليا ظهر...فبطانة

الثوب داخله و ما لا يبدو منه ، و ضدَّ البطانة الظِهارة- بكسر الظاء- و من كلامهم: أفرشني ظهرَ أمره و بطنه، أي: علانيته و سرَّه ، شبهت العلانية بظهر الفراش، و السرَّ ببطن الفراش...فالبطانة هي الثوب الذي يُجعل على الفراش ، و الظهارة: الثوب الذي يُجعل فوق البطانة ، ليظهر لرؤية الداخل للبيت ، فتكون الظهارة أحسن من البطانة في الفراش الواحد...فالمعنى هنا: أن بطائن فرش الجنة من إستبرق ، فلا تسأل عن ظهائرها فإنها أجود من ذلك".(ابن عاشور، (د.ت)، 249/27).

و لعل في قول أهل التفسير القدامى ما " يدل على نهاية شرفها فإن ما تكون بطائنها من الإستبرق تكون ظهائرها خيرا منها، و كأن شيئا لا يدركه البصر من سندس و هو الديباج الرقيق الناعم، و فيه وجه آخر معنوي و هو أن أهل الدنيا يظهرون الزينة و لا يتمكنون من أن يجعلوا البطائن كالظهائر؛ لأن غرضهم إظهار الزينة و البطائن لا تظهر، و إذا انتفى السبب انتفى المسبب، فلما لم يحصل في جعل البطائن من الديباج مقصودهم و هو الإظهار تركوه ، وفي الآخرة الأمر مبني على الإكرام و التنعيم فتكون البطائن كالظهائر فذكر البطائن".(الرازي:2003، 124/29).

نتائج البحث:

توصلت الباحثة من خلال بحثها إلى عدة نتائج ، لعل أبرزها ما يلي:

- الضد لا يعني الخلاف ، فليس كل ما خالف الشيء ضداً له ، ألا ترى أنَّ القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ، وإنَّما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم ؛ فالاختلاف أعمُّ من التضاد ، إذ أنَّ كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين.
- الأضداد لها علاقة بتفسير كتاب الله ؛ و لأغراض بلاغية تخصُّ المعنى جمع القرآن الكريم بين اللفظ و ضده في الموضع الواحد.
- الأضداد ضرب من التوسع في اللغة ، فإنَّ اللغة ترتقي بارتقاء الأمة الناطقة بها و تنحط بانحطاطها ، و تتسع بمقدار سعة عقول الناطقين بها.
- الإستبرق من الألفاظ التي اختلف في تعيين أصولها الأعجمية ، كما اختلفوا في جذورها اللغوية ، و الأصوب في همزته أن تكون همزة قطع ، و يجمع جمعاً قياسياً على (أبارق) ، و صُغر على (أُبيرق) فعاملوا السين و التاء معاملة الزائد.
- سندس من الألفاظ التي قطع اللغويون القول بأعجميتها ، و إن اكتفى بعضهم بالإشارة إلى أنَّه معرَّب و سكت عن أصوله اللغوية.
- ورد (سندس) في القرآن الكريم مقترناً بـ (استبرق) متقدماً عليه في جميع المواضع؛ لما يحمل في طياته من دلائل على رحمة الله بعباده ، إذ اختار لهم من الثياب المباشرة للجلد ناعم الملمس ، و من الألوان اللون الأخضر؛ ليكون أكثر راحة للنظر.
- من بلاغة القرآن إن جعل الظهارة الثوب الذي يُجعل فوق البطانة ؛ فتكون الظهارة أحسن من البطانة ، و إن كانت بطائن فرش الجنة من إستبرق فلا يُسأل عن ظهائرها فهي أجود.

أرجو أن أكون قد وفقت في كتابة بحثي هذا ، فإن أصبتُ فمن الله ، و إن أخطأتُ فلي أجر المحاولة.

المراجع:

- الإستراباذي(رضي الدِّين محمد بن الحسن ت686هـ) :

- شرح شافية ابن الحاجب ، تح محمد نور الحسن و آخرون ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، (د.ط) ، 1982م.

◆إسلامبولي (سامر):

- التضاد في اللغة العربية ، الاثنين 5 مارس2007، C:/Users/Home/Desktop/Download

◆الألوسي:(أبو الفضل شهاب الدِّين السيِّد محمود ت1270هـ):

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، تح علي الباري عطية ، ط1 ، دار الكتب العلمية- بيروت- 2001م.

◆آل علي (نور الدّين):

- المعرَّبات الرشيدية ضمن كتاب التعريب و أثره في الثقافتين العربية و الفارسية ، دار الثقافة للطباعة و النشر- القاهرة ، 1979م.

◆ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ت 328هـ) :

- الأضداد ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم،2008/10/14، https://wagfeya.com، المكتبة الوقفية للكتب المصورةPDF

◆البنا (أحمد بن محمد):

- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تح شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب ، ط1 ، 1987م.

◆التونجي (محمد):

- معجم المعربات الفارسية ، مكتبة لبنان ناشرون، ط2 ، 1998م ، ص166.
- المُعرّب والدخيل في اللغة العربية و آدابها ، دار المعرفة ، ط1 ، 1426هـ - 2005م.

◆براجشتراسر (مستشرق ألماني):

- التطور النحوي ، ترجمة رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط4 ، 2003م.

◆ الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد ت540هـ):

- المُعرَّب من الكلام الأعجمي ، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية ، ط/1 ، 1419ه- 1998م.

◆الجوهري (إسماعيل حماد الجوهري):

- الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، تح أحمد عطار ، دار العلم للملايين – بيروت- لبنان – ط3 ، 1984م.

◆ابن جنّي (أبو الفتح عثمان ت392هـ):

- الخصائص ، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت- لينان ، ط1 ، 2001م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، تح محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1، 1998م

◆ الخفاجي (شهاب الدِّين أحمد ت 1069هـ):

- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، تصحيح محمد خفاجي، المكتبة الأزهرية ، ط/1 .

◆الرازي(فخر الدِّين محمد بن عُمر ت 604هـ) :

- التفسير الكبير: تح هاني الحاج- عماد البارودي، المكتبة التوفيقية – القاهرة ، (د.ط)، 2003م.

◆الزَّبيدي (محمد مرتضى الحسيني ت 1205هـ):

- تاج العروس من جواهر القاموس ، تح علي شيري ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت- لبنان ، (د.ط) ، 1994م.

◆الزَّجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري ت311هـ):

- معاني القرآن وإعرابه ، تح عبد الجليل شلبي ، عالم الكتب ، ط1، 1988م .

◆ الزركشي (أبو عبد الله بدر الدِّين بن بهادر ت 745هـ):

- البرهان في علوم القرآن ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الحلبي ، 1964م.

◆الزمخشري(أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر ت528هـ):

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تح مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، (د.ت).

◆ السجستاني (أبو حاتم سهل بن محمد ت 248هـ):

- كتاب الأضداد ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، نسخة مصورة عن نسخة المطبعة الكاثوليكية ، 1912م.

◆السيوطي (الحافظ جلال الدِّين عبد الرحمن ت 911هـ):

- الإتقان في علوم القرآن ، تح محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، 1418هـ- 1997م ، 146/3 .
- المزهر في علوم اللغة ، تح محمد جاد المولى و آخرون ، دار التراث ، ط/3 ، (د.ت).
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرَّب ، تح إبراهيم أبو سكين ، ط الأمانة ، سنة1400هـ.

◆شير (السيِّد ادّى):

- معجم الألفاظ الفارسية المُعرَّبة ، مكتبة لبنان ، (د.ط) ، 1990م.

◆ابن عاشور(محمد الطاهر ت 1973م) :

- أليس الصبح بقريب ، ط2 ، 2007م.
- التحرير و التنوير، دار سحنون للنشر و التوزيع- تونس – (د.ط)،(د.ت).

◆عبد السبحان(عبد الرحيم):

- المُعرَّب و الدخيل في اللغة العربية ، رسالة دكتوراه مخطوطة محفوظة بالمكتبة المركزية- جامعة الأزهر ، تحت رقم ، 538).

◆عبد العزيز(أشرف فتحي)

- الألوان في القرآن رؤية فنية و مدلول ، نُشر إلكترونيا بتاريخ 2010/6/18، http://Toshiba.wildgames.com

◆ابن عطية (أبومحمد عبد الحق بن غالب ت546هـ):

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،2001م.

◆العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين ت 616هـ) :

- التبيان في إعراب القرآن ، تح محمد شمس الدِّين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط1، 1998م.

◆العنيسي (القس طوبيا الحلبي اللبناني):

- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه: تح يوسف البستاني ، مكتبة العرب ، ط1 ، 1932م .

◆ ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكرياء ت394هـ):

- معجم مقاييس اللغة ، تح عبد السلام هارون ، دار الجيل ، (د.ط) ، (د.ت).

◆ **الفارسي (أبو علي الحسن ت 377هـ) :**

- الحجة في علل القراءات السبع : تح بدر الدين قهوجي و آخرون ، دار المأمون للتراث ، ط2 ، 1993م.
- التكملة : تح كاظم المرجان ، 1981م.

◆**فتح الله (الشيخ حمزة):**

- الأصل و البيان في مُعرب القرآن : تعليق محمد إبراهيم سعد ، مطبعة مصر الحرة ، د.ت.

◆**الفيروزآبادي (مجد الدِّين محمد بن يعقوب ت817هـ):**

- القاموس المحيط ، ضبط و توثيق يوسف الشيخ البقاعي ، دار الفكر ، 1999م.

◆**الفيومي (أحمد بن محمد بن علي):**

- المصباح المنير ، مكتبة لبنان ، (د.ط) ،1987م.

◆**ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت 671هـ):**

- تفسير غريب القرآن ، تح السيِّد أحمد صقر، المكتبة العلمية – بيروت- 2007م.

◆**القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت671هـ):**

- الجامع لأحكام القرآن ، تح محمد بيومي- عبد الله المنشاوي ، مكتبة جزيرة الورد – مكتبة الإيمان – القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت).

◆**القليبي (موسى محمد بن موسى):**

- معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها، تح محمد داود ، مكتبة الآداب ، ط/1 ،2002م .

◆**القِنَّوْجي (السيِّد محمد صديق حسن خان):**

- لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرَّب و الدخيل و المولد و الأغلاط ، مطبعة مدينة بهوبال ، (1296هـ - 1878م).

◆**ابن منظور (محمد بن مكرم أبو الفضل ت711هـ):**

- لسان العرب ، دار صادر، (د.ط)، (د.ت).

◆**الواحدي (أبوالحسن علي بن أحمد ت468هـ):**

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، تح عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، ط1، دار الكتب العلمية- بيروت- 1994م.

◆ **اليسوعي (رفائيل نخلة):**

- غرائب اللغة العربية : دار الشرق ، ط4 ، (د.ت).

الوجوب و التأويل النحوي عند بدر الدين العيني من خلال كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري

د. عبدالعظيم على محمد الواعر، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الزيتونة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بعظيم وجهه وجلال سلطانه ، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه وعلى من سار على نهجهم واتَّبع خطاهم إلى يوم الدين وبعد ، فإن **النحو العربي** تتنوع قواعده بين : الوجوب ، والجواز ، والتأويل ، والمنع ، والخروج عن النمط المعتاد وفق القواعد المحكمة ، فنرى فيه الوجوب المهم الذي يقرّه الجمهور ولا يجيزون الخروج عنه إلى غيره ، والجواز الشامل الذي يحوي الوجوب وغيره ، والتأويل المتسع الذي به يقر النحاة ما يرونه مناسبا للمسألة النحوية ليكتمل معناها ويتضح مغزاها ، وبين هذا وذاك تتنوع القواعد وتتسع وتتطرد ، ولقد صدق الجرجاني عند حديثه عن بعض هذا فقال : ((واعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضَّرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة من غير أن تُغيِّر من لفظه شيئاً أو تحوّل كلمة عن مكانها إلى مكانٍ آخر وهو الذي وسع مجال التأويل والتفسير حتى صاروا يتأوَّلون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر)) ([1])(الجرجاني ، 1995، ج1/282).

لقد جاء ذكر هذه القاعد وخاصة الوجوب والتأويل في كتب التراث النحوي والفقهي وخاصة في تلك التي ارتبطت بشروح الحديث المتقدمة وقد شرحها نحاة لهم السبق ومن بينهم ولا نحصيهم عدا(بدرالدين العيني) الذي شرح كتاب صحيح البخاري المعروف بـ(**صحيح البخاري**) لمؤلفه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، أبو عبد الله(ت256ه) ، وهو كتاب جامع لاحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قسمه مؤلفه إلى جملة من الكتب تحوي مجموعة من الأبواب ، فوضع عليه بدر الدين العيني(ت855ه) شرحه الموسوم بـ : (**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**) وهو: شرح جامع لأبواب الصحيح ، سار فيه مؤلفه بتوضيح معنى الحديث ، وبيان رجاله ، وبيان إعرابه وصرفه ، وبيان المعاني والبيان ، وبيان الاسئلة والأجوبة ، ولأهمية ما طرحه العيني من مسائل نحوية في هذا الشرح والوقوف عليها ، وتحليلاته الدقيقة لها ليصل بها في نظره إلى الفهم الدقيق لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وللربط بين علمي النحو والفقه وخدمة علم النحو للفقه ، ولأهمية كتاب صحيح البخاري وشرحه عمدة القاري عند الدارسين رأيت أن اختار منه موضوعاً لبحث عُنون له بـ (**الوجوب والتأويل النحوي عند بدر الدين العيني من خلال كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري**) وذلك للوقوف على الوجوب والتأويل النحوي عند العيني ، وكيف ساق القواعده النحوية في شرحه عند حديثه عن الوجوب والتأويل ، ومدى توافق النحاة مع ما ذكره العيني لترتسم عندنا الصورة الواضحة لهذين الجانبين ولقد فصلنا هذا البحث في مقدمة ومطلبين ونتائج ، يتكلم **الأول** عن الوجوب عند العيني ، و يتحدث **الثاني** عن التأويل ، وجاءت النتائج شاملة لأهم ما توصل إليه الباحث .

وقد اختار الباحث نماذج يسيرة من الشرح تمثل كل مطلب من المطلبين ، متتبعاً المنهج المعياري في هذا ، أمّا الدراسة المستفيضة لمسائل الشرح فمجالها غير هذا البحث ، أسال الله أن يوفق من يتولى هذا الأمر .

ورأينا قبل الحديث عن المطلبين أنْ نعرِّف بالبخاري ، ثم بالشارح بدر الدين العيني بشيء من الإيجاز، وهو على الأتي :

أولا : البخاري :

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حبر الإسلام ،ولد سنه(194هـ) في بخارى، ونشأ يتيما، درس القرآن والحديث ، وجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم واختار منها ما وثق برواته، رحل طويلا فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وألّف الجامع الصحيح المعروف بـ (صحيح البخاري)، له مصنفات منها : الأدب المفرد، والتأريخ الكبير والأوسط، والصغير، وكتاب الأشربة والجامع الكبير، والمسند الكبير، والتفسير الكبير، وأسامي الصحابة، وكتاب الهبة، توفي سنة (256ه)[ii](الخزرجي ج337/1 ، الزركلي ج34/6) .

ثانيا : بدر الدين العيني

هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العنتابي الحنفي العلامة قاضي القضاة بدر الدين العيني مؤرخ ، من كبار المحدثين ، ولد سنة (762هـ). بعنتاب ، ونشأ بها ، واشتغل بالفقه وبرع فيه وفي النحو ، وأخذ العلم عن جبريل بن صالح البغدادي ، والعلاء السيرافي والجمال الملطي، وولي نظر الحسبة بالقاهرة ، ودرّس الحديث بالمؤيدية ، وكان إماما عالما عارفا بالعربية والتركية له عدة تصانيف منها: عمدة القاري شرح البخاري ، شرح المجمع ، شرح الشواهد الكبير والصغير ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية يعرف بالشواهد الكبرى، وفرائد القلائد مختصر شرح شواهد الالفية ويعرف بالشواهد الصغرى، مات سنة (855ه). [iii](السيوطي ج275/2 ، الزركلي ،2002 ، ج7/ 163) .

المطلب الأول : الوجوب النحوي عند العيني

الوجوب :

الوجوب : اللزوم وجب الشَّيء يجب وجوباً، وأوجبه اللّه ووَجَّبَه؛ فهو واجب لازم[iv] (بن عباد ج143/2الزبيدي ، ج333/4) ، والكلام بعضه واجب وبعضه جائز ، وبعضه على الحقيقة وبعضه على المجاز، ويفرق بينه بدلائل الأصول واعتبار المعاني[v] (ابن الأثير ،ج7/2) .

وقد تحدث العيني عن الوجوب النحوي من خلال كتابه عمدة القاري وعادة ما يذكره بـ (يجب)، وقد تمثل في الأتي :

الأول: وجوب أقرّه بدون تعليل

جاء هذا الوجوب في أربعة عشر موضعا من الكتاب تقريبا نذكر منها :

أولا : وجوب دخول التاء على أي الاستفهامية إذا وقعت صفة لمؤنث

يري العيني وجوب دخول التاء على كلمة (أي) الواقعة صفة لمونث ، وقد ذكر هذا الوجوب عند حديثه عن كلمة (أي) الواردة في حديث البخاري من قوله : ((إنَّ رجلًا من اليهود قَال له يا أَمير المؤمنين آيَةٌ في كتَابكم تقرءونَها لو علينا معشر اليهود نَزَلت لَاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا ، قَال أَيُّ آية؟ قال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ**﴾)[vi] (البخاري ج18/1) فقال العيني : ((أي آية : كلمة (أي) ههنا للاستفهام ، وهي اسم معرب معرفة للاضافة ، وقد تترك الإضافة وفيه معناها ،

وإذا كان الذي أضيف إليه مؤنثا لا يجب دخول التاء فيها ، وإنما يجب إذا وقعت صفة لمؤنث ، نحو: مررت بامرأة أية امرأة))[vii](العيني ، ج2/203) .

ذكر العيني هذا ،وتحدث النحاة عن (أي) وعدُّوا من وجوهها ما يأتي صفة كقولك : مررت برجل أي رجل ، وبكريم أي كريم [viii](الرماني ،ج1/44) ، أي الاستفهامية معربة ، وبقية أخواتها مبنية [ix] (ابن جني ج1/220) بيَّن المبرد في باب : (أي إذا كنت مستفهما مستثبتا) أنه إذا قال : جاءتني امرأة قلت: أية[x](المبرد ج2/302) قال ابن السراج : ((وأما : (أي) فهي مخالفة (لِمَنْ) لأنها معرفة فإذا استفهمت بها عن نكرة قلت : إذا قال: رأيتُ رجلاً أياً ، فإن قال: رجلين قلت : أيَّين وللجميع : أيَين ، فإن ألحقت (يا فتى) فهي على حالها وإذا قلت : رأيتُ امراةً قلت : أيةً يا فتى))[xi](ابن السراج ج2/396).

وذكر الزمخشري أنه يستفهم بها عن نكرة في وصل قال :((قيل لمن يقول جاءني رجل: أيٌّ؟ بالرفع، ولمن يقول رأيت رجلاً: أياً؟ ولمن يقول مررت برجل: أيَ؟ وفي التثنية والجمع في الأحوال الثلاث أيان وأيون وأيين وأيينَ. وفي المؤنث أية وأيات))[xii] (الزمشري ج1/189) .

ثانياً : لبيك مصدر يجب نصبه ، وحذف فعله :

ذكر هذا الوجوب عند شرحه لحديث : من خص بالعلم قوماً دون قوم الوارد في صحيح البخاري في قوله : ((قَال :يا معاذ بن جبل قَال : لبَيك يا رسول اللَّه وسعديك قَال : يا معاذ قَال : لبّيك يا رسول اللَّه وسعديك ثلَاثًا قَال : ما من أَحد يشهَد أَن لَا إِلَه إِلَّا اللَّه وأَن محمَّدًا رسول اللَّه صدْقًا من قَلبه إِلَّا حرمه اللَّه على النار قَال: يا رسول اللَّه أَفَلَا أُخْبر به النَّاس فيسْتَبْشرُوا ؟ قَال: إِذًا يَتكِلُوا))[xiii] (البخاري ج1/37) ، قال العيني : ((قوله : لبيك من المصادر التي يجب حذف فعلها ونصبها))[xiv] (العيني ج2/423) .

بيّن هذا وتناول النحاة هذا المصدر بالشرح والتفصيل ، فقد ذكر سيبويه في باب :((ما يجئ من المصادر مُثَنًّى منتصبا على إضمارِ الفعل المتروك إظهاره)) قائلا:((وأمّا قولك لَبَّيْك وسعديك فانتَصب هذا كما انتَصب سبحان الله ، وهو أيضاً بمنزلة قولك إذا أخبرت: سمعاً وطاعة ، إلاَّ أنّ لَبَّيْك لا يتصرف كما أن: سبحان الله ، وعمرَك الله ، وقعدَك الله لا يتصرف ، ومن العرب من يقول: سمعٌ وطاعةٌ ، أى : أَمرى سمعُ وطاعةُ ، وبمنزلة : **فقالت حَنانٌ : ما أتى بك ها هنَا** [xv] وكما قال: سلامٌ ، والذى يَرتفع عليه حَنانٌ وسمعٌ غير مستعمل ، كما أنّ الذى ينتصب عليه لَبَّيْك وسبحان الله غير مستعمَل))[xvi](سيبويه ج1/349) .

بيَّن ابن جني اشتقاق هذا المصدر فقال: ((اشتقوا (لبيت) من لفظ : (لبيك) فجاءوا في لبيت بالياء التي هي للتثنية في لبيك ، وهذا على قول سيبويه ، فأما يونس فزعم أن لبيك أم مفرد وأصله عنده لبب ، ووزنه (فعلل)، ولا يجوز أن تحمله على (فَعَل) لقلة فعل في الكلام ، وكثرة فعلل فقلبت الباء التي هي اللام الثانية من لبب ياء هربا من التضعيف فصار لبي ثم أبدلت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لبى ثم إنها لما وصلت بالكاف في لبيك وبالهاء في لبيه نحو ما أنشدناه أبو علي :

إنَّكَ لَو دَعَوتني وَدُونَي زَوْرَاء ذَات مَنزِعٍ بَيُون

لقلتُ لَبيه لَمَنْ يَدْعُوني[xvii]

قلبت الألف ياءً كما قلبت في (إلى ، وعلى، ولدى) إذا وصلتها بالضمير فقلت : إليك وعليك ولديك ، ووجه الشبه بينهما أن لبيك اسم ليس له تصرف غيره من الأسماء ؛ لأنه لا يكون إلا منصوباً ، ولا يكون إلا مضافاً كما أن: إليك وعليك ولديك لا تكون إلا منصوبة المواضع ، ملازمة للإضافة ، فقلبوا ألفه ياءً فقالوا : لبيك كما قالوا : عليك وإليك ولديك))[xviii](ابن جني ،1985، ج2/746) .

ورد العكبري ما ذهب إليه سيبويه في اشتقاقه فقال: ((وقال سيبويه هو مفرد قلبت ألفه ياءً مع المضمر مثل : كلا ، وهذا غير صحيح ؛ لأنَّه قد جاء بالياء مضافاً إلى الظاهر قال الشاعر :

دَعَوْتُ لما نابني مِسْوَراً فلبَّي فلبَّي يَدَيْ مِسْوَرِ))([xix])(العكبري ،1995،ج1/465

وذهب الصبان إلى أنَّ : لبيك أصله : ألب لك إلبابين أي : أقيم لطاعتك إلباباً كثيراً ، والتثنية فيه للتكرير نحو قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾([xx])، فحذف فعله وأقيم المصدر مقامه وحذفت الزوائد منه وحذف الجار من المفعول وأضيف المصدر إليه ، ونقل الصبان عن الرضي أن لبيك يكون من لبَّ بمعنى ألب فلا يكون محذوف الزوائد ([xxi])(الصبان ،ج1/ 1049) .

وذكر البغدادي ما قاله أبو حيان الأندلسي إلى أن :(لبيك) تثنية ، ذهب إلى ذلك الخليل وسيبويه ، والجمهور ، وحكى سيبويه (لبّ)على أنه مفرد لبيك غير أنه مبني على الكسر ، وكذلك زعم ابن مالك أنه اسم فعل وبين فساده لأضافته إلى الظاهر لبي زيد وإلى الضمير لبيه وهذا مخالف لما ذهب إليه ابن هشام من كون شرط مجرور لبي ضمير الخطاب وما جاء مضافا إلى غير ضمير الخطاب شاذ([xxii]) (البغدادي،1998 ،ج2/81).

ولخص المرادي لبيك في الأتي :

الأول : يجوز استعمال لبيك وحده، بدون سعديك.

الثاني : هذه التثنية عند الجمهور للتكثير "لا تقع على الواحد .

الثالث: حكى سيبويه عن بعض العرب لبٍّ، على أنه مفرد لبيك غير أنه مبني على الكسر، لقلة تمكنه. واختلف فيه؛ فقيل: ينصب نصب المصدر كأنه قال: إجابة، وقال المصنف: جعلوه اسم فعل([xxiii]) (المرادي ،2008 ، ج2/800).

الرابع: ناصبه واجب الإضمار، وتقديره في لبيك: "أجبت" إجابتك، وكأنه من ألب بالمكان إذا قام به.

الخامس: الكاف فيه حرف خطاب لا موضع "له من الإعراب وحذفت النون لشبه الإضافة. ذهب إلى ذلك الأعلم([xxiv]) .

جاء وجوب نصب لبيك عند العيني موافقا لما أقره له النحاة .

ثالثاً : وجوب أن مع الفعل المحذر منه ليكون في تأويل الاسم

بين هذا الوجوب في أثناء شرحه لحديث البخاري الوارد في باب :(أخذ الصدقة من الأغنياء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل : ((ستأْتِي قَوما أَهل كتاب ، فَإِذا جئتهم فادعهم إِلَى أَن يشهدوا أَن لا إِلَه إِلَّا اللَّه ، وأَن محمّداً رسول اللَّه ، فإِن هم أَطاعوا لَك بذلك فأخبرهم أَنَّ اللَّه قد فرض عليهِم خمس صلوات في كلّ يوم وليلَة ، فإِن هُمْ أَطاعوا لك بذلك فَأَخبرهم أَن اللَّه قد فرض عليهم صدقَة تؤْخذ من أَغنيائهم فَتَرَدّ على فقرائهم ، فَإِن هم أَطاعوا لك بذلك فَإِيَّاك وكرائِمَ أَموَالهم ، واتَّق دعوَةَ المظلوم فإِنَّه ليس بينَه وبين اللَّه حجابٌ))([xxv])(البخاري ،1987، ج2/129) ، قال العيني :((فإياك وكرائم أموالهم بالواو، ولا يجوز تركه ؛لأن معنى إياك : اتقِ وهو الذي يقال له: التحذير ، والمحذر منه إذا ولي المحذر فإن كان اسما صريحا يستعمل بمن أو الواو ولا يخلو عنهما وإلا يفهم منه أنه محذر منه ، وإن كان فعلاً يجب أن يكون مع أن ليكون في تأويل الاسم فيستعمل بالواو عطفا ، نحو: إياك وأن تحذف ، فإن تقديره : إياك والحذف ، أو بمن نحو إياك من أن تحذف))([xxvi])(العيني ،2006،ج12/187) .

ما ذكره العيني مذكور عند النحاة ، فقد ذكروا من صور التحذير:

الأولى : المبدوءة بالضمير إياك وأخواتِه ، نحو : إياك والكذب .

الثانية : أن يكون المحذر اسماً مضافاً إلى ضمير المخاطب ، نحو: نفسك والأسد .

الثالثة : أن يحذف المحذر ويذكر المحذر منه حسب ، مفرداً نحو : الأسدَ ، أو مكرراً نحو : الأسد الأسد ، أو معطوفاً نحو : الغيبةَ والنميمةَ .

والصورة الأولى والثانية من صور التحذير تتفرعان إلى صورٍ كثيرة بالنظر إلى المحذر منه، ومنها :

أن يكون المحذر منه الصريحُ معطوفاً بالواو على المحذر إياك ، نحو : إياك والكذبَ ، إياك والأسدَ .

أن يكون المحذر منه المؤولُ من أن والفعل معطوفاً بالواو على المحذر (إياك) نحو : إياك وأنْ تكذبَ .

ذكر الرضي وجوها في هذا فقال : ((والذي مع (أن) يجوز فيه هذان الوجهان، نحو: إياك أنْ تحذف، وإياك من أن تحذف ، ويجوز فيه وجه ثالث وهو حذف الجار، لان (أن) حرف موصولة طويلة بصلتها لكونها مع الجملة التي بعدها بتأويل اسم، فلما طال لفظ ما هو في الحقيقة اسم واحد، أجازوا فيه التخفيف قياساعلى حذف حرف الجر، الذي هو مع المجرور كشئ واحد، وكذا أن المصدرية، وبعد حذف الحرف صارت (أن) مع صلتها في محل النصب عند سيبويه نحو: الله لافعلن ، وقال الخليل والكسائي، هي باقية على ما كانت عليه من الجر))[xxvii](الرضي، 1978، ج1/479).

قال السيوطي : ((ويجوز تقدير من مع أن تفعل لاطراد حذف الجر مع أن إذا أمن اللبس نحو :إياك أن تفعل أي : من أن تفعل ، وقد يكون التحذير للمتكلم سمع (إياي وأن يحذف أحدكم الأرنب) أي: إياي نحِ عن حذف الأرنب ونحِ حذف الأرنب عن حضرتي))[xxviii] (السيوطي ج2/22) .

جاء وجوب العيني موافقا لبعض النحاة

الثاني : وجوب أقّره بالتعليل

التعليل: زيادةٌ في الكلام عن أصل المعنى الذي يُقْصَدُ التعبير عنه ، أو إظهار علية الشيء سواء كانت تامة أو ناقصة(الجرجاني ،ج1/86) .

وقد أقرَّ العيني بعض الوجوب النحوي معللاً له بوجوه في نظره أو بما يراه مناسبا ، أو بتعليل النحاة وقد جاء في خمسة عشرة موضعا تقريبا ، منه :

أولاً : حذف ألف (ما) الاستفهامية إذا جرت في : عم، وفيم، وإلام، وعلام

أورد هذا الوجوب عند شرحه لحديث البخاري في باب: (الغضب في الموعظة والتعليم إذَا رأَى ما يكره) قال: (سُئِل النبي صلى اللَّه عليه وسلم عن أَشياء كرهها فلما أُكثر عليه غضب ، ثُمَّ قَال للنَاس : سلوني عما شئتم ، قال رجل: من أَبي؟ قَال : أَبوك حذافة ، فَقام آخر فَقال: من أَبي يا رسول اللَّه؟ فقال: أَبوك سالم مولى شيْبَة ، فلما رأَى عمر ما في وجهه قَال: يا رسول اللَّه إِنَّا نتُوب إِلى اللَّه عزَ وجل)[xxix](البخاري ،1987ج1/30) قال العيني : ((قوله :(عما شئتم) وفي بعض النسخ عم شئتم بحذف الألف ، قلت : إنه يجب حذف ألف ما الاستفهامية إذا جُرّت وإبقاء الفتحة دليلا عليها نحو: فيم وإلام وعلام ، وعلة الحذف:الفرق بين الاستفهام والخبر))[xxx](العيني، 2006 ،ج3/171) .

ذكر العينى لـ (ما) في حال جرها هذا الوجوب ، وبين النحاة أنه تحذف الألف من (ما) الاستفهامية عند دخول الجار عليها فتقع موقع المجرور .

وذهب الرضي إلى أن هذا الحذف غالبا لا واجبا عليها قال : ((وقد تحذف ألف (ما) الاستفهامية في الأغلب عند انجرارها بحرف جر أو مضاف ؛ وذلك لأن لها صدر الكلام لكونها استفهاما، ولم يمكن تأخير الجار عنها ، فقدم عليها وركب معها حتى يصير المجموع ككلمة واحدة موضوعة للاستفهام، فلا يسقط الاستفهام عن الصدر، وجعل حذف الألف دليل التركيب))([xxxi])(الرضي، 1978، ج50/3) .

ويرى السيوطي الحذف على القياس قال : ((إن "الحذف قسمان: مقيس ، وشاذ، فالمقيس حذف ألف (ما) الاستفهامية المجرورة نحو: ﴿**عمّ يَتَسَآءلُونَ**﴾ ([xxxii])

وشذّ إبقاؤها في قوله:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتِمُنِي لئيمُ كَخِنْزِيرٍ تَمرّغَ فِي رَمَادِ ([xxxiii])

وقيل: إن ذلك لغة لبعض العرب، وخرّج عليها بعضهم قوله تعالى: ﴿**بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي**﴾ ([xxxiv]) أي : بأيّ شيء؟ ، ولا تحذف ألف (ما) الموصولة والشرطية، وذكر أبو زيد والمبرد أن حذف ألف (ما) الموصولة ثبت لغة كثير من العرب، يقولون: (سل عمّ شئت)؛ لكثرة استعمالهم إياه))([xxxv])(الحمزاوي ، ج25/1)

وذكر ابن هشام أن قراءة عكرمة وعيسى(عما يتساءلون) فشاذة([xxxvi])(ابن هشام ،1985،ج1/ 394).

اشترط النحاة في حذف ألف (ما) ألا تركب مع (ذا) ، فإن ركبت امتنع ، نحو : لماذا تلومني ؟ لكونها كلمة واحدة للاستفهام ،ف(ما) جزء كلمة لا كلمة تامة([xxxvii])(الخضري ،ج195/3) والأجود إلحاق الهاء بها في السكت ، فنقول : عمه ، فِيمه ، حتامه ، إلامه .

يجوزُ الوقفُ على الميم ساكنة فيها ، وقد تسكن الميم في الوصل إجراء له مجرَى الوقف، وشاهده قول الشاعر:

يَا أبا الأَسوَدِ لِمْ خَلَيتَني لِهُمومٍ طارِقاتٍ وذكر([xxxviii])

وكان حقُّه أن يقول "لمَ"، لكنه وَصل كما يقف(الرضي 1978، ج152/3) .

وجوب العيني جاء موافقا لبعض النحاة ومنهم من لا يراه واجبا كما مرَّ عند الرضي

ثانياً :(إذن) وجوب رفع الفعل بعد إذن إذا وقع حالا

ذكر هذا الوجوب معللاً له عند شرحه لقول البخاري : ((إن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أَراد الحج عام نزل الحجَّاج بابن الزبير فقِيل له : إن الناس كائن بينهم قتال ، وإنّا نخاف أَن يصدّوك فَقال : لقد كان لكم في رسول اللَّه إسوَة حسنَة ، إذًا أَصنَع كما صنَع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم إِنِّي أُشهدكم أَنِّي قَد أَوجبت عمرة))([xxxix])(البخاري، 1987،ج157/2) ، قال العيني : ((قوله : إذاً ، كلمة (إذن) حرف جواب وجزاء ، وشرط إعمالها أن تتصدر ، فإن وقعت حشوا أهملت ، وإن كان السابق عليها واواً أو فاءً جاز النصب ، نحو : وإذا لا يلبثوا ، فأذن لا يؤتوا ، والغالب الرفع ،وإذا كان فعلها مستقبلا يجب الرفع كما هو هنا))([xl])(العيني، 2006،ج77/15)

بين العيني أنه يجب رفع الفعل بعد (إذاً) إذا كان للحال ، وتناول النحاة (إذاً) بالشرح ، فهي : حرف جواب وجزاء ، وهذا مذهب الجمهور ، قال المرادي: ((وذهب بعض الكوفيين إلى أنها اسم وأصلها "إذًا ، والصحيح مذهب الجمهور))[xli](المرادي ،2088،ج1238/3).

وهي مفردة ، وهذا مذهب سيبويه والجمهور[xlii](ابن الضائع،2004) ، وردَّ العكبري دعوى الخليل بكونها مركبة فقال : ((إذن حرف مفرد ، وقال الخليل : أصلُها : إذْ أنْ ، فحذفت الهمزة وركِّبا كما قال في: لن ، وهذه دعوى مجرَّدة))[xliii](العكبري ،1995،ج34/2) .

ولا عمل لها في الفعل إذا كان للحال ، وهذا الذي أقره العيني ، وذكر المرادي إنها: حرف ينصب الفعل المضارع إذا كان مستقبلاً ، فإن كان حالاً رفع، كقولك لمن يحدثك: إذا أظنُّك صادقاً[xliv](المرادي،ج60/1)، وقال ابن هشام : ((يجب الرفع في نحو:إذَنْ تَصْدُقُ جواباً لمن قال أنَا أحِبُّ زيداً))[xlv] (ابن هشام ،ج168/4) ، وذكر الجوجري سبب الرفع للفعل بكون المنصوب بها مستقبلا ، فلو قيل أنا أحبك، فقلت: (إذَنْ تَصْدُقُ) رفعت ؛ لأنه حالّ ، وأدوات النصب تخلص الفعل للاستقبال فلا تعمل في الحال[xlvi](الجوجري ،ج521/2) .

وذكر ابن هشام في نونها فقال : ((وَشَبهوا (إذَن) بالمنَوَّن المنصوب فابدلوا نونها في الوقف ألفاً ، هذا قول الجمهور ، بعضهم أن الوقف عليها بالنون واختارهُ ابنُ عصفورٍ ، وإجماع القُرَّاءِ السبعة على خلافه))[xlvii](ابن هشام،1979،ج242/4) .

قال الأشموني : ((حكى سيبويه وعيسى بن عمر أن من العرب من يلغيها مع استيفاء الشروط وهي لغة نادرة، ولكنها القياس ؛ لأنها غير مختصة، وإنما أعملها الأكثرون حملاً على ظنّ ؛ لأنها مثلها في جواز تقدمها على الجملة وتأخرها عنها ، وتوسطها بين جزأيها، كما حملت (ما) على (ليس) ؛ لأنها مثلها في نفي الحال))[xlviii](الأشموني ،ج339/1) . فما أوجبه العيني في (إذا) هو واجب عند النحاة ، وموافق لهم .

المطلب الثاني : التأويل

التأويل لغة : هو تفعيل من أَوَّل يُؤَوِّل تأْويلاً ، فهو جمع معاني أَلفاظ أَشكَلَت بلفظ واضح لا إشكال فيه[xlix](ابن منظور،ج32/11) ، وذكر صاحب تاج العروس أن التأويل : تفسيرُ ما يَؤُولُ إليه الشيء فهو تَبيين معنَى المتَشابه ، والمتشابه : هو ما لم يُقْطَع بفحواه من غير تَردد فيه[l](الزبيدي ج251/27) .

واصطلاحاً التأويل : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله[li](الجرجاني 1405ه ،ح72/1) .

وهو من أبواب العربية واسعة الذكر فمنه: الحسن المقبول ، والبعيد المتكلف ، وما ليس بقوي والضعيف ، وهو : ردُّ الشيء إلى الغاية المرجوة منه في القول والفعل، و التأويل بيان أحد محتملات اللفظ ، وأكثر استعماله في المعاني والجمل[lii](الكفوي1998،ج394/1) .

التأويل غير البيان قال الجرجاني : ((والفرق بين التأويل والبيان أن التأويل : ما يذكر في كلام لا يفهم منه معنى محصل في أول وهلة ، والبيان : ما يذكر فيما يفهم ذلك لنوع خفاء بالنسبة إلى البعض))[liii](الجرجاني1405ه ج68/1) .

ومن هذا النوع التأويل النحوي الذي جاء عند النحويين في مؤلفاتهم

أولاً : تأويلات نحوية أقرّها العيني

أقرَ العيني بعض التأويلات النحوية الوارة في شرحه والتي ذكرها الشراح مؤكداً لها ، وقد وردت في تسعة مواضع تقريبا نذكر منها :

الأول :عود الضمير على متقدم :

ذكر العيني عود الضمير في قول الله تعالى : ﴿**فِيهِ شِفَآءٌ لِلنَّاسِ**﴾ ([liv]) المذكور في باب الدواء بالعسل في الصحيح ([lv]) فقال :((واختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء في قوله : ﴿**فِيهِ شِفَاءُ لِلنَّاسِ**﴾ ، فقال بعضهم: على القرآن ، وهو قول مجاهد ، وقال آخرون: على العسل روي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس ، وهو قول الحسن وقتادة ، وهو أولى))([lvi])(العيني ،2006،ج31/ 291) .

قول مجاهد : إنه راجع للقرآن مردود عند الرازي ، قال :((واعلم أن هذا القول ضعيف ، ويدل عليه وجهان : الأول : أن الضمير في قوله : ﴿**فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ** ﴾ يجب عوده إلى أقرب المذكورات ، وما ذاك إلا قوله : ﴿**شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُه** ﴾([lvii]) وأما الحكم بعود هذا الضمير إلى القرآن مع أنه غير مذكور فيما سبق ، فهو غير مناسب. والثاني : ما روى أبو سعيد الخدري : أنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : إن أخي يشتكي بطنه ، فقال : "اسقه عسلاً" ، فذهب ثم رجع فقال : قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً ، فقال عليه الصلاة والسلام : "اذهب واسقه عسلاً" فذهب فسقاه، فكأنما نشط من عقال، فقال: صدق الله ، وكذب بطن أخيك ، وحملوا قوله: صدق الله وكذب بطن أخيك على قوله : ﴿**فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ**﴾ وذلك إنما يصح لو كان هذا صفة للعسل))([lviii])(الرازي،2732) .

في قوله : ﴿**فِيهِ شِفَآءٌ لِلنَّاسِ**﴾ الضمير للعسل ، والذي صحح به العيني أن الضمير للعسل ؛ لكونه الأقرب والضمير يجب أن يعود إلى أقرب مذكور ، وهو رأي كثير من أهل التفسير([lix])(الثعالبي، ج316/2، الخازن ،1997 ،ج103/4) .

الأَصل في الضمير أن يعود علَى متقدّم في اللفظ أو الرتبة ، والضمائر كلها لا تخلو من إبهام وغموض سواء أكانت للمتكلم، أم للمخاطب، أم للغائب؛ ولابد لها من شيء يزيل الآبهام ، ويوضح الغموض، فضمير المتكلم والمخاطب يفسرهما وجود الصاحب وقت الكلام؛ لكونه حاضرا بنفسه، أو حاضرا يكلمه غيره ، وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف؛ لأنه غير مشاهد فلا بد لهذا الضمير من شيء يفسره، ويوضح المراد منه، والأصل فى هذا الشيء المفسِّر الموضِّح أن يكون متقدمًا على الضمير، ومذكورًا قبله ليبين معناه أولا، ويكشف المقصود منه، ثم يجئ بعده الضمير مطابقًا له ، ويسمى ذلك المفسر الموضّح: "مَرْجع الضمير.

فالأصل فى مرجع الضمير أن يكون سابقًا على الضمير وجوبًا. وقد يُهمل هذا الأصل لحكمة بلاغية ، ولهذا المرجع صور ذكرها النحاة نجملها في الأتي :

الأول: التقدم اللفظى بأن يكون متقدمًا بلفظه وبرتبته ، نحو : الكتاب قرأته .

الثاني: التقدم المعنوى ويشمل عدة صور منها: أن يسبقه شيء معنوى يدل عليه .

هذه الصورة المذكورة في هذه الآية من الصورة المعنوية ، فالضمير من خلال القرينة المعنوية يكون راجعا للعسل لكونه فيه شفاء معروف عند الناس ، وهو أقرب مذكور .

والأصل أن يعود ضمير على أقرب مذكور، إذا تعدد المرجع ليزول الأبهام ولأنَّ اللغة العربية والمتحدثين بها يميلون دائما إلى أمن اللبس، ولذلك نجد النحاة يلجئون إلى هذه القاعدة.

وقضية عود الضمير للأقرب تناولها عباس حسن بشئ من الإيضاح يمكن الرجوع إليها

وما تأوله العيني في مرجع الضمير يتأوله النحاة كذلك ، فجاء تأويله موافقا لتصورهم .

الثاني : حذف الحال وإقامة المضاف إليه مقامه

ذكر هذا التأويل العيني وأقره عند شرحه لباب قَول النَّبي صلى اللَّه عليه وسلم : (أَنَا أَعلمكم باللَّه) ، والذي ساقه البخاري من حديث عائشة قالت : ((كان رسول اللَّه صلَى اللَّه عليه وَسلم إِذَا أَمرهم من الْأَعمال بما يطيقُون قَالوا : إِنَّا لسنَا كهَيْئَتك يا رسول اللَّه ، إِنَّ اللَّه قد غفر لَك ما تقَدَم من ذنْبك وما تَأَخر ، فَيغضب حتَّى يُعرف الغَضب في وجهه ثُمَّ يقول :أنا أَتْقَاكُم وَأَعلمكم بِاللَّه))([lx])(البخاري ،ج13/1) ، بيَّن العيني أن قوله :(لسنا كهيئتك) ليس المراد نفي تشبيه ذواتهم بحالته عليه الصلاة والسلام ، فلا بد من تأويل في أحد الطرفين ، فقيل المراد كهيئتك كمثلك ، أي كذاتك ، أو كنفسك ، وزيد لفظ الهيئة للتأكيد ، نحو : مثلك لا يبخل ، أو التقدير في لسنا : ليس حالنا ، فحذف الحال ،وأقيم المضاف إليه مقامه([lxi])(العيني ،2006،ج444/1)

ذكر العيني هذا التأويل وبيَّن إقامة المضاف إلية مقام الحال وهو مذكور عند النحاة ، يقول ابن مالك في ألفيته :

ولا تُجِزْ حَالاً مِن الْمضَافِ لهُ إلاَّ إذا اقْتَضَى الْمُضَافُ عَمَلَهُ
أوْ كَانَ جُزْءُ مَا لَهُ أُضِيفَا أوْ مِثل جُزئِهِ فَـــلا تَحِيفَا([lxii])

وقد اشترط ابن مالك وغيره لذلك شروطا نذكر منها :

الأول : إذا كان المضاف عاملاً في الحال، نحو: ﴿ **إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا** ﴾ ([lxiii]) .

الثاني: أن يكون المضاف جزء المضاف إليه، نحو: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْـوَانًا**﴾ ([lxiv]) .

الثالث : أن يكون مثل جزء المضاف إليه في صحة الاستغناء عنه "به نحو: ﴿**فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ ([lxv]) .

ذكر السمين الحلبي الشروط الثلاثة ثم قال :((والنحويون يستضعفون مجيئَها من المضاف إليه ولو كانَ المضافُ جزءاً ، قالوا : لأنَّ الحالَ لا بدَّ لها من عامل ، والعامل في الحال هو العامل في صاحبها ، والعامل في صاحبها لا يعمل عمل الفعل . ومن جوَّز ذلك قَدر العامل فيها معنى اللام ، أو معنى الإِضافة ، وهما عاملان في صاحبِها عند هذا القائل . ولم يذكر الزمخشري غير هذا الوجه ، وشبَّهه بقولك : رأيت وجهَ هندٍ قائمةً ،وهو قول الزجَّاج))([lxvi])(السمين الحلبي ،ج321/1) .

وبين السيوطي رد أبي حيان على هذه الشروط فقال ((ورده أبو حيان ، وقال إن النصب في (إخوانا) على المدح ، و(حنيفا) حال من (ملة) ، بمعنى : دين ، أو من الضمير في (اتبع) قال :وإنما لم يجز الحال من المضاف إليه لما تقرر من أن العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وعامل المضاف إليه اللام أو الإضافة ، وكلاهما لا يصلح أن يعمل في الحال))([lxvii])(السيوطي،ج206/2) .

وقال البغدادي : ((وإنما ضعف مجيء الحال من المضاف إليه لأن العامل في الحال ينبغي أن يكون هو العامل في ذي الحال))([lxviii])(البغدادي ،1998،ج156/2) .

تأويل العيني هذا موافقا لتأويلات النحاة .

الثالث : تجريد أفعل عن معنى التفضيل وتأويله بالصفة

أورد هذا التأويل عند حديثه عن باب :(من قال إن الإيمان هو العمل) أَنَّ رسول اللَّه صلَى اللَّه عليه وسلم سئِل أَي العمل أَفضل؟ فقَال : إِيمان باللَّه ورسوله ، قيل : ثُمَ ماذا؟ قَال : الجهاد في سبيل اللَّه ، قيل : ثُمَّ ماذَا؟ قَال : حج مبرور([lxix])(البخاري،ج14/1) تكلم العيني عن تجرد (أفعل) التفضيل في قول السائل : (أَي الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟) فبين أنه يجوز أن يتجرد ، فقال : ((وقد يؤول بالصفة كما في قوله تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ ([lxx])))(العيني ،2006ج4/2).

تجرد أفعل التفضيل عن معناه الأصلي مذكور عند النحاة ، فمنهم من يرده ، ومنهم من يقره ، قال ابن الضائع : ((وكثيرًا ما يُستعمل أفعل غير مقصودٍ به التَّفضيل ، وهو عند المبرد مقيس))([lxxi])(ابن الضائع ، 2004) ، وذكر ابن عقيل المسألة ، وجاء ببعض الشواهد المذكورة ومنها قول الشاعر :

وإنْ مُدَّتِ الأيْدِيْ إلى الزَّادِ لمْ أكُنْ بأَعْجَلِهِمْ إذْ أجْشَعُ القَوْمِ أعْجَلُ ([lxxii])

أي لم أكن بعجلهم ، وقول الأخر :

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتَاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ([lxxiii]) .

ثم قال : ((أي دعائمه عزيزة طويلة ، وهل ينقاس ذلك أم لا ؟ قال المبرد : ينقاس ، وقال غيره: لا ينقاس وهو الصحيح ، وذكر صاحب الواضح أن النحويين لا يرون ذلك ، وأن أبا عبيدة قال في قوله تعالى: ﴿**وهَو أهْونُ عَلَيهِ**﴾ ([lxxiv]) :إنه بمعنى : هين ، وفي بيت الفرزدق وهو الثاني إن المعنى:عزيزة طويلة ، وإن النحويين ردَّوا على أبي عبيدة ذلك ، وقالوا : لا حجة في ذلك له))([lxxv])(ابن عقيل1985، ج3م182)

وذكر الأشموني المسأله واستشهد لها بقو ل الشاعر :

اتَهْجُوهُ، وَلَسْتَ لَهُ بكُفْءٍ، فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُمَا الفِداءُ([lxxvi])

ثم قال : ((وقاسه المبرد وقال في التسهيل: والأصح قصره على السماع ، وحكى ابن الأنباري عن أبي عبيدة القول بورود أفعل التفضيل مؤولاً بما لا تفضيل فيه، قال: ولم يسلم له النحويون هذا الاختيار، وقالوا لا يخلو أفعل التفضيل من التفضيل))([lxxvii])(الأشموني،ج185/1) .

وقال البغدادي :((على أن أفعل قد يأتي بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة قياساً عند المبرد سماعاً عند غيره . وهو الأصح))([lxxviii])(البغدادي 1998،ج280/8) . فما تأوله العيني جاء موافقاً لبعض النحاة مخالفا لبعضهم الاخر .

ثانيا : تأويلات نحوية ردَّها العيني

رد العيني بعض التأويلات النحوية التي ذكرها شراح الأحاديث معترضا عليها بتأويلات أخري يراها صحيحة ، وقد جاءت هذه الردود في ستة مواضع من الشرح تقريبا نذكر منها :

أولا: الأحوال التي تقع من غير المشتقات تؤول من لفظها (الحال الجامدة):

ذكر بعض التأويلات والأعرابات لكلمة :(رجلاً) الواردة في باب (بدء الوحي) في حديث البخاري في قوله:((كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك **(رجلا)** فيكلمني فأعي ما يقول))([lxxix])(البخاري،ج112/4) ، فرد هذه الاعرابات في شرحه بكونه أنه لا يجوز ان يتأول (رجلا) على أنه منصوب على المفعولية ولا علي الحالية التي ذكرها الكرماني ، فقال :((وأشار الكرماني إلى جواز انتصابه بالمفعولية إن ضمن تمثل معنى اتخذ ، أي : اتخذ الملك رجلا مثالا وهذا أيضا بعيد من جهة المعنى على ما لا يخفى ، وإلى انتصابه بالحالية ثم قال: فإن قلت : الحال لا بد أن يكون دالا على الهيئة والرجل ليس بهيئة ، قلت : معناه على هيئة رجل انتهى ، قلت: الأحوال التي تقع من غير المشتقات لا تؤول بمثل هذا التأويل، وإنما تؤول من لفظها كما في قولك:هذا بسرا أطيب منه رطبا، والتقدير: متبسرا ومترطبا)) ([lxxx]) (العيني،2006،ج111/1).

ما ذكره جاء موافقا للنحاة فقد ذكروا في تأويل الأحوال التي تقع من غير المشتقات أنها توؤل من لفظها في بعض المواضع المذكورة في كتب النحو : وقد ذكر منها العيني موضعاً في قوله: (هذا بسرا أطيب منه رطبا) .

الحال الجامدة منها ما كانت دالّة على طور فيه تفصيل كالتي ذكرها العيني .

تقع الحال جامدة غير مؤولة بالمشتق في مواضع معروفة في كتب النحو ، وزعم ابن ابن مالك أن كل الأحوال تؤول بالمشتق ، وردّ هذا ابن هشام فقال :((وزعم ابنُه أن الجميع مُؤَوَّل بالمشتقِّ وهو تكلف))([lxxxi])(ابن هشام ،ج293/2) .

ذكر المرادي أن تأويل الحال الجامدة بالمشتق أن يكون غير متكلف ([lxxxii])(المرادي ،2008، ج695/2) والذي ذهب إليه الكرماني متكلف ، ولهذا رده العيني .

هناك بعض النحاة من يرى أنه لا حاجة إلى تكلف تأويل الحال الجامدة بمشتق؛ لكون الحال هو المبين للهيئة، وكل من قام بهذه الغاية فقد حصل فيه المطلوب ، فلا يتكلف تأويله بالمشتق([lxxxiii]).

وفي قولهم :(هذا بسرا أطيب منه رطبا) ذكر الرضي أنه ردوه إلى التأويل ، فقال : ((قالوا: لأنها في المعنى صفة، والصفة مشتقة أو في معنى المشتق، فقالوا في نحو: هذا بسرا أطيب منه رطبا، أي:هذا مبسرا أطيب منه مرطبا، أي:كائنا بسراً وكائنا رطباً))([lxxxiv])(الرضي 1978،ج32/2) .

ثانياً : عدم وضع صيغة الأمر موضع الماضي

ذكر هذا في معرض حديثه لرد تأويل صيغة (اعملوا) بصيغة الماضي التي جاءت في حديث البخاري الذي قال فيه عن شهداء بدر : ((ما يدريك لعل اللَّه أَن يكون قد اطَّلع على أَهل بدر فَقَال: اعملوا ما شئتم ،فقد غفرْت لكم))([lxxxv])(البخاري ،ج60/4) ، وقد ذهب ابن الجوزي إلى أن (اعملوا) جاءت بصيغة الماضي ، وهو مردودعند القرطبي فيما ذكر العيني ، فقال:((قال القرطبي هذا التأويل وإن كان حسنا لكن فيه بعد؛ لأن (اعملوا) صيغة أمر ، وهي موضوعة للاستقبال ، ولم تضع العرب قط صيغة الأمر موضع الماضي

لا بقرينة ولا بغير قرينة ، كذا نص عليه النحويون ، وصيغة الأمر إذا وردت بمعنى الإباحة إنما هي بمعنى الإنشاء والابتداء لا بمعنى الماضي))([lxxxvi])(العيني،2006 ج47/22).

ورود تناوب الصيغ مذكور عند النحاة بين الأفعال لكنها في فعل الأمر ترد للاستقبال ، ففعل الأمر يدل بذاته على ما يطلب تحقيقه في زمن المستقبل ، يقول الصبان : ((وأما الأمر الذي هو مدلول فعل الأمر فمعنى مستقل لكونه مع الحدث))([lxxxvii])(الصبان،ج123/1) .

قال عباس حسن : ((زمن الأمر مستقبل فى أكثر حالاته؛ لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل، أو دوام ما هو حاصل))([lxxxviii])(عباس حسن ،ج42/1) .

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور : ((صيغة (افْعَلْ) فإنَّ أَصلها طلب إيجاد الفعل المأمور به))([lxxxix])(بن عاشور، 1984،ج232/13) .

ثالثا : حال أنْ الناصبة للفعل في تقريب معنى الماضي من المستقبل

ذكر هذا عند شرحه لمعنى قوله تعالى : ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ ([xc]) التي ساقها لشرح الحديث الذي دار بين ورقة ابن نوفل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: (قال رسول الله : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي ، وإن يدركني يومك)([xci])(البخاري، ج7/1) .

اختلفت الرويات في قوله :(وإن يدركني) بين الشراح فذهب العيني إلى أن الذي ذهب إليه البخاري هو الصحيح ، قال :((ما في البخاري هو القياس ؛ لأن ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده ، كما جاء أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حي ، ثم قيل ولرواية ابن إسحاق وجه ؛ لأن المعنى إن أر ذلك اليوم ، فسمى رؤيته إدراكا ، وفي التنزيل (لا تدركه الأبصار) أي: لا تراه على أحد القولين ، قلت : هذا تأويل بعيد فلا يحتاج إليه ؛ لأنه لا فرق بين أن يدركني وبين أن أدركت في المعنى ؛ لأن أنْ تقرّب معنى الماضي من المستقبل))([xcii])(العيني ،2006، ج144/1) .

(أنْ) مفتوحة الهمزة ساكنة النون الواردة في الحديث فصلها النحاة ، وهي : حرفية ناصبة للفعل المضارع في موضع الرجاء ،والطمع ، والتمني ، ذكر ابن السراج أن تكون هي والفعل الذي تنصبه مصدراً كما في قولك : أريد أن تقوم : أي : أريد قيامك))([xciii])(ابن السراج ،1988،

وقال الزمخشري : ((أن تدخل على المضارع والماضي فيكونان معه في تأويل المصدر. وإذا دخل على المضارع لم يكن إلا مستقبلاً كقولك : أريد أن تخرج، ومن ثم لم يكن منها بد في خبر عسى. ولما انحرف الشاعر في قوله:

عَسَى طَيِّء مِنْ طَيِّءٍ بَعْدَ هَذه ... سَتَطْفِيء غَلاتِ الكلَى وَالْجَوانحُ([xciv])

عما عليه الإستعمال جاء بالسين التي هي نظيرة أن ، وهي مع فعلها ماضياً أو مضارعاً بمنزلة أن مع ما في حيزها))([xcv])(الزمخشري ،ج433/1) .

ج237/1)، وقال ابن مالك :

وَبَلَن انْصِبْهُ وَكَى كَذَا بَأَنْ ... لا بَعْدَ عِلْمٍ والتي من بَعْدِ ظَنْ([xcvi])

قال المرادي : ((توصل بالفعل المتصرف، ماضياً، ومضارعاً، وأمراً. نحو: أعجبني أن فعلت ،ويعجبني أن يفعل، وأمرته بأن أفعل، ونص سيبويه وغيره، على وصلها بالأمر))([xcvii])(المرادي ج36/1) .

ذكر الرماني عن (أن) أن تكون ناصبة للفعل، تنقله إلى الاستقبال ، ولا تجتمع مع السين وسوف ، وهي مع الفعل بمعنى المصدر نحو: يسرني أن تأتيني بمعنى يسرني إتيانك([xcviii])(الرماني ،ج45/1) .

ومنهم من يهملها وهي مستحقة للعمل ، وشاهدها قراءة من قرأ ([xcix]) لقول الله تعالى : ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ ([c]) برفع (يتمُ) .

وقول الشاعر :

أَنْ تَقْرآنِ عَلى أسَماءَ ويْحَكُمَا مِنِّي السَّلامُ وأنْ لاَ تُشْعِرَا أَحَدَا([ci])

سأل ابن جني أبا على الفارسي عن هذا البيت فقال له : ((هي مخففة من الثقيلة ، كأنه قال : أنكما تقرآن ، إلا أنه خفف من غير تعويض))([cii])(ابن جني،ج1/390) ، وقال البغدادي : ((وذهب الزمخشري إلى أن الرفع بعد أن لغة))([ciii])(البغدادي،ج8/ 422/).

وللنحويين تأويلات كثيرة في رفع(أَنْ تَقْرآن) مذكورة في كتب النحو يمكن الرجوع إليها .

والرفع قد يستوجبه الزمن لمنع التعارض بين الزمن الحالي والمستقبل ، يقول عباس حسن : ((وجوب رفع المضارع الحالي الزمن حقيقة أو تأويلا هو كما أشرنا لمنع التعارض بين دلالته على الحالية ، وما تدل عليه (أن) الناصبة له؛ إذ لو نصبته لجعلت زمنه للمستقبل المحض، كشأن كل النواصب، مع أن المراد أن يكون زمنه للحال الحقيقية أو المؤولة، ومن ثم يقع التعارض بين الحال والاستقبال؛ أي: بين الحالية المطلوبة هنا، والاستقبال الخالص الذي يحتمه وجود "أن الناصبة" للمضارع، وهذا التعارض لا يوجود مع الرفع))([civ])(عباس حسن،ج4/349)

وقد تحذف (أنْ) والاختيار أن لا يبقى عملها وقال السمين الحلبي : ((وإذا حُذفت أَنْ فالصحيح جواز النصب والرفع))([cv]) .

نتائج البحث

1. ذكر الوجوب النحوي ليوضح في شرحه ما حصل من غموض في بعض الأحاديث .
2. بدرالدين العيني يقرُّ ما يقرُّه النحاة في المسائل النحوية في كثير من الأحيان كالذي مرَّ في عدم وضع صيغة الأمر موضع الماضي .
3. قد يخالف النحاة في بعض القواعد النحوية كما في وجوب حذف ألف ما الاستفهامية إذا جرت
4. اسهمت التأويلات النحوية للعيني في إيضاح المضمون للحديث الشريف كما ورد في حذف الحال وإقامة المضاف إليه مقامه .
5. يرد بعض التأويلات النحوية للمفسرين معتمدا على ما يذكره النحاة .
6. عند ذكره لبعض القواعد النحوية يقرها بتفصيلاتها الواردة عند النحاة .
7. يتخير العيني الآراء النحوية الشائعة ، ويأتي بالوجوه الأخرى للاستبيان والإيضاح كما هو في الأحوال التي تقع من غير المشتقات تؤول من لفظها.
8. ينصح الباحث بدراسة الشرح دراسة نحويه صرفية دلالية تتناول كل المسائل المتعلقة لأنَّ فيه من القضايا النحوية ذات العمق المتنوع ما لا في غيره من الشروح الأخرى .

الهوامش

[i] . دلائل الأعجاز ج1/282

[ii] تهذيب الكمال ج1/337 الأعلام ج6/34

[iii] . بغية الوعاة ج2/275 ، الأعلام ،2002 ، ج7/ 163)

[iv] . المحيط في اللغة ج2/143 ، تاج العروس في جواهر القاموس ج4/333

[v] . النهاية في غريب الأثر ج2/7

[vi] . المائدة /3 ، صحيح البخاري ج1/18

[vii] - عمدة القاري ج2/203

[viii] - منازل الحروف ج1/44

[ix] . اللمع في العربية ج1/220

[x] - المقتضب ج2/302

[xi] . الأصول في النحوج2/396

[xii] . المفصل في صنعة الإعراب ج1/189

[xiii] . صحيح البخاري ج1/37

[xiv] . عمدة القاري ج2/ 423

[xv] . ماورد صدر بيت وهو للمنذر بن درهم الكلبي وتكملته : أَذَو نَسَبٍ أَمْ أنتَ بالحيِّ عارِفُ / ينظر :الكتاب ج1/320 ،

شرح الرضي ج1/321 ، خزانة الأدب ج2/98

[xvi] . الكتاب ج1/349

[xvii] . لم يعرف قائله ،زواء : الأرض البعيدة الأطراف ، بيون : بئر بعيدة القعر

[xviii] . سر صناعة الأعراب ج2/746

[xix] . البيت لم يعرف قائله وهو من أبيات الكتاب ، مسور : اسم رجل ينظر : الكتاب ج1/352 ، اللباب في علل البناء

والأعراب ج1/465 ، الجمل في النحو ج1/196 ،شرح الرضي ج1/329

[xx] . الملك /4

[xxi] حاشية الصبان ج1/1049

[xxii] . خزانة الأدب ج2/81

[xxiii] . توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ج2/800

[xxiv] . الأعلم : هو : يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي المعروف بالأعلم الشنتمري

[xxv] . صحيح البخاري ج2/129

[xxvi] . عمدة القاري ج12/187

[xxvii] . شرح الرضي ج1/479

[xxviii] . همع الهوامع ج22/2

[xxix] . صحيح البخاري ج30/1

[xxx] . عمدة القاري ج171/3

[xxxi] . شرح الرضي ج50/3

[xxxii] . النباء /1

[xxxiii] . البيت : لحسان بن ثابت ينظر : ديوان حسان بن ثابت ج64/1

[xxxiv] . يس/ 26

[xxxv] . دور اللهجة في التقعيد النحوي ، علاء إسماعيل الحمزاوي ج25/1

[xxxvi] . مغني اللبيب ج394/1

[xxxvii] حاشية الخضري ج195/3

[xxxviii] - لم يعرف قائله ، ينظر: مغني اللبيب ج1/ 393 ، شرح الرضي ج152/3 ، خزانة الأدب ج100/7

[xxxix] صحيح البخاري ج2/ 157

[xl] . عمدة القاري ج77/15

[xli] - توضيح المقاصد والمسالك برح ألفية ابن مالك ج1238/3

[xlii] اللمحة في شرح الملحة

[xliii] . اللباب في علل البناء والإعراب ج34/2

[xliv] . الجنى الداني في حروف المعاني ح60/1

[xlv] . أوضح المسالك ج168/4

[xlvi] - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ج521/2

[xlvii] . أوضح المسالك ج242/4

[xlviii] . شرح الأشموني ج339/1

[xlix] . لسان العرب ج32/11

[l] . تاج العروس ج252/27،251

[li] . التعريفات ج72/1

[lii] . كتاب الكليات ا 394/1

[liii] . التعريفات ج68/1، 72

[liv] . سورة النحل /69

[lv] . صحيح البخاري ج7

[lvi] . عمدة القاري ج31 /291

[lvii] سورة النحل /69

[lviii] . تفسير الفخر الرازي /2732

[lix] . تفسير الثعالبي ج316/2 ، تفسير الخازن ج103/4 ، السراج المنير ج193/2

[lx] . صحيح البخاري ج13/1

[lxi] . عمدة القاري ج444/1

[lxii] . توضيح المقاصد ج707/2 ، شرح ابن عقيل ج266/2

[lxiii] . المائدة /48

[lxiv] - الحجر /47

[lxv] . ال عمران /95

[lxvi] . الدر المصون ح321/1

[lxvii] - همع الهوامع ج206/2

[lxviii] . خزانة الأدب ج156/2

[lxix] - صحيح البخاري ج14/1

[lxx] . الروم / 27 ، ينظر عمدة القاري ج4/2

[lxxi] . اللمحة في شرح الملحة

[lxxii] البيت للشنفرى من لامية مشهورة معروفة ب(لامية العرب) ينظر :شرح ابن عقيل ج182/3 ،شرح الأشموني ج185/1

[lxxiii] . البيت للفرزدق ينظر: المفصل في صنعة الأعراب ج299/1، شرح الرضي ج453/3

[lxxiv] . الروم /27

[lxxv] . شرح ابن عقيل ج182/3

[lxxvi] - حسان بن ثابت ينظر ديوانه ج1/1

[lxxvii] . شرح الأشموني ج185/1

[lxxviii] . خزانة الأدب ج280/8

[lxxix] . صحيح البخاري ج112/4 ،عمدة القاري ج94/1

[lxxx] . عمدة القاري ج111/1

[lxxxi] . أوضح المسالك ج293/2

[lxxxii] . توضيح المقاصد والمسالك ج695/2

[lxxxiii] . دليل السالك إلى الفية ابن مالك ج367/1

[lxxxiv] . شرح الرضي ج32/2

[lxxxv] . صحيح البخاري ج60/4

4 . عمدة القاري ج47/22

[lxxxvii] . حاشية الصبان ج123/1

[lxxxviii] . النحو الوافي ج42/1

[lxxxix] . التحرير والتنوير ج232/13

[xc] . الأنعام /103

[xci] . صحيح البخاري ج7/1

[xcii] . عمدة القاري ج144/1

[xciii] . الأصول في النحو ج1/ 237

[xciv] . البيت لم يعرف قائله ينظر : شرح ديوان الحماسة ج1/ 297 ، شرح الرضي ج219/4 ، همع الهوامع ج477/1 ،

[xcv] . المفصل في صنعة الإعراب ج433/1

[xcvi] . شرح ابن عقيل ج3/4 ، شرح الأشموني ج135/1

[xcvii] . الجنى الداني في حروف المعاني ج36/1

[xcviii] . منازل الحروف ج1/ 45

[xcix] . قراءة مجاهد وابن محيصن

[c] . البقرة /233

[ci] . لم يعرف قائله ، و قبله : **إن تحمِلا حاجة لي خَفّ محملها ... تستوجبا نِعمةً عنِدي بها ويدا** ، انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ج1/ 1337

[cii] . الخصائص ج390/1

[ciii] . خزانة الأدب ج8 /422

[civ] . النحوالوافي ج349/4

[cv] . الدر المصون ج218/1

المصادر والمراجع

1 . أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، 2011 .

2 . الأصول في النحو ، أبي بكر محمد بن سهل بن السراج ، تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1988

3 . الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري ، دار الفكر دمشق1995 4 . بغية الوعاة في طبقات اللغـــــويين والنحاة ، جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطيى

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا لبنان .

5 . تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الزَّبيدي

6 . التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ط1997 .

7 . التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط1، 1405

8 . تهذيب الكمال ، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة – بيروت ط 1980

9 . تفسير الفخر الرازى ،محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي ، دار إحياء التراث العربى

10 . تفسير الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي بيروت

11. تفسير الخازن ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن دار الفكر بيروت لبنان ، 1979 م

12. تفسير السراج المنير . محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين ، دار الكتب العلمية . بيروت

13 . توضـــــيح المقاصد والمســـالك بشرح ألفية ابن مالك ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله المرادي ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن على سليمان ، دار الفكر العربي ط1.2008 .

14 . الجنى الداني في حروف المعاني ابن أُمّ قَاسِم المرادي

15 . الجمل في النحو ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د.فخر الدين قباوة ، ط5، 1995

16. حاشية الخضري على ألفية ابن مالك ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

17 . خزانة الأدب ،عبد القادر بن عمر البغدادي ، تقديم محمد نبيل طريفي ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 . 1998 .

18. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب بيروت

19 . دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الأسرة2000 .

20 . دور اللهجة في التقعيد النحوي ، علاء إسماعيل الحمزاوي

21 . الدر المصون في علوم الكتاب المكـــنون ، تأليف الإمام شـــــهاب الدين أبي العباس بن يوســـــف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق الشيخ على محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكـــتور جاد مخلوف جاد ، والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي قدم له الدكتور أحمد محمد صيره ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1.1994 .

22 . سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : د.حسن هنداوي ، دار القلم دمشق ، ط1 ، 1985

23 . شرح الأشموني، تحقيق عبد الحميد السيد محمد عبد الجميد ، المكتبة الأزهرية ،القاهرة .

24. شرح الرضي على الكافية ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، عالم الكتب ط. .2000

25. شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 1985

26 . شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، شمس الدين محمد بن عبد المنعم الجَوجَري تحقيق : نواف بن جزاء الحارثي ، عمادة البحث العلمي ، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 2004

27 . صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ط 1987

28 . لسان العرب ،محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر بيروت ط1 .

29 . اللباب في علل البناء والإعراب ، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله دار الفكر دمشق ، ط1 1995

30 . علل النحو ، أبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق ، تحقيق : محمود جاسم محمد الدرويش مكتبة الرشد – الرياض / السعودية – ط1 1999 م

31 . عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني الحنفي ، 2006 م

32. الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجبل بيروت ، ط1. 1991 .

33. كتاب الكليات . لأبى ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت ، 1998م.

34. كتاب اللمع في العربية ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : فائز فارسدار الكتب الثقافية – الكويت ، 1972

35 - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله ، دار الفكر ، بيروت ظ6 ، 1985

36 . منازل الحروف ، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، دار الفكر عمان

37 . المفصل في صـــــنعة الإعراب ، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ، تحقيق د.على أبو ملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت لبنان ، ط1. 1993 .

38. : المقتضب ، محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة

39 . المحيط في اللغة : الصاحب بن عباد

40 . النهاية في غريب الأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت ، 1979م

41 . النحو الوافي عباس حسن

42. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع جلال الدين السيوطي ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية .

القصة في الشعر الليبي

د. نورية سعد سالم ، كلية التربية ، جامعة الزيتونة

المقدمة

مرّ الشعب الليبي بظروف صعبة في ظل الاستعمار ، دفعت البعض إلى الهجرة ، وكان من المهاجرين شعراء اختلطوا بغيرهم ، وتأثروا "بما جاء به المشارقة من أساليب وما نادى به رواد التجديد من أفكار" (عزالدين إسماعيل ، 300)، وظهر عند بعضهم الشعر القصصي المستمد من واقع الحياة ، فمجاله فسيحٌ لوصف الواقع السياسي والاجتماعي الذي يحياه الشعب ، فأتكأ عليه الشاعر ، وتطرق في قصه الشعري إلى بعض التغييرات الحرفية لدفع قصته نحو النمو والتطور بتطور أحداثه داخل البناء السردي للقصيدة ، والقصة "حين تستخدم في القصيدة إنما تستخدم على أنها وسيلة تعبيرية درامية لا على أنها قصة لها طرافتها وأهميتها في ذاتها " (السابق ، 301).

وقد أدرك الشاعر الليبي العلاقة بين القصة والشعر من خلال نمو الحدث ووصوله إلى النهاية حين عرف أن "إضافة الشعر إلى القصة ليس مجرد زينة وليس مجرد إثبات للقدرة على نظم الكلام ، وإنما تستفيد القصة من الشعر التعبير الموحي المؤثر ، ويستفيد الشعر من القصة التفصيلات المثيرة الحية ، فهي بنية متفاعلة يستفيد كل شق فيها من الشق الآخر، وينعكس عليه في الوقت نفسه" وإن نوع الشاعر في قصه الشعري بين الوطني والقومي والاجتماعي فجميعه يصور واقعه .

يعنى البحث بدراسة القصة الشعرية التي تصور قضايا المجتمع وتبرز حجم المعاناة التي كابدها أبناء الشعب الليبي.

التمهيد

وجد الإنسان القصة منذ القدم وسيلة من وسائل التعبير عن الحياة بكل تفاصيلها ، وبها "يرسم صورة صادقة لما يدور في المجتمع من ملابسات متباعدة لأناس يروحون ويجيئون فتروي أحداثًا وقعت ، أو ممكن تحدث من أمثالهم" (محمد أحمد صوالحة ، 2002، 79) ، وبتمكنه من اللغة وقدرته على حسن صياغتها استطاع أن يصف الحياة ، وما فيها من مواقف وأحداث ، ويعبر عن مشاعره في إطار موسيقي منظم ، فالقصة شبيهة بالشعر ، "في أن كلاً منهما يحتفل بتصوير الخلجات الجزئية ، ويهتم بالتعبير عن المشاعر والانفعالات الدقيقة " (عزيزة مريدن ، 1984، 362). والشعر جنس أدبي له أنواع ، والقصة تزين بعض أنواعه كما في الشعر الملحمي ، والشعر القصصي أو القصة الشعرية، وإن كان البعض (ينظر . طه وادي (د، ط ،ت)

يرى فرقًا بينهما باعتبار أن المقدم أهم ، فإن كان المدروس شعرًا نقول : الشعر القصصي ؛ فهو شعر يحمل بعض عناصر القصة، وإن كان المدروس نثرًا نقول : القصة الشعرية ؛ فهو قص يحمل بعض التعبير الشعري ، وهناك من استطاع التوفيق بين المصطلحين أو التعبيرين "فالشعر يستعير بعض خصائص القص والمسرح ، والقص والمسرح كلاهما يستعينان ببعض خصائص الأسلوب الشعري ؛ لذلك شاعت مثل هذه المصطلحات ، التي تدل على المزج ، والتداخل ، والتواصل ، والانزياح بين الأنواع الأدبية : قصيدة درامية ، قصيدة قصصية ، قصة شعرية ، قصة درامية ، مسرحية شعرية . وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على كسر الحواجز التقليدية بين الأنواع الأدبية." (طه وادي ، 292)، "فإذا كان الشعر يصور جانب الحياة كما تنعكس على نفس الشاعر ، فيوحي بها ويلقي إلينا بأشعتها وظلالها ، وإذا كانت القصة تصور الحياة نفسها

بجميع دقائقها ولحظاتها ، فإن القصة الشعرية تجمع بين هاتين الصورتين" (عزيزة مريدن 1984، 23)، وقد نظم الشاعر الليبي في القصة الشعرية ، التي تجمع بين شكلين مهمين في الأدب . فوجد فيها فضاء رحبًا يحلق فيه بخياله ، ويُحيي تجربته في نطاق أوسع .

المبحث الأول

التكنيك القصصي وأبرز مظاهره في الشعر الليبي

تعد القصة أو الأقصوصة الشعرية "من خصائص الشعر العصري لقدرتها على الإيحاء والتأثير وخاصة عند الشعراء الرومانتيكيين" (حسن محسن، 1980، 222)، وبعد أن نضجت القصة وتعددت اتجاهاتها وتكنيكاتها ، أخذت " القصيدة تستعير من الرواية أخص تكنيكاتها وأحدثها " (علي عشري زايد، 2008 ، 209.) ، وسنتناول تكنيكين شاعا في القصيدة الحديثة عامة ؛ لنعرف من خلالهما كيف استطاع الشاعر الليبي أن يصور قضاياه موظفاً في ذلك الأدوات الروائية شعرًا. والتكنيكان هما : (الارتداد ، والمونولوج الداخلي).

الارتداد :

يعد الارتداد(Flash _ back) من أبرز التكنيكات التي استعارتها القصيدة الحديثة من القصة ، والذي يُعرّف بأنه " قطع التسلسل الزمني للأحداث ، والعودة من اللحظة الحاضرة إلى بعض الأحداث التي وقعت في الماضي، وقد يتم هذا الارتداد على لسان الراوي ، أو من خلال وعي أحد الأبطال لأغراض فنية مقصودة" (السابق ، 209 ، 210) ، والمتتبع للشعر الليبي يلحظ أن الشاعر اتّبع هذا الأسلوب الفني في كثير من قصائده ، من ذلك قصيدة (لماذا أميركا) (علي صدقي ، .1985 . 673 . 676) .

للشاعر علي صدقي التي استهلها بحوار دار بين طفلة وأبيها ، قائم على الصيغة الطلبية والتبادل الخبري ؛ لجذب المتلقي إلى الفكرة التي يريد إيضاحها ، وهي حقيقة أميركا وجرائمها ضد الإنسانية ، ويقف الشاعر عند قضية مهمة أثرت في الشعب وعانى منها الكثير ، وهي قضية الوجود الأجنبي .

وتسألني ابنتي ، عن لفظ : (أميركا) وما يعني ؟؟؟

أحلوى اسمها أبتاه :(أميركا) ؟؟؟

أم اللعبة والفستان ، والقطة (أميركا)؟؟؟

تدور أحداث القصيدة حول طفلة وأبيها ، وما يدور بينهما من ضحك ومرح ، وهذا يرسم جو أسري يسوده الحب ، وتوظيفه لشخصية الطفلة المليئة بالحيوية والحركة يثير اهتمام المتلقي ويجعله يشعر بالجو العائلي الذي تسعى أميركا إلى القضاء عليه .

وأطرق لحظة ، لكنها تعلو على كتفي

وتسألني : ألا تعرف ؟؟؟

كأنك يا أبي طفل بعمري الآن لاتعرف

وتجذبني بأذني كي ترى عيني

وتسألني ، ولكني أهز الرأس في حيرة

أ أفجعها بمعنى لفظ (أميركا) ؟؟؟

ومعنى (انجلترا) الأخرى ؟؟؟

بعد هذا الموقف الحركي الصوتي الذي جمع الطفلة وأباها ، و سرد الراوي المشارك ما دار بينهما من حوار في توضيح معنى أمريكا ، يبدأ الارتداد إلى الماضي ، فسؤال الطفلة يذكره بما كانت تفعله أمريكا في ليبيا من جرائم في حق الشعب الليبي، وما تنشره من فسق وفجور .

وكانت أمس (أميركا) على (ليبيا)
قواعدها بها : جنس ، بها خمر ، بها موت بلا ميعاد
وأغنية على بصماتها زنجية تجلد
وبائعة للحم الشيء ، ذاك الشيء مشوي على النار
وشعبي قد حشو فاه ، بملح البحر كي يصمت
فلا يزعج (أميركا) التي بسريرها الوردي
لتأكل وجبة الإفطار ، في كسل ، مع القهوة
ولكنّا طرحنا ملحهم ، قمنا
وجئناهم (بأول يوم سبتمبر)
لنوقد (ليبيا) الثورة

بدأ النص بالحركة والصوت ، وفي ارتداده يخيل للقارئ أنه قائم على السرد الوصفي الجامد ، لكن المتمعن فيه يلحظ أنه يزخر بالحركة ، والتصوير الدقيق ، فقد كان الشاعر في ارتداده هذا واصفاً لما حدث بصورة مؤثرة في المتلقي .

وقصيدة (دماء تحت النخيل) (السابق ، 67 . 70) التي تتناول قضية الوجود الأجنبي ، وما فعله المستعمر الإيطالي من جرائم في حق الشعب الليبي ، يظهر الارتداد بعد أن مهد له في المقطع الأول بسرد خبري عني فيه الشاعر بتحديد المكان الذي يتوافق مع مايريد التحدث عنه ، فالمكان هو (الهاني) الذي شهد أشرف المعارك بين المجاهدين الليبيين والغزاة الإيطاليين ، وفي هذه القصيدة يقص الشاعر قصة الأبطال ، الذين قدموا أرواحهم فداء للوطن ، ووقفوا في وجه المستعمر الدخيل .

أينما وليت وجهي كان يلقاني الشهيدْ
وعلى عاتقه الأمجاد والماضي البعيد
حاملاً حفنة ترب ، من ثرى(ليبيا)المجيد
وبه ضمد ما مزق من حبل الوريد
قائلاً: في هذه التربة ريح للجدود
وعلى ذراتها التاريخ يبني ويشيد
ها أنا الآن بذكراي إلى قومي أعود

وليعطي الحدث حيوية وحركية في التصوير تثيرالانتباه ، وظف شخصية الشهيد أثناء السرد الخبري ، وعندما أراد أن يعيد ذكرى الهاني مهد لها ببعض الأسطر الشعرية، التي هيأت المتلقي لهذا الارتداد بالذاكرة لما حدث في تلك المعركة، ولم يفاجئه بها .

يوم ذكرى (الهاني) والشاطئ تهتز الضلوع
وشميم الدم ، والبارود ، في الجو يضوع
جعل الله له الأنجم ، في الليل الشموع
وانحنى الأفق ، لذكراه ، احترامًا في خشوع

مهد الشاعر بلفظة (ذكرى) الدالة على أنه صار ماضيًا ، وتناوله يعد ارتدادًا بالذاكرة إلى ذلك الزمن ، كما أراد بهذا الارتداد تحفيز النفوس إلى الكفاح ، وحب التضحية ، فالتاريخ يسجل ، ولايدخله إلا الأبطال الذين يخلدهم على مر الزمن.

إنّ يوم (الهاني) (والشاطئ) يوم الخالدين
يوم أن سار ، أب ، وابن ، لرد المعتدين
يوم أن ودعت الأم ابنها في الذاهبين
وأتاها نعيه مستشهدًا ، في الأولين
خلّف الزوج ، الأب الشيخ قعيدًا ، والبنين
بعده شردهم عاد ، فأمسوا تائهين
وقضوا في مهمه ، عطشى ، جياعًا ، مرهقين

حدد الشاعر شخصيات القصة التي ترسم حجم التضحيات المقدمة من أبناء هذا الشعب موظفاً تكنيك الارتداد ، الذي يعيد به شيئًا من الماضي ، ويرسم صورة حية ناطقة معبرة عن تلك الأحداث .

فارتداد الشاعر في هذا المقطع البطولي الهادف إلى التعريف بشخصية الشهيد البطل الذي قدم روحه من أجل وطنه ، حرص على تقديم صورة ناطقة للشهيد ، ولأسرته التي خلفها، وعانت التشرد والجوع والعطش ، بعد أن أضحى ابنها شهيدًا ، وهو بهذا التكنيك يحرض النفوس على المستعمر ، الذي لايقوى على مواجهة الرجال في ساحات الوغى ، ويتفنن في تعذيب ، وتشريد المستضعفين من الأطفال والنساء والشيوخ، و يعقب هذا المقطع بسرد آني يهيئ لمقطع ارتدادي آخر، وقصد من هذه المزاوجة بين الوصف الآني ، والارتداد الكاشف تقديم الحدث المراد ، بصورة لافتة للمتلقي .

إنّ ذكرى (الهاني) ذكرى المجد ، والمجد دماء
سطرت آياته الدنيا ، وأملاك السماءْ
إنه يوم له في مسمع الكون غناء
سوف تفنى الناس والدنيا ويبقى الشهداء

في كل ارتداد يحرص على أن يبين أنه حدث صار ذكرى خالدة لايمحوها الزمن، وارتداده في هذا المقطع بعد فصل بسرد هيأ المتلقي له ، القصد منه تقديم مقابلة فنية بين الموقف البطولي للشهيد الذي يضحي بنفسه من أجل وطنه بكل شجاعة وإقدام تاركًا من يحتاجه من أهله، والموقف الجبان الصادر من جند العدو ، الذين حين يحمى وطيس المعركة يصرخون مذعورين ، يستنجدون بأمهاتهم وكأنهم أطفال .

ووظيفة هذا الارتداد كشف حقيقة الغزاة ، وخوفهم من الموت، أمام شجاعة وبسالة الأبطال الذين يحرصون على الشهادة ، وهذه المقارنة تلفت انتباه المتلقي ، وتحفز قدراته على معرفة شخصية كل طرف فيها .

يا رمال (الهان) (والشاطئ) قصي يارمال
قصة عن (قبعات الريش) في يوم النزال ..
وجنود من نعام ، لاجنود من رجال
يستغيثون (بماما مي) إبّان القتال
ذعروا من فارس ، منتقب صال وجال
راكبًا مهرًا ، سنابكه لهيب في اشتعال
يملأ الجو ، هزيجًا ، وصهيلاً ، في النضال

يهدف الشاعر بهذا الارتداد كشف العدو وتعريته ، فحقيقة العدو واحدة في كل زمان ومكان ، فهم جبناء يحرصون على الحياة ، ويخافون الموت ، ولايصمدون أمام أي تحدٍ ، ويلاحظ أنّ الشاعر في هذا المقطع ذي الزمن الماضي استعمل بعض صيغ المضارعة الدالة على الزمن الحاضر ، وهي : (يستغيثون ، يملأ) بدلاً من الصيغ الدالة على الماضي التي يتطلبها الارتداد المعبر عنه ؛ ليدل على أنّ فزع العدو دائم في أي عصر، وأنّ شجاعة العرب مستمرة ، والشهادة مطلب يسعى إليه كل مجاهد مسلم ، فهم يستهزئون بالموت في ساحات القتال ، ولذا حافظت اللفظة على زمنها الماضي.

ويتكئ الشاعر في قصيدة (الليل والسنون الملعونة) (علي الرقيعي ، 1990 .74 ـ76.)

على الحبكة المتماسكة ، فيبدأ بسرد الحدث من نفسه ، فقد كان في البداية ساردًا غير مشارك ، فيقص القصة المصورة للواقع المهين الذي كان يحياه الشعب الليبي ، وما يعانيه من قهر وجوع وفقر.

عشرون عام

نفس العيون المطفآت

نفس الوجوه المجدبات من الحياة

ومنازل الطوب العتيقات النثيرة والسكون

ومخابئ الصرصور في جدرانها المتداعيات

والقمل والبرغوث نفس الشارع القذر التريب

ويواصل السرد بشكل قصصي مستخدمًا ضمير المتكلم ، فيتحول من سارد غير مشارك إلى سارد مشارك

ونباح كلب ضامر الأوجاع ينهشه القراد

حولي ونفس تفاهة العيش الحقير

وأنا أنا مازلت أحيا والضياع

يستمر الشاعر في تصوير الحياة بشكل قصصي متناولاً أدق التفاصيل ، وبأسلوب فني يرتد بذاكرته إلى الماضي ، لعل الماضي وما كان فيه من أشياء جميلة تخفف عنه أعباء الحاضر .

مازلت أفرح بالحياة

لصغيرتي (ريم) الجميلة عندما كنا صغار

طفلين يغتسلان في برك الطريق

ويثرثران بغنوة خضراء تزخر بالحنين

سمراء حلم طفولتي كانت وكنا عاشقين

نتعجل الأيام نقسم لن نخون

أعطى هذا الارتداد الشاعر الأمل في غد أحسن وأفضل ، وأن حياة الذل والهوان لن تستمر .

فغدًا سينور الرمان والمطر الرحيم

سيعم شارعنا التريب

وسيغسل الأدران والبرغوث والسل البغيض

يقص الشاعر في قصيدة (رماد . . . امعيتيقة) (علي صدقي ، 1985، 299).

قصة الطفلة (امعيتيقة) التي استشهدت بنيران العدو الأمريكي ، ويعرض قضية الوجود الأجنبي الجاثم على أرض الوطن ، فيفعل فيها ما يشاء دون حسيب ولا رقيب ، وقد كان الشاعر في هذه القصة ساردًا معتمدًا على السرد القصصي ، والحبكة المتماسكة ، فيبدأ القصيدة بالرمز ، إذ يرمز إلى أمريكا ، وما تفعله

قواتها في أي مكان تحط به (بالجراد) الذي يقضي على أي شيء أخضر ويحيله هباء، فأمريكا عدوة الحياة، عدوة الأمن والاستقرار في العالم ، فبالرغم من إدعائها الحرية ومناصرة المظلومين ، وبالرغم من تقدمها العلمي فهي موطن الإرهاب الأول الداعي لتفتيت الشعوب والقضاء عليها .

جراد، جراد ! !
من (العالم الحر) ، من برج ناطحة للسحاب
تشير إلى موطني ، يد تمثال حرية باردة
كجدران مقبرة ، صلبت في الشتاء
لتغري الجراد ، بأحراج حناء أرضي

ويرتد الشاعر بذاكرته ليقص علينا بعض جرائم أمريكا ضد الإنسانية في بلادي .

وعند مساء خريف
أ تانا الجراد
وقد جرح الشمس ، إذ صبّ في عينها سرة من دخان
دخان من العالم الحر ، من مصنع الذرة
لئلا نرى يشنق السلم ، في قريتي
ويطحن ثغر (امعيتيقة)
وعند الصباح يصلي لأجل السلام

المونولوج الداخلي :

وهوما يعرف بحديث النفس ويعد من أبرز تكنيكات تيار الوعي ، والمونولوج الداخلي هو "ذلك التكنيك المستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية ، والعمليات النفسية لديها . دون التكلم بذلك على نحو كلي أو جزئي . وذلك في اللحظة التي توجد فيها هذه العمليات في المستويات المختلفة للانضباط الواعي قبل أن تتشكل للتعبير عنها بالكلام على نحو مقصود" (روبرت همفري ، 1974 ، 22).

وقد وظف الشاعر الليبي هذه التكنيك في قصه الشعري بغية تصوير بعض التداعيات النفسية التي تتم في وعي شخصيات قصائده ، كما في قصيدة (مجرم ولكن) لعلي صدقي ، التي تتناول قصة إنسان فقير معدم ، اُتّهم بالسرقة من غني يحتكر الطعام بمخزنه ليبيعه للناس وقت المجاعة ، المتهم عندما وُجّهت له تهمة السرقة في قاعة المحكمة ، أُصيب بالذهول ، وأخذ يحث نفسه قائلا: (على صدقي ، 1985 ، 95).

أ أنا سرقت ؟ نعم سرقت
لا ، لست لصًا ، إنّني رجل بريء
لا تكتبوني سارقًا

في الأبيات نرى المتهم في قاعة المحكمة تراوده خواطر وأفكار ، تبين شدة الصراع النفسي ، وقد عمد الشاعر علي صدقي إلى إبرازها وعرضها بصيغ منوعة فبدأ بصيغة يطرح فيها سؤالا على نفسه ، يتعلق باستبعاد السرقة عنه ، فيأتي بالاستفهام ، الذي خرج عن مقتضاه إلى التعجب ، فالمتهم شريف ، نفسه عزيزة ترفض السرقة ، ولكن صراعه معها يثبت أنه سرق ، فالحاجة دفعته لأخذ الطعام لسد الجوع الذي تعاني منه عائلته ، فالتهمة قد ترتبت عنها تداعيات نفسية لدى المتهم ، الذي يرفض السرقة ولكنه سرق ، و يحاول أن يجد مبررًا لذلك، فجاء موقفه بين التعجب والاقرار والرفض ، وبسبب تعجبه من السرقة ، وكيف يتهم بها يعمد إلى التدليل على تعزيز موقفه ، فتتعاقب الجمل ، ويأتي بجملة فعلية منفية تنفي حرفة السرقة

لديه ، (لا لست لصًا) ، ثم تأتي الجملة الاسمية التي تؤكد في مضمونها قوله السابق مصحوبة بمؤكد إنّ (إنّني رجل بريء) يعقبها جملة فعلية أخرى تنفي السرقة (لاتكتبوني سارقًا)،

ولكنه يجد مبررًا لسرقته ، فيجد في شدة جوع أهله وخوفه عليهم من الموت أقوى مبرر ليسرق ، وقد أبرز لنا الشاعر مناجاته مع نفسه لتبرير تصرفه فيقول :

أ أسد عيني بالتراب ؟

أ أصم أذني بالحجر ؟

أ يكون ذلك ؟ هل يكون

فرفعت كفي للسماء

يامبدع الملكوت ألهمني الصواب

ياخالقي كيف العمل

غفرانك اللهم ما أنا سارق ، جانٍ أثيم

زوجي ، بنوي ، أبي ، يريدون الحياه

لابدّ من إنجادهم مهما يكن

من أمر ما يأتي

وما يأتي يكون

غفرانك اللهم فاغفر زلتي

والمونولوج الداخلي الذي يعد في حقيقته مناجاة والتي "أصبحت الآن تعبّر عن كل أنواع التأملات والأفكار والرغبات ، وغالبًا ما يستخدم كاتبها ضمير المتكلم ، ويدخل بها في مجال أدب الاعترافات" (نبيل راغب ، 1996 ، 372) ، وعلي صدقي رسم صورة حية عن الواقع المعيش تلك الفترة ، وبين الأسباب الحقيقية الكامنة وراء مظاهره السلبية ، من بينها السرقة التي يكون سببها شدة الجوع .

ويرسم علي الرقيعي في قصيدة (هياكل في الطريق) علي الرقيعي ، 1979 ، 74).صورة لحياة البؤس التي يحياها الشعب الليبي ، وما يعانيه من تعب وشقاء ، وجوع وفقر ، وبعد أن أعطى صورة ناطقة ، حاور الشاعر نفسه متألمًا لما يراه من ظلم وقهر ، فيقول:

أين المسير ؟ ...

يارب هل عُدم العزا . . .

هذي حياة الضائعين السادرين

في مَهْمَه الآلام والبؤس المحدق والشقا

غرباء تحضنهم دروب اللامكان

يارب ما هذا المصير . . .

والمونولوج لايقتصر على حديث النفس فقد يكون على " شكل صلاة ، أو ترتيلة ، أو مناداة لغائب ، أو رثاء ، أو أغنية حب" (نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، 371)، من ذلك ما نجده مثلا عند علي الرقيعي وهو يناجي بلاده التي سلب الأعداء خيراتها ،

فيقول: (علي الرقيعي ، 1978 ، 59).

يا جنة الغرباء يامثوى طفولتنا الجميلة

ماذا وخيرك يابخيلة

بددته . . . للريح خيرك يا بخيلة

يبدأ الشاعر قصيدته باستفهام يحمل شحنة نفسية توحي بالحيرة الممزوجة بالألم والحزن ، فخيرات الوطن أبناؤه أولى بها ، في الوقت التي تكون فيه من نصيب الغريب، وأعقب الاستفهام بمناشدتين متتاليتين الأولى قوية محركها التعجب والحيرة ، والأخرى تحمل الحنين والارتباط بالوطن ، والشاعر بهذه المناجاة التي تعبر عمّا يشعر به من ألم وتحسر ، كشف حقيقة الدخيل الأجنبي الذي يمتص خيرات الوطن وينهبها والشعب محتاج .

المبحث الثاني

القص الشعري و قضايا المجتمع :

أدرك الشعراء الليبيون ما تتميز به القصة من مزايا ، وعناصر ، وأساليب تمكنهم من تصوير واقعهم، فطرقوا باب القص الشعري اقتداء بغيرهم من الشعراء ، وحرصًا منهم على تطور شعرهم بعد أن وجدوا فيه مجالاً فسيحًا ، ووسيلة للتعبير عن قضاياهم المجتمعية ، فقد ضم شعرهم قصصًا وطنية تصور ما تعرض له الشعب الليبي من ظلم واستعباد إبان الاحتلال الإيطالي ، وما لحقه من قهر وذل في فترة من الزمن ، وسيطرة القواعد الأجنبية على مقدرات الشعب ، وتحكمها في مصيره ، والقصة "حين تستخدم في القصيدة إنما تستخدم على أنها وسيلة تعبيرية درامية لا على أنها قصة لها طرافتها وأهميتها في ذاتها" (د . عزالدين اسماعيل ، (د،ط،ت)،300) وتنوع قصهم الشعري بين التلميح حينًا ، والتصريح القوي المندد بالظلم وبالعدو حينًا آخر ، و تتجلى في القص الشعري ألوان متمايزة من الانفعالات المعبرة عن المشاعر والأحاسيس ، يحاول الشاعر أن يظهر هذه الانفعالات باستعمال الألفاظ ، والعبارات المتناسبة مع نوع وطبيعة الانفعال . والمطلع على القص في الشعرالليبي يقف على بعض الأنواع التي وظفها الشاعر، بما يتناسب مع الحركة الشعورية التي حفلت بها الشخصية الفنية في الموضع المعين من القصة ، ومن القضايا التي تناولوها ما يلي :

. الجوع والفقر:

هذه القضية تسببت في إلحاق المهانة والذل بالإنسان البسيط ، وحاول الشاعر الليبي الوقوف عندها ، وتصويرها بأسلوب فني مؤثر ، نلحظ ذلك في قصائد عدة منها قصيدة (دموع) (1 عزالدين اسماعيل ، (د،ط،ت)، 300)التي تبرز قضية (الجوع والفقر) وتظهر فيها حركية اليأس والحزن واضحة .

قد حدد الشاعر الزمان والمكان ، وهما عنصران مهمان في القصة .

دجا الليل أماه ... ران السكون

صموتًا حزين

ودب علينا اكتساح الصقيع

مهولاً فظيع

يقفف أوصالنا المجهدة

ويوهن أجفاننا المسهدة

بلسع الضنى

وحيدان يا أم نحن هنا

يتكئ الشاعر في قصته على الحبكة المتماسكة ، فيسوق الحدث منظمًا على لسان السارد المشارك في أحداثها ، ويقص لنا الأحداث مرئية حسب الواقع ، فيبدأ برسم الجو العام للقصة التي شاع فيها اليأس والقلق ، فالظلام يخيم على المكان ، والسكون يسيطر على كل شيء ، والصقيع يقفف الأجساد المتعبة من كثر التجوال؛ لأجل الحصول على ما يسد رمقهم دون فائدة ، ولامن مجيب ، وفي هذا الجو القاتم الحزين الذي تسوده الوحدة ، والجوع والظلام تنهمر الدموع ؛ لتغسل شيئًا من هذا الكدر الذي يفرضه واقع ظالم.

وهل نحن إلا أناس بشر
نحس ونشعر لسع الألم
ولفح الشقاء وهول العدم
فهذي الدموع
على مقلتيك
على مقلتي
وهذا الأنين الحزين الضريع
وآهاتنا

ازدحمت القصة بصور شتى مؤثرة ، ولحظات حزينة مؤلمة ، حتى بدت وكأنها مجموعة مشاهد ترسم حال الأم وابنها ، وتصور نفسيتيهما الداخلية ، ومدى انفعال الحزن واليأس واضح عليهما ، مما يجعل المتلقي يحس بعمق اليأس الذي كان يعيشه الابن وأمه ، وهما يجوبان الطرقات أملاً في كريم يرأف لحالهما ، ويتصدق عليهما ببعض الطعام ، ويستمر تجوالهما بالرغم مما يشعران به من ألم وبرد ، لكن دون فائدة فلا من مجيب .

سدىً أيها الأم ...لا من مجيب
سوى الجوع رائدنا في الدروب
سراج الأمل
لذاك الجدار على المنحنى
إلى حيث نمضي نحث الخطى
حفاة عراة
مع الليل في الحلكة الكافرة
ولا من يجيب
ولا من يكفكف دمعاتنا

والابن بالرغم من انفعال اليأس والحزن ، فقد امضى ليله متسولاً برفقة أمه ، وفقدان الأمل يدفعهما إلى العودة إلى الكهف ، لعل حضن الأم يعوض الجوع ، وقصها يريح النفس ، لكن تملأ الطمأنينة قلبه بانتظار والده ، الذي سيأتيهم بما يريدون ، وبالرغم من محاولته بث الطمأنينة في قلبه ، وقلب أمه فأنه غير متأكد من عودته المنتظرة ، هل يوجد أمل أم لا ..

فهيا بنا
إلى الكوخ .... هيا إلى كهفنا
ومدي لدي
ظلال الجناح الحنون الدافيء
وقصي عليّ
حكاياتك الرائعات اللطاف

ونامي فمن حولنا الكون غافٍ
إلى أن يعود
قبيل الصباح أبي المتعب
فيأتي إلينا بما نطلب
ترى أين أمّاه .....أين مضى
وهل يرجع .....

ويبدع الشاعر علي صدقي في قصته الشعرية في قصيدة (مجرم ولكن) (علي صدقي ، 1985. 103).

التي صاغ فيها واقع الشعب الليبي في ظل الاستعمار والظلم والاستبداد ، والاستغلال وعدم العدالة الاجتماعية ، في قالب شعري متماسك البناء ، قصة شعرية لها بداية حيث ينموالحدث ويتطور ، وتبرز الشخصيات الأساسية ، والثانوية في ظله وتتطور ، حتى يصل الحدث الذروة وتشتد العقدة ، ثم تفرج وتكون بعد ذلك النتيجة .

وتتوفر في قصيدته بعض عناصر القص الفني كالحدث ، والسرد ، والحوار ، والشخصيات، التي تعد العناصر الرئيسة في القصة ، وقد رسم علي صدقي صورة لمتهم تجرمه المحكمة بتهمة سرقة القمح ، وتحكم عليه بالإعدام ، ويحاول الدفاع عن نفسه بعد اعترافه بالسرقة التي دفعته إليها ظروف قاسية ناجمة عن عدم العدالة ، في مجتمع شاع فيه الاستغلال والقهر ، فتفشى الفقر ، وانتشرت البطالة ، فيقول : لي أطفال صغار يبكون من شدة الجوع ، ومن كثرة البكاء يتعبون فينامون جياعًا، وأب مريض ، وزوج صالحة تعاني الأمرّين في صبر ، إذ تحاول التخفيف من بكاء الأطفال الجياع ، وألم الأب المريض ، والكل ينتظر عودتي بفارغ الصبر ، وعلّي أن أعود بما يرضي الجميع ، لكن عودتي لاتغير من الواقع المؤلم الذي تعيشه أسرتي شيئًا ، فالبطالة منتشرة ، والألم يعصرني ، وحاجتي يحتكرها التاجر المستغل الذي يخزن القمح ؛ ليبيعه للناس عند اشتداد الحاجة بثمن باهظ ، وما كان أمامي سوى سرقة القمح من المخزن ؛ لأطعم أبنائي الصغار ، وأبي المريض ، وتقاطعه النيابة لتصدر حكمها القاسي بلا رحمة .

رسم علي صدقي في قصته صورة للمجتمع الليبي وما كان يعانيه في فترة من فترات التاريخ ، وبذلك يعكس واقعًا سياسيًا مؤلمًا ، فالفكرة الأساسية هي بيان الواقع السياسي في إطار اجتماعي ، إذ سيطر الأغنياء على قوت الفقراء فانعدم العدل، وانتشرت البطالة. وجاءت قصة المتهم الفقير مترابطة متسلسلة ، فنقرأ في مطلع القصيدة صورة دقيقة لشخصيات المحكمة التي تؤثر في المتلقي ، وتجعله يتعاطف مع المتهم .

وحرص الشاعر على بيان شخصيات قصته ، وبهذا ينقل الحدث حسب الواقع ، فيؤثر في المتلقي ويجعله يتخيل كل شخصية كما صورها الشاعر ، وتبدأ القصة برسم صورة للحارس ثم القاضي ثم المتهم مع هيئة المحكمة .

الحارس المنفوخ يصرخ محكمه
في الحاضرين
ولصوته الخشن الأجش
يقف الجميع كما يشاء الحارس الجلف الغليظ
وتردد الجدران ، صرخة محكمه
منها ترى القاضي يسارع نحو كرسي القضاء
وكأنه لم يدر معنى الابتسام

بجبينه غاض ابتسام الباسمين

وغضون جبهته كوديان تخيف المتهم

ويفرك الورق الكثير

على عجل

وإذا تأملنا النسيج الفكري لهذه المقطوعة من القصيدة نجد الطبيعة الحوارية تتحرك خلال الصورة ، من البداية تطالعنا صورة لأعضاء المحكمة ، التي حلل شخصياتها تحليلاً داخليًا يكشف نفسية كل شخصية، فالحارس جلف غليظ يبعث الرعب والخوف في الحضور، والقاضي قاسٍ عابس لاتعرف الابتسامة إلى ثغره سبيلاً ، هذه هي الصورة الظاهرة للمحاكمة، وقد وفق الشاعر بهذا التصوير الذي بدأ به قصته الشعرية فجعل المتلقي متشوقًا لمعرفة المتهم ، ومعرفة جريمته وأسبابها ، وبتصويره للحارس والقاضي جعل المتلقي يعرف الحكم الذي ستصدره المحكمة على المتهم .

ويصر باب مثل سنور يموء

باب الدار

دار المداولة الرهيبة

حيث المصير يخط في ورق طويل

بالسجن ، بالتأبيد ، بالشنق الفظيع

يدعى : بحكم المحكمه

وإذا انتقلنا إلى المتهم وجدناه يتسم بالفطنة والنباهة ، إذ قرأ الحكم الذي سيصدر في حقه من خلال قراءته لوجه الحارس والقاضي، ويستمر الشاعر في سرده للأحداث مطلقًا العنان لخياله ، في رسم صورة معبرة عن المتهم .

ويرى من الأوراق حبل المشنقه

متدليًا كالصاعقه

ظفرته سين للسؤال ، وجيمها ، حرف جواب

سين وجيم

فأسان ظلا ينبشان

قبرًا له في مهمه القفر القصي

في المقطع حركتان . حركة خارجية ماثلة في تصوير أحداث المحاكمة ، وحركة داخلية ماثلة في نفس الشاعر ، الذي سعى إلى تصوير الواقع السياسي المتردي في فترة من الفترات ، فالصورة التي رسمها للحارس والقاضي والمتهم أثارت في نفسه مشاعر ذاتية غامرة عاناها مع أبناء شعبه جراء الحكم الظالم ، وقد اعتمد في عرضه للأحداث على الإيحاء والتصوير ودقة الوصف ، فأعطى صورة حية ناطقة عن المحاكمة في تلك الفترة ، التي تعد صورة مصغرة للنظام الحاكم ، والمتهم نموذجًا عن آلاف الليبيين الذين يعانون الظلم، والقهر في ظل استقلال مزيف ، وقد صور شخصيات المحكمة تصويرًا دقيقًا ، جعلنا ندرك ملامحها من خلال تصرفاتها فيقول :

ويتمتم القاضي ينادي ، باسم متهم نحيل

يهتز كالعرجون في رأس النخيل

ويحملق الجمهور ، بالمقهور ، في القفص الحديد

وكأنه وحش الفلاة

ويقوم من أسماه متهمًا قرار الاتهام

متثاقلاً بادي السقام

وبلا كلام

من بعد ما يدعوه جاويش : قيام ، قيام

من بعد ركل الحارس ، القاسي الشرس

وقد حدد الشاعر الحيز الذي تدور فيه الأحداث ، المكان الذي تدار فيه المحاكمة ، حيث قضبان الحديد التي تحيط بالمتهم فتزيد من خوفه وقلقه .

ويظل مرتعشًا ، ذليلاً

من خلف قضبان الحديد

وكأنه بعض الحديد

وتستمر المعاناة ؛ فيرسم الشاعر صورة ناطقة معبرة عن وضع أسرة المتهم ، الأبناء جياع ، والأب مريض والكل ينتظر عودته ، وهو لاحول له ولا قوة ، وفي هذه اللحظة لايكتفي بالسرد الخارجي عن المتهم والأحداث الدائرة ، وإنما يحاول استبطان المشاعر الذاتية ، فيتغلغل داخل الشخصية ؛ ليبرز أحزانها وما تعانيه من تعب وقهر ، فجاءت القصة زاخرة بالتصوير الحركي المبثوث في معظم أجزائها. فيقول على لسان المتهم :

لي أسرة سلخت ليالي أربعًا

الجوع ينهشها ، ككلب نابح ، نهم عقور

وبنوي (غيث) (طارق)

وصغيرتي ليلى العزيزة

يتضورون وهم جياع

ويصرخون

ويسعلون ويسعلون

ويسعلون

حتى يلوح الدمع في تلك المحاجر

. .

وأبي المريض وزوجتي زين الصبوره

لم يغمضا جفنًا لينتظرا رجوعي في المساء

بمسكنات الداء ، داء أبي

بقطرات الدواء

برغيف خبز أسود

. .

وأعود في خجل لبيتي

خائبًا خالي الوفاض

كان الشاعر موفقاً في اختيار عنوان القصيدة (مجرم ولكن) ، المتهم ارتكب الجرم لكنه جرم ناجم عن ظروف قاسية (فقر ، وبطالة ، وسوء نظام سياسي) أمور أدخلته في صراع داخلي مع نفسه، لكن ما يراه من انعدام للعدالة ، وعدم المساواة بين أفراد المجتمع دفعه لذلك.

وأرى بنوي وزوجتي في قبضة الجوع اللعين

يستنجدون ويصرخون

ويكثر من التساؤل ليؤكد على أن حقيقته ليس بمجرم ، وهذا التساؤل الذي كرره الشاعر على لسان المتهم استطاع أن يحرك المتلقي ذهنيًا ونفسيًا ، ويجعله يتعاطف مع المتهم بالرغم من اعترافه بالسرقة ، فهذا يدل على مقدرة الشاعرالتصويرية للأحداث بشكل دقيق ، وترتيب الأفكار وتسلسلها فتتنامى معها الأحداث بصورة متصاعدة فتصل الذروة.

أ أسد عيني بالتراب ؟

أ أصم أذني بالحجر ؟

أيكون ذلك ؟ هل يكون ؟

فرفعت كفي للسماء

يامبدع الملكوت ألهمني الصواب

يا خالقي كيف العمل

غفرانك اللهم ما أنا سارق جان أثيم

زوجي ، بنوي ، أبي يريدون الحياة

لابد من إنجادهم مهما يكن

من أمر ما يأتي

وما يأتي يكون

غفرانك اللهم اغفر زلتي

ويصل المتهم إلى قرار نهائي ، وتقترب العقدة من الانفراج حين يقرر سرقة القمح من مخزن التاجر المحتكر ؛ ليطعم أهله ويسد جوعهم ، ويرسم الشاعر صورة للمتهم على لسانه وهو يسرق تدل على عدم رضاه عن عمله هذا .

وخطوتُ كالفأر الجبان

للمخزن المملوء قمحًا ربه اكتنز الذهب

يحشو وسادته بأوراق النقود

ووثائق البيع المحرم

بالربى

بالغبن ، بالنصب الذميم

للمخزن المملوء قمحًا مرتع السوس الحقير

لم تخل القصة من عنصر التشويق في عرض الحدث الذي ينمو وتتأزم معه العقدة التي تنفرج حين تقاطع المحكمة دفاع المتهم ؛ لتصدر في حقه حكمها القاسي ، فيأتي حيًا ناطقًا يجعلنا نتصوره أمامنا.

وهنا علا صوت النيابه

يرغي ويزبد في انفعال

باسم الجماعة والنظام

فليلق هذا المجرم الوغد اللئيم

حكمًا شديدًا قاسيًا

ليكون عبرة غيره

للآثمين من البشر

ويقعقع الكرسي ، كرسي النيابه
ويصيح في الجمهور عملاق ينادي محكمه
ليروع الجاني الذليل
ويذاع حكم المحكمة
ويجر ذلك المتهم
للسجن مغلول اليدين

وفق الشاعر في عرض شخصيات قصته حيث جعلها تتحرك بصورة دقيقة متجاوبة مع الحدث بإرادتها دون تدخل منه ، وقد جاءت قصته متماسكة البناء متحققة في أبياتها الوحدة العضوية ، ومن خلالها أعطى صورة مصغرة عن معاناة الشعب الليبي في فترة مضت المعاناة المتمثلة في الظلم والطبقية وانعدام العدالة ، والتدخل الأجنبي .

ويدور طاحون الحياة
بلا انقطاع
وكأن شيئًا لم يكن
لايوقف الطاحون سجن الأبرياء
ولا أنين للمريض
لم تثنه صرخات طفل جائع
سجنوا أباه
لم يثنه دمع الأمومه
ويظل طاحون الحياة بنا يدور
أبدًا يدور

عكست القصة جوانب كثيرة عبرت بدقة عن البيئة التي وجدت فيها ، وقد بدأت القصة منسجمة الخيوط متماسكة الأجزاء في عرض المشكلة ، وتطورها وتحريك الشخصيات خلالها بشكل دقيق ، وقد قامت القصة على السرد ، والحوار جاء قليلاً لم يعتمد عليه الشاعر في تسيير الأحداث ، وقد اسهم الوزن الشعري القائم على وحدة التفعيلة في إعطاء الشاعر الحرية والانطلاق أكثر في التعبيرعن الأفكار التي يود إيصالها للمتلقي. وقد استعان الشاعر بأساليب فنية اسهمت في اظهار حركية الاحساس بالظلم لانعدام العدالة وتفشي الفقر .

و تمتلك الألفاظ المفردة طاقات إيحائية إذا أحسن الشاعر استخدامها وتوظيفها في نصه الشعري ، مما يثري نصه وتقوى أدواته الشعرية إلى جانب تلك الألفاظ الموحية ، وقد أولت بعض الاتجاهات الحديثة اهتمامًا خاصًا بمثل تلك الألفاظ ، "وفي شعرنا العربي الحديث تأثر كثير من الشعراء بمثل هذه الاتجاهات في الشعر العالمي" (علي عشري زايد ، 2008، 53.)

وتأثر الشعراء الليبيون بغيرهم ممن سبقهم من الشعراء العرب الذين تمكنوا من توظيف الألفاظ الموحية ، ويلحظ مثل هذا التوظيف في قصهم . من ذلك قصيدة(في بلادي) (علي الرقيعي 1979، 157 . 158).

التي تبرز قضية (الجوع والفقر) تسرد القصة معاناة الفقراء بسبب الجوع والقهر والظلم، وترسم صورة قاتمة للحياة ، ويتناول الشاعر فيها معاناة الشعب الليبي ، وظهور المستغلين مصاصي دماء الشعوب الكادحة ، وقد استعمل الشاعر بعض الألفاظ الموحية التي تجعل الموضوع أكثر إثارة عند المتلقي .

أنا مازلت أغنيك ولكن في بلادي

في تعاريج المدينة

يبصق البؤس الضراعات الحزينة

في حنايا أنفس لهثى صوادي

تأكل الجوع .....وتستاف العفونة

في المقطع ألفاظ تشع بالبؤس والخوف والألم ، وعدم الارتياح ، ففي السطر الثامن من القصيدة اجتمعت ألفاظ تدل على الإحساس بالحزن واليأس ، وتبعث على عدم الارتياح (يبصق البؤس ، الضراعات الحزينة) فعبارة (يبصق البؤس) توحي بكثرة الشيء الزائد المتعب الذي لافائدة منه ، فالحزن يملأ تعاريج المدينة التي تعاني الفقر والعوز وينتشر في أرجائها .

وفي هذا السطر استعمل الشاعر (البؤس) ليأتي من بعده (الحزن) الموحي بعدم السعادة والارتياح بما يحمله الحزن من دلالة الكآبة والقلق ، ويدعم هذا الإيحاء باستعمال عبارة (في حنايا أنفس) بصيغة الجمع ؛ لتدل على حجم الحزن الذي يعم عدداً من أبناء الشعب ، وهذه النفوس الحزينة بحثث عن منفذ ، عن مخلص عن فارس ينقدها ، ولكنها ظلت تأكل الجوع وتستاف العفونة . والقصة قائمة على السرد الفني ، اهتم فيه الشاعر باعطاء صورة عن الحياة المؤلمة.

ويبين الشاعر علي الخرم أن الفقر لم يقتصر على الأرياف بل انتشر في كل مكان ، فسكان المدن ليسوا بأفضل من سكان الأرياف فالمعاناة واحدة ، فالفقر عندما يجتاح الدول لايفرق بين مدينة وريف ، وأبناء الشعب الليبي قاسوا تلك المعاناة على حد سواء . وفي هذا السياق يقول : (علي الخرم ، 1984 .29).

فطفت بالحارات والأزقة المتلئه

بالوسخ المنتن والحجار . . والأطفال. .

كانوا حفاة يلعبون أنصاف عراة . . . بالعصي والأوحال .

وعلب السردين الفارغات االصدئة

تفوح من مداخل البيوت

رائحة الغسيل والحساء

. . .

مضيت في الطريق ساهمًا مبهوتْ

حتى هنا . . . حتى هنا على الشفاه البسمات حرْقةً تموت

حزينة منطفئة

حتى هنا في المدن الكبيرة

تحيا الجموع مثلما نحيا هناك في الأرياف

مثلنا جائعة فقيرة

اعتمد الشاعر في قصه على الحبكة السردية ، فيبرز دورالسارد المشارك في القصة ، مستخدمًا ضمير المتكلم ، منوعًا بين الزمنين الماضي و المضارع ، ويكثر في المقطع الفعل الماضي الي يمنح القصة دلالة تصعيدية تتناسب وطبيعة السرد ، والفعل المضارع وما فيه من دعوة للتأمل والنظر تلفت المتلقي وتجذب انتباهه .

وقد رسم صورة حية معبرة موظفاً بعض حواسه في نقل صوره ، كالبصر والشم .

الظلم والاستبداد:

من قضايا المجتمع التي تناولها القص الشعري قضية الظلم والاستبداد ، فالشاعر علي الرقيعي في قصيدة (الأرض)، يعرض لنا بعض صور القهر التي كان يكابدها أبناء الشعب. فتبدأ ببيان الحال التي يلاقيها السجين المظلوم ، الذي يستقبل بالاستفزاز والضرب ، وبهذا يصور لنا حقيقة الواقع المؤلم القائم على أساليب الإهانة والتعذيب المتبع من قبل أجهزة النظام الغاشم ، التي لاتقبل الحوار مع معارضيها ، ولا تفهم إلاّ أسلوب التعذيب الذي تتفنن في استخدامه ضدهم من سجن وركل وتعذيب ، والاستجواب بأسلوب جاف قاس ، فيقول : (علي الرقيعي ، 2006 127- 143)

من أين جئت ؟
وهز أوصالي بإحدى قبضتيه
وهوى على خدي الوديع بصفعتين
وتسمرت عيناه في وجهي المشنج
في امتعاض
وبدا له شكلي زريًا لايطاق
وروائح العرق الكريه
تفوح من جسدي الهزيل

وينقل لنا عنفوانه ، فهو برغم القيود والتعذيب فأنه يصرخ في وجوههم معبرًا عما يحس به من كراهية لهم ، واحتقار لوجودهم ، واستهانة بسبل تعذيبهم .

وهدرت بالألم الكمين بخاطري المتوجع
متأجج الأحقاد
مجروح الإباء الأروع
رغم السلاسل في يدي ..
والسوط يلهب أضلعي
وصرامة الركل المميت
تدوس أرهف موضع
وصرخت فيهم:
ياكلاب ... ياكلاب

تتوالى الصور المعبرة عن حجم المأساة التي يلاقيها السجين داخل سجون الظلام .

وذكرت كيف بدأت أسرد قصتي
في قبونا الأرضي...
في ظلمات سفاكي الدماء
والطيبون الوادعون
يتسمعون إليّ في شوق حزين
وأنا أقص هزيمتي

هدف الشاعر من قصته بيان حجم المعاناة ، والضرر التي تمارس ضدهم ، فحدد مكان السجن ووضعه ، فهو قبو تحت الأرض لانور فيه ، ومع هذا لايضعف الأحرار بل يزدادون تمسكًا بمواقفهم الوطنية .

القصة قائمة على السرد القصصي المشوق ؛ لمعرفة نهاية كل حدث من أحداثها ، وقد كان لسهولة اللغة وعفوية التصوير دور في إبراز الحدث في صورة ناطقة معبرة عنه ، إلى جانب الوزن الذي أسهم في توسيع الآفاق أمام الشاعر ؛ ليعبر بدون تقييد ، ويحدث بإيقاعه المنوع تأثيرًا في المتلقي. تتجلى في القصص الشعري ألوان متمايزة من الانفعالات المعبرة عن المشاعر والأحاسيس ، يحاول الشاعر أن يظهر هذه الانفعالات باستعمال الألفاظ والعبارات المتناسبة مع نوع وطبيعة الانفعال . والمطلع على القص في الشعرالليبي يقف على بعض الأنواع التي وظفها الشاعر بما يتناسب مع الحركة الشعورية التي حفلت بها الشخصية الفنية في الموضع المعين من القصة .

وفي قصيدة (اسقطي يا أوراق العوسج الملعون) (علي صدقي ، 1985 462).

التي تبرز قضية (الظلم والتسلط) البوليسي الذي قاسى منه الشعب على حد سواء ، وقد جاءت القصة في مقطع من مقاطع القصيدة ، وفيها يصور الشاعر شخصية الطالب الغاضب ، فجاءت أفعاله تنم عن غضبه وكذلك أقواله ، وقد شارك الطالب في مظاهرة تندد بالنظام البوليسي في الحكم الملكي ، وفي أثناء المظاهرة رفع صوته وسُمع صياحه ، بالرغم من كثرة الأصوات ، فصوته خرج من داخل إنسان جريح النفس فقد أخاه ووالديه وضُرب من قبل البوليس القمعي ، الذي لم يكتف بضربه وسيلان دمه ، بل بعثركتبه ؛ ليزيد من ألمه النفسي ، ويزيد غضبه ، ونقمته عليه. فتبرز حركية الغضب واضحة في القصة :

ومر طالب بجانبي ، يصيح في المظاهره

أشار فوق رأسه ، لجرحه القديم

وقال لي : بوليسهم أصاب رأسي بالعصا

في المدرسه

وبعثر الدفاتر التي معي ، بالمحفظه

في القصة شخصية مسيطرة على الموقف تبوح عمّا تشعر به فتسرد ما لحقها من ظلم ، دون أن تعطي فرصة لأحد أن يشاركها الحديث ، فالحكي قائم من طرف واحد القصد منه بيان شدة الألم الذي يشعر به المتكلم ، فينساق في الكلام "رغبة منه في الاستفاضة والشرح لكل ما يخشى فواته أو نسيانه ، وحرصه على الاقناع وتوجيه المتلقي نحو مقاصد الاستغراق في الحدث من قبل المتكلم" (محمد عكاشة ، 2005، 339.)، واتبع التسلسل في سرد الأحداث ، فبعد ذكر ما حدث معه انتقل لسرد ما حدث مع أسرته ، فالأخ يموت والأم تلحق به من حزنها الشديد عليه في مكان بائس حقير ، والأب من شدة حزنه وغضبه على الوضع الذي يحياه وأسرته لحقه الغم ولحق بزوجه وابنه قبل أوانه :

وأصبحت والدتي عمياء ، من بكائها على أخي

وماتت المسكينة الثكلى ، بكوخ من صفيح

أما أبي فمات قهرًا ، بائسًا على الطريق

ولم يجد قبرًا ، فمات قبل حفره على الطريق

اعتمد السارد على الزمن الماضي لتناسبه مع السرد القصصي لأحداث مضت ، ولم يذكر المضارع إلاّ في المقطع الأول والأخير ، في الأول أتى بالفعل المضارع (يصيح) الذي يحمل دلالة الحركة والنشاط ، ويوحي بشدة غضبه وانفعاله ، والأخير بالفعل المضارع المنفي (لم يجد) ليعمق حزنه وغضبه .

وغلبت على السرد الجمل الفعلية ، وإن ذكر في السطر الثالث جملة اسمية (بوليسهم أصاب رأسي بالعصا) الدالة على الثبوت ، ليبين أن الجرح ثابت وعلامته واضحة ، وليؤكد تجدده وعمقه بالنفس ألحق بالجملة الاسمية الدالة على الحقائق الثابتة الفعل (أصاب) لتصبح التراكيب الاسمية ذات دلالة على الحركة والحيوية "فالحركة عنصر أساسي في العمل القصصي" (عزالدين إسماعيل ،2007، 104.)

. الوجود الأجنبي:

أثر الوجود الأجنبي تأثيرًا قويًا على واقع الشعب الليبي ، الذي فقد حقه في الراحة والأمن والعدالة ، وتوزيع التروة التي استمتع بها الدخيل ، و حرم منها الليبي .

ولم يكتف المستعمر بنهب ثروة الليبيين ، بل سعى لإذلالهم وقهرهم بكل غطرسة وغرور .

ولقد اهتم الشعراء بتصوير تلك المآسي التي قدمها الدخيل للشعب الليبي ، فقدم علي صدقي صورة دقيقة عن أعمال الاستعمار الأجنبي ضد أبناء الشعب الليبي في قصيدة (رماد ...أمعيتيقة) (علي صدقي ، 1985 ، 299 . 303.). التي تروي مآسي الاستعمار الأمريكي في قصة حدثت بالأمس في مدينة طرابلس ، وهي نموذج من آلاف القصص التي عاناها الشعب الليبي من المستعمر الدخيل، قصة فتاة بريئة قتلت بنيران القوات الأمريكية التي تدعي الحرية ، وتنادي بحقوق الإنسان .

حشد الشاعر في قصته مشاهد ، وصورًا حزينة جسمت لنا الصورة الكلية ، واستخدم الرمز في قصه الشعري ، وجعله مفتاح كل مقطع ؛ ليضفي عليه طابعًا شعريًا ، و " يكون أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف ، وتحديد أبعاده النفسية" (عز الدين إسماعيل ، (د، ت) 200.)

فرمز للأمريكان بالجراد ، ورمز للعزة والكرامة بالنخلة التي مهما حاول الجراد تعريتها تبقى شامخة لاتنحني ، تموت واقفة ، ولتصوير الشاعر دور مؤثر في إثارة التشويق ، وجدب المتلقي سواء أكان التصوير قائمًا على الحقيقة أم على الخيال ، فبه يرسم الوقائع التي تهيئ الجو العام للقصة، والبيئة التي وقعت فيها ، فصُوره جاءت معبرة عن الحدث مهيئة للقصة التي يسردها في المقطعين الأخيرين ، وقد بدأ القصيدة بكلمة رمز بها للأمريكان وكررها ، فكانت نقطة إلتقاء موفقة للمشاهد المصورة إزداد بها الحدث متانة بناء وقوة سبك.

جراد ، جراد
من (العالم الحر) ، من برج ناطحة للسحاب
تشير إلى موطني ، يد تمثال حرية باردة
كجدران مقبرة ، صلبت في الشتاء
لتغري الجراد ، بأعين أطفالنا الطيبين
وعند مساء خريف
أتانا الجراد
وقد جرح الشمس ، إذ صب في عينها سرة من دخان

أوضحت الصورالخيالية مشاهد القصة ، وألقت عليها أنوارًا وظلالاً ، وأسهمت في إبراز الحدث وتطوره ، الذي أعطانا صورة دقيقة عن جرم الأمريكان ونفاقهم ، إذ ينادون بالسلام نهارًا ويذبحون الأبرياء ليلاً. وهدف الشاعر من قصته كشف حقيقتهم الإجرامية .

دخان من العالم الحر ، من مصنع الذره
لئلا نرى يشنق السلم ، في قريتي
ويطحن ثغر (أمعيتيقه)
وعند الصباح ، يصلي لأجل السلام

ويبكي (أمعيتيقه)

بدمع كذوب

تبدأ قصة الطفلة المغدور بها بعد ما مهد لها الشاعر ببيان حقيقة الأمريكان ، فهي طفلة بريئة تلعب وتغني، وعند التعب تغفو على قصص جدتها ، وأمها فرحة سعيدة بها فيحسدها العدو ويحرص على حرمانها تلك السعادة.

لانجد في القصة عقدة تتأزم المواقف عندها ؛ لأنها تتألف من مشاهد قصصية تعتمد على تصوير الحوادث ورسمها وعرضها ، وقد أطلق الشاعر لخياله العنان في سرد القصة التي وقعت حقيقة ليضفي عليها طابع التشويق .

وفي موطني حيث تلعب طفلة

وفي خدها نبع غنوة

تضيق أجفانها من شعاع النهار

وفي ثوبها مسبح للنجوم

تغوص به ، عند صحو الصباح

وتطفو بعروته بالمساء

وتغفو (أمعتيقه)

على قصص الجدة الحانية

وتنهض ، في خطوها يستفيق الربيع

...

جراد ، جراد

يحطم قنديل ، أم (أمعيتيقه)

يهدم صدر (أمعيتيقه)

ويقضي على البيت ، والديك، والداليه

بألسنة اللهب الصاديه

ولم يبق غير الرماد

رماد أغاني (أمعيتيقه)

انتهت القصة بمقتل الطفلة ، بطريقة تثير الحماسة في نفوس الثائرين الأحرار ؛ ولذا جاءت القصيدة على وزن المتقارب ذي الرنة الموسيقية السريعة ، ومع النغمة السريعة تنوعت القوافي.

اهتم الشاعر في قصته هذه بالحادثة المؤلمة والموقف الأمريكي ، وأولاهما كل اهتمامه دون باقي عناصر القصة من حبك وحوار وعقدة وبناء قصصي متنامي ، فالقصة ذات طابع تصويري لا تحتاج إلى حبك العقدة والعناية بوضع حلاً لها ، مادام التصوير بارزًا فيها ، ونهج الشاعر في قصته طريق السرد الذي زينه بالصور الفنية .

بالرغم من افتقار القصة للعقدة التي تُحل قرب النهاية ، فقد كانت مواقفها معبرة ، ومشاهدها مصورة للأحداث تصويرًا دقيقًا كاشفًا جرائم العدو الأجنبي .

وفي قصيدة (من أجل حقي) (علي الرقيعي ، 1979، 108. 109) . التي تبين مدى استغلال الأجنبي لجهد الفلاحين الكادحين، الذين يمتص الدخيل عرقهم وجهدهم ، في هذه القصة يسرد الشاعر الأحداث عبر حبكة متماسكة البناء ، يكون فيها الشاعر ساردًا مشاركًا.

هل ينكر "السنيور" والرب الدخيل

أنّي غرست له البنفسج والورود

وسقيتها بدمي المخضّب من أسى الشوك الوبيل

وقطفتها . . .

وغرست أشجار الفواكه والكروم

وجنيتها . .

وعرضتها للبيع . . . واستولى على الثمن السخي

و(سخا) عليّ بمبلغ بخس زهيد

أجر العبيد . . .

عرض الشاعرسرده بشكل قصصي ، مستخدمًا ضمير المتكلم ، والفعل الماضي وما يحمله من حركة تصعيدية لأحداث القصة التي تتسم بروح التحدي ومواجهة الظلم ، (هل ينكر السنيور والرب الدخيل) فهو يعلن تحديه واصراره على المطالبة بحقه فصبره نفد ، فيذكر كل ما كان يقوم به من تعب والشقاء ، والدخيل ينعم بالفائدة.

يواصل الشاعر قصة الفلاح المسكين موظفاً ضمير المتكلم ، فيكون الفلاح قناعًا يتقمصه الشاعر ؛ ليبين المعاناة التي يتلقاه الإنسان الكادح في ليبيا إبان الوجود الأجنبي الذي ينعم بالخيرات ، والفلاح المسكين بعاني الفقر والحرمان :

ومضى يبعثر معظم الأرباح في قدر المجون

وعلى الموائد في الليالي الصاخبة

ومع الغواني جئن من بلد بعيد

وأنا هنا

أقتات بالخبز الوضيع وبالرغيف الفاسد

وعلى مفاصلي الهزيلة والضلوع الداوية

رث الثياب . . . مهلهلات بالية

وأعيش في جحر سحيق

لايعرف النور الوضيء ، ولاالذكاء ، ولا البروق

القصة قامت على الحبكة السردية الناقلة بدقة لتفاصيل الحياة التي يحياها الفلاح الليبي تحت سيطرة الدخيل ، وفي نهاية القصة يضع لها خاتمة تنصف الفلاح .

باسم الكرامة والحقوق الضائعة

لن يذهب الجهد المضاع سدىً ولو مكر الطغاة

لن يمكث (العبد الأجير) مصفدًا رهن القيود

يرنو إلى الكلب المدلل نظرة الحسد المثير

فتفور في دمه الأبي مراجل الألم المرير

باسم الكرامة . . . باسم إبعاد الدخيل

لن يمكث الليبي محرومًا لكي (يَقري) الضيوف

ومن القصص الشعرية الناقلة للواقع المعيش للشعب الليبي في ظل الوجود الأجنبي، قول علي الخرم في قصيدة (الجوع في مواسم الحصاد) (علي الخرم ،. 29 .)

كانت معي بعض الدراهم التي ادخرتها . . .
بعد انقضاء مواسم الحصاد
فغلة الموسم قُسمت بالعدل فيما بيننا
كان نصيب السيد المالك . . .
ألف قنطار صفّت من جيد القمح . . .
وقُسِّمتْ بقية العالق بالتبن. . .
فنلت منها عشر قنطار
وكان القمح بالطين وبالحصى مختلطًا
كان معي للسيد المالك خمسةٌ من الجياد
إنها مثلي أنا ، عانت مرارة الحرّ وقسوة الاجهاد
فنلت حين نلت منه حصتي . . .
كأحد الجياد.
حملتها . . . عدتُ بها لقريتي
فالناس فيها كلها
تعيش مثلي عيشةً بائسةً محرومهْ

اعتمد الشاعر في قصته على السرد ، وكان فيها مشاركًا صانعًا لأحداثها ، وتقف القصة على قضية مهمة عانى منها الشعب الليبي ، وهي قضية الوجود الأجنبي الذي يمتص خيرات الوطن ، وجهد أبنائه ، واهتم الشاعر في قصه بأدق التفاصيل التي ترسم مسيرة حياته في قريته ، وما يحلم به ، ويسعى لتحقيقه ، واكتفيت بالمقطع الذي يبين استغلال الأجنبي الدخيل لأبناء الشعب ، ويمتص جهد الكادحين ، ويستغل فاقتهم وهو يتمتع بخيرات وطنهم .

ومن الإبداع الفني في القص الشعري توظيف الشاعر تكنيك السارد غير المشارك ، الذي يكون بعيدًا عن الشخصيات ، "تفصل بين موقعه ومواقع الشخصيات مسافة زمانية أو مكانية .. ويأتي السرد على لسان هذا السارد . غالبًا . بضمير الغائب" (عبد الرحيم الكردي ،126.)، ويبدو فيه السارد "محركًا للشخصية، ومطورًا لحدث الموقف ، وله السيطرة على كل شيء" (حسن البنداري ، 2002 ، 219)،. وعلي صدقي في قصيدة (مذكرات مدير شركة بترول) (علي صدقي ، 1985 ، 613 . 616.)
يحكي قصة مديرشركة بترول جاء ليستغل كل قطرة نفط ، ويعصر كل حبة من أرض الوطن عشرات المرات ؛ عسى بها قطرات نفط تائهة لم تعصر .

السارد للقصة تفصل بينه وبين شخصياتها مسافة زمانية ، وقد عرض الشاعر الأحداث وفق زمن وقوعها التاريخي في الحكاية ، ووا صل الشاعر السرد بشكل قصصي ، يقص لنا عبر ضمير الغائب الأحداث مرتبة حسب الواقع ، ويوظف الفعل المضارع وما يحمله من دلالة الحدوث والتغيير ، وما يبثه من حركة في قصته ، وكان دقيقًا بذكر تفاصيلها ، وذلك يتناسب وطبيعة كتابة المذكرات . والشاعر في هذه القصيدة يركز على قضية الوجود الأجنبي، ويكشف حقيقته وهدفه الأساسي ، وقد رسمت القصة طبيعة الشخصيات وعرت بواطنها ، فالمدير المترف ينحصر تفكيره في ثروة الشعب الليبي ، وكيفية استغلال كل قطرة نفط لصالحه.

ويسعل المدير مرتين
ويأخذ (الغليون) بالأصابع المرتعشة
تثقلها خواتم الفيروز، والألماس
ويوقف (الهزاز) وهوفوقه قنطار هم
أفكاره واحدة ، مكررة
هي استغلال كل حلة من أرضنا
وعصرها عشرين مرة بلا انقطاع
عسى بها قطرات نفط تائهه
لم تعتصر
ويصرخ (المدير) صرخة الرعاة في تكساس
تأتيه بعدها كاتبة بوجهها (نمش)
أهدابها صفر كيوم مات بالخريف
تقول : هأنا ياسيدي ، وهذه المفكرة
فامل عليّ ما تريد
ويضحك المدير ضحكة كوقع سبة على الطريق
ككسر صحن دم
يعقبها سعال
ويلعن السماء مرتين أو ثلاث
لأن فوق وجهه ذبابة صغيرة
ويبتدئ
يملي على الكاتبة المذكرات:
اليوم ، يوم قائظ لعين
حطت بوجهي مرة ذبابة تجهلني
لم تدر، أنني الإله للبترول
لم تدر أني مالك البنوك والنوادي للقمار

بالرغم من أن القصة ينقصها عنصر التشويق فإنها تمتاز بدقة التصوير للشخصيات، والبيئة التي وقعت فيها الأحداث ، التي عرضها عرضًا تقريريًا خلا من التعقيد ، وقد وشح القصة بالحوار؛ لكنه كان حوارًا باردًا ، لم يسهم في إيضاح الشخصية.

الخاتمة:

. وظف الشاعر الليبي في قصه الشعري بعض التكنيكات الروائية كالارتداد والمونولوج ؛ لتصوير قضايا المجتمع .

. اهتم الشعراء بالواقع الذي يحياه أبناء الشعب الليبي بما فيه من مظاهر الفقر والظلم والاستبداد والتدخل الأجنبي وسعوا إلى تصويره وتجسيده في قصهم الشعري تصويرًا دقيقًا نابضًا حيّا .

. يغلب على قصهم الشعري سمة السرد ، قد اهتم الشعراء بشخصيات القص الشعري وغاصوا في أعماقها ليظهروا الانفعال المسيطر على أحداث القص الشعري

. تناولوا في قصهم بعض التكنيكات والأساليب الفنية ، وما تمتلكه المفردات من طاقات إيحائية قادرة على إثراء النص الشعري .

المصادر والمراجع

. **ابن منظور** ، لسان العرب دار صادر بيروت ، ط3 1994

. **أبو القاسم أبو دية** ،وانفجر البركان ، ط1 1971 .

. **أبو هلال العسكري** ، الصناعتين ، تحقيق ، علي محمد البجاوي ،ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت لبنان ، المكتبة العصرية ، 1986.

. **أحمد إبراهيم الفقيه** ، بدايات القصة الليبية القصيرة ، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ، ط1 ، 1985 ، 13

. **إبراهيم محمد** ،الشعر الليبي الحديث في موازين النقد ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، 1973.

. **الجاحظ** ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط7 1998 .

.. **جبور عبد النور** المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ،بيروت .

. **جيلاني طريبشان** ، رؤيا في ممر عام 1974 ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا تونس .

. **حسام أحمد فرج** نظرية علم النص، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ، 2007.

. **حسن محسن** الشعر القصصي ، دار النهضة العربية ، ط1، 1980.

. **خالد زغبية** ، لسور الكبير ، وزارة الإعلام والثقافة ، طرابلس ،ط1 1968 .

. **درويش الجندي**

❖ الرمزية في الأدب العربي ، نهضة مصر ، (د،ط) 1972.

. **رجاء عيد**

❖ لغة الشعر (قراءة في الشعر العربي الحديث) منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1985 ، (د،ط) .

. **رشيدة مهران** ،الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1، 1979.

. **روبرت همفري** ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، تر، د. محمود الربيعي ، دار المعارف ، مصر ، 1974

. **الزمخشري** ، أساس البلاغة ،تحقيق ،عبد الرحيم محمود، (د،ط،ت)

. **السنوسي الحبيب الهوني** ،عن الحب والصحو والتجاوز ، دار الحقيقة بنغازي . ط1 ، 1975 .

. **طه وادي** ، جماليات القصيدة المعاصرة الشعر والشعراء . الشركة المصرية العامة ، لونجمان (د، ط ،ت)

. **عبد الحميد بطاو**، ، تراكم الأمور الصعبة ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ،ط2 1983

. **عبد المجيد القمودي** ، أغنية البحر ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ، ط1 1984

. **عبد المجيد القمودي** ، أغنية البحر ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ، ط1 1984 .

. **عزالدين إسماعيل**

❖الأدب وفنونه (دراسة ونقد) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط9 ، 2007،.

❖الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار الثقافة بيروت ، لبنان (د،ط،ت)

. **عزيزة مريدن**

❖ القصة الشعرية في العصر الحديث ، دار الفكر ، ط1 ، 1984،

.**علي الرقيعي**

❖أشواق صغيرة ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ،ط2 1978 .

❖ الحنين الظامئ ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ط1 1979 . ،

❖ الليل والسنون الملعونة، قصائد ومقالات مجهولة للشاعر علي الرقيعي ، جمع وتقديم د، بشير العتري ، منشورات أمانة الإعلام والثقافة ، طرابلس ، ط1 1990 .

❖ لم يمت ، قصائد ومقالات مجهولة للشاعر الراحل علي الرقيعي ، جمع وتقديم د. بشير العتري المؤسسة العامة للثقافة ، ليبيا .ط2، 2009.

❖ المجهول من قصائد الرقيعي ، جمع وتقديم د. الصيد أبوديب ، أمانة اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام ، ط1 2006.[1]

. علي صدقي ،

❖ الأعمال الكاملة ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا، ط1 1985، 15. 21.

. علي عشري زايد

❖ استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د،ط) 1997.

❖ عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة الآداب ، ط1 2008،

عمر أحمد الربيحات ، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش ،دار اليازوري للنشر والتوزيع ، الأردن ، (د،ت،ط)

. لطفي عبد اللطيف ،حوار مع الأبدية ، دار لبنان للطباعة والنشر ، 1969

. محمد أحمد موسى صوالحة ، الشعر الملحمي والمسرحي عند الشاعر عمر أبي ريشة ، دار عمارللنشر والتوزيع ، عمان الأردن ،ط1 ، 2002،

. محمد شطاح ود. نعمان بوقرة ،تحليل الخطاب الأدبي والاعلامي بين النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2006.

. محمد الشلطامي ،أنشودة الحزن العميق، منشورات جيل ورسالة ، طرابلس ، ط1 ، 1972.

. محمد عكاشة ، لغة الخطاب السياسي، دار النشر للجامعات ، مصر ، ط1 2005.

. محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن، دار الثقافة بيروت ،ط3 1962.

. ـ محمد فتوح

❖ الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ،دار المعارف مصر ،ط2 1978 .

❖ واقع القصيدة العربية ، دار المعارف ، مصر ، ط2 1978 .

نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، القاهرة ، ط1 1996.

أثـر الـصوائـت الـقـصيـرة في تـوجـيـه الـمعنى الـنـحـوي فـي الـتـركـيـب الـواحـد

د. مـنـى الـبـشـيـر مـحـمـد عـلـي، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الزيتونة

مـقـدمـة :

قسم علماء اللغة المحدثون الأصوات اللغوية إلى قسمين هما : صوامت " CONSONANTS"، وحركات أو صوائت"VOWELS " ؛ و أساس هذا التقسيم الطبيعة الصوتية ، بمعنى أن الفرق بينهما يرجع إلى كيفية تكون الصوت في أعضاء النطق ، فعند النطق بالصوائت لا يحدث اعتراض يعوق خروج الهواء ، أما عند النطق بالصوامت فيحدث اعتراض يعوق الهواء ، وهذا الاعتراض قد يكون كلياً أو جزئياً [**ينظر الأصوات اللغوية ، أنيس ،د.ت، ص27**].

واختلف علماء اللغة في تحديد مصطلحات هذين القسمين ، فمنهم من أطلق على القسم الأول منهما أصوات صامتة أو ساكنة و القسم الثاني أطلقوا عليه العلل أو الصوائت، وأصوات اللين أو المد ، والحركات [**ينظر دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر،1997 ، ص135 ، وينظر الأصوات اللغوية ، أنيس ، ص27 ، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، السعران ،د.ت، ص148 ، والمنهج الصوتي ، شاهين ،1980، ص26**] .

وفي هذا البحث آثرنا استعمال مصطلح " الصوائت " ، لأنه الأكثر استعمالاً ؛ ولأن مصطلح اللين والمد يقتصر على حروف المد الثلاثة " الواو، الياء ،الألف " دون الحركات الناشئة لها ، فاللغة العربية تعتمد في تقسيمها للصوائت على ثلاثة صوائت قصيرة هي: "الفتحة والضمة والكسرة " ، ومن نظائرها الطويلة ، وهي " الألف والياء والواو " ، وهذا لا يعني أنها تقتصر على هذه الصوائت دون غيرها ،" فالتفريعات الثانوية على هذه الصوائت ليست ذات قيمة فونيمية، أي ليست ذات أثر في المعنى فالإمالة والتفخيم والإشمام مثلاً ، لا تغير معنى الكلمة وإن كانت تنحو بأحد صوائتها منحى مغايراً لأصل الاستعمال"[**فقه العربية المقارن ، دراسات في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية ، د. بعلبكي ،د.ت، ص37**]

فهذه الصوائت – وتحديداً القصيرة – لا تقل أهميتها عن الصوامت ، نظراً لأن " التكون المقطعي للكلمات ، والبناء الصرفي للصيغ ، لا يتم إلا بوجود هذه الحركات التي يعتبرها الدارسون بحق بمثابة النواة ، أو المركز الذي تدور حوله الحروف الصامتة . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الحركة هي التي تبعث الروح في مجموعة من الصوامت فتجعل منها كلمات تمتلئ بالحيوية وتخرج إلى حيز الاستخدام الفعلي "[**النظام الصوتي للغة العربية ، د. الشنبري ،2004،ص40**].

فالحركات أو الصوامت تلعب دوراً في البنى الصرفية وتغيير معانيها ، فمثلاً إذا نظرنا إلى كلمة " كاتِب ، وكاتَب" فعدد الأحرف و ترتيبها في الكلمتين واحد ، إلا أن كسرة عين الكلمة الأولى دلت على أنها اسم فاعل ، ودلت فتحة عين الكلمة في الكلمة الثانية على أنها فعل ، وهناك فرق بين دلالة الاسم ودلالة الفعل

كما أن لها دوراً في التراكيب النحوية ، فتغييرها من أواخر الكلمات في تركيب ما يؤدي إلى تغير المعنى، فالعربية لا تعتمد في أداء معانيها النحوية على الترتيب في الجملة فحسب ، بل إن لهذه الحركات دوراً في إبراز المعنى فإذا قلنا مثلاً : " ضرب محمدٌ خالداً "، أو " محمدُ ضرب خالداً "، لم يختلف المعنى وبقي " محمد " هو الضارب ، و" خالداً " هو المضروب ؛ ذلك لأن التعبير عن فاعلية " محمد " ، ومفعولية " خالداً" قامت به الضمة في " محمد " ، والفتحة في " خالداً ، لا موقع كل منهما في الجملة (**ينظر اللغة ، فندريس ، د.ت، ص187**).

- **أهـمـيـة البـحـث وأهـدافـه** :

اهتم علماء اللغة الأوائل بالأصوات التي تشكل البنية الرئيسة للكلمة ، كما اهتموا بالنواحي الإعرابية من حيث نوع الصائت وعلة ملازمة هذا النوع لأواخر الكلام ، فاهتمامهم كان منصباً على وظيفة الصوت لا على طبيعته ، وخاصة الصوائت .

ولما كانت هذه الصوائت القصيرة " حركات الإعراب " دوال على معاني وظيفية تتحقق داخل التراكيب المختلفة ، نجدها تتحقق كذلك في التركيب الواحد في بعض فصول أبواب النحو ، فتغيير الصائت لأواخر الكلام يؤدي إلى تغير المعنى وتغييره أيضاً في التركيب الواحد في بعض موضوعات النحو يؤدي إلى تغير المعنى ، وهذا ما نسعى إلى توضيحه في هذا البحث ولتحقيق هذا الهدف علينا أن نتناول هذه الموضوعات وتحديداً الجزيئات المتعلقة بهذا البحث والمتمثلة في " المنادى ، والاسم الذي لا ينصرف ، واسم الفعل "، فمن خلال النماذج التطبيقية لها نصل إلى الترابط بين هذه الصوائت والمعاني التي تؤديها في التركيب الواحد .

- **مـنـهـج البـحـث:**

ولتتم الدراسة لهذا الموضوع سنسلك المنهج الوصفي التحليلي ، فنمهد للبحث بالدراسة النظرية ، ثم نتناول الموضوعات النحوية التي أشرنا إليها سابقاً ، ونحللها تحليلاً علمياً ، بغية الوصول إلى المقصود .

- **الـصـوائـت :**

تـعـريـف الـصـائـت :

" هو الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء داخل مجرى مستمر خلال الحلق والفم ، وخلال الأنف معهما أحياناً ، دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً ".

فالأصوات التي لا يصدق عليها هذا التعريف تعد أصواتاً صامتة ، فالصوت الصامت هو " الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضاً كاملاً....، أو اعتراضاً جزئياً من شأنه أن يمنع الهواء أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع "(**علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، ص148، 149**).

- أنـواع الـصوائـت :

جـعـلـت الـصوائـت في نـوعـيـن هـمـا :

- الـصوائـت الـقـصيـرة"short vowels":

وهي ما أسماه النحاة بالحركات " الفتحة ، الكسرة ، الضمة ".

- الـصوائـت الـطـويـلـة "long vowel ":

وهي حروف المد (الألف ، والياء ، والواو)(**ينظر ة د0 أنيس ، ،ص81 ، والأصوات ووظائفها ، د. القماطي ، 1986ص69**).

وهذا التقسيم لهذه الأصوات مبني على الطبيعة الصوتية لكل من القسمين ، فعند النطق بأصوات الصوائت يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحلق والفم دون أن تعترضه حوائل أو موانع فتضيق مجراه ، أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور ، فالصفة التي اختصت بها الصوائت هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل .

أما عند النطق بالصوامت فالهواء إما أن ينحبس معها انحباساً محكماً ، أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعاً من الصفير أو الحفيف)**ينظر ، د. انيس، ص37 ، ومدخل إلى علم اللغة ، د. محمود حجازى ،د.ت، ص39**).

ومن علماء اللغة المحدثين من يرى أن التقسيم لهذه الأصوات مبني على اعتبارات سمعية هي الاختلاف بين الأصوات في وضوحها في السمع ، " فقد لوحظ أن بعض الأصوات أشد وضوحاً في السمع من بعض بمعنى أنها تسمع على مسافة أبعد ،.....والملاحظ أن الأصوات التي توسم بأنها " صوائت " أشد وضوحاً في السمع من غيرها من الأصوات الكلامية "(**علم اللغة ، د. السعران ، ص150**).

فالفرق بين القسمين " الصوائت ، والصوامت " يرجع إلى وضوح الأصوات في السمع ، فالصوائت اتسمت بهذه الصفة ، لأنها أصوات مجهورة .

وقد تنبه علماء اللغة الأوائل إلى الفرق بين الصوائت القصيرة والطويلة ، فهذا ابن جني (392هـ) يدرس هذه الأصوات في أكثر من باب في كتابه " الخصائص " ويفصل الحديث عنها في كتابه " سر الصناعة " ، فيقول في" باب مطل الحركات ": " العرب أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها ، فتنشئ بعد الفتحة الألف ، وبعد الكسرة الياء ، وبعد الضمة الواو "(**الخصائص ، ابن جني 3،2006/121**)

فذكر في هذا النص الأحرف الثلاثة والحركات التي أنشأت هذه الأحرف ، وفي نص آخر أطلق على الأحرف اللينة الثلاثة مصطلح " مصوت "- الذي يعد أحد المصطلحات التي استعملها العلماء المحدثون للصوائت

،كما ذكرفيه أن هذه الأحرف اللينة لا يتمكن من مدها إلا إذا وقعت ساكنة وتبعتها حركات من جنسها ، حيث قال في باب "مطل الحروف"والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة ، وهي الألف والياء والواو ، إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها وتتمكن مدتها ثلاثة . وهي أن يقع بعدها – وهي سواكن توابع لما هو منهن وهو الحركات من جنسهن "(**المصدر السابق ، ص124**).

❖اعترض د. عبد الصبور شاهين على جعل العلماء الأوائل " حروف المد " حركات طويلة " صوائت طويلة " ، وجعل الحركات كما أسماها " الصوائت " ، في حالتين :

- الأولى : حالة القصر ، و أشار بأن القدماء وضعوا لها ألقاب هي الفتحة والكسرة والضمة .
- الثانية : حالة الطول و وضعوا لها " الألف ، الواو ، الياء " واعترض على ألقاب هذه الحالة ؛ لأنه يرى اضطراب دلالة الياء و الواو ، وفصل فيها الحديث ، واستبدل الألقاب الثلاثة بعبارات ، هي :
- الفتحة الطويلة بدلاً من الألف .
- الكسرة الطويلة بدلاً من الياء .
- الضمة الطويلة بدلاً من الواو .

وبهذا تكون الحركات قصيرة وطويلة .(**ينظر المنهج الصوتي ، د. شاهين ، ص29،30**

وقد علل سبب تسمية الفتحة والكسرة والضمة بـ" الحركات " ، فقال:" وإنما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات ، لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها ، فالفتحة تجتذب الألف والكسرة تجتذب نحو الياء والضمة تجتذبه نحو الواو"(**سر صناعة الإعراب ، ابن جني د.ت، 27/1**).

كما أدرك ابن جني طبيعة العلاقة بين الحركات وحروف المد ، وهي علاقة ترجع إلى العنصر الكمي ، فالزمن الذي تستغرقه الحركات في النطق تنقص عن المدة الزمنية التي تستغرقها حروف المد التي هي أبعاضها ، وهذا ما ذكره ابن جني في هذا النص " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاثة وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو . ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه وذلك نحو فتحة عين عَمر فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت عامر وكذلك كسرة عين عِنب إن أشبعتها نشأت ياء ساكنة وذلك قولك عِينب ، كذلك ضمة عين عُمر لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة وذلك قولك عومر فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها ولا كانت تابعة لها"(**المصدر السابق، ص17،18**).

وقد أوضح الدكتور إبراهيم أنيس ما يريده ابن جنيمن التفريق بين الحركات وحروف المد ، والذي لا يعدو أن يكون فرقاً في الكمية ،"فما يسمى بالألف هي في الحقيقة فتحة طويلة ، وما يسمى بالياء ،ليس إلا كسرة طويلة ، وكذلك الواو تعد من الناحية الصوتية ضمة طويلة ، فكيفية النطق بالفتحة ، وموضع اللسان معها يماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى الألف اللينة، مع ملاحظة فرق الكمية بينهما "(**د.أنيس، ، ص40**).

ومن نصوص ابن جني التي عرضناها نلاحظ أنه اصطلح على تسمية الصوائت القصيرة - حديثا - بمصطلح الحركات ، و من المحدثين من رأى بأن مصطلح الحركات وردت عند اللغويين قبل ابن جني كسيبويه والمبرد ، لكن ابن جني خير من تعامل مع هذا المصطلح فبحث في أصل الحركة ، وعلل سبب تسميتها ، وموضعها من الحرف، يقول أحد الباحثين : "إن مصطلح ا لحركات لم يرد عند من سبق ابن جني بالمفهوم الصوتي الدقيق والمفصل حين معالجة الأصوات في الأبواب الصوتية ، فالأرجح أن يكون ابن جني أول من وضع مصطلح (حركات) ، عند معالجة هذه الأصوات في الأبواب الصوتية ، ولكنه لم ينسبه لنفسه التزاماً بالأمانة العلمية وإظهاراً لجهود السابقين " [1] **الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي ، د.القرالة ، 2004 ، ص10**)

أما فيما يتعلق بتحديد مخارج هذه الصوائت فنشير إليه في إيجاز ، حيث ذكر بعض العلماء أن وصفها وتحديد مخارجها فيه مصاعب، وسبب الصعوبة متمثلة في اتساع مخارجها - كما أشرنا في تعريفها - فلا يحدث اتصال أو تقارب واضح لأعضاء النطق في أثناء نطقها كما يحدث في نطق الصوامت ، فالتغيير عند النطق بها يحدث في شكل اللسان مما يصعب تعيين موضع الصائت ، وتحديد مقداره بالملاحظة الذاتية ، ومن ثم وجد الدارسون المحدثون الحاجة الماسة إلى الاستعانة بالأجهزة الحديثة لدراسة الصائت وتحديد خصائصه ،[2] **ينظر المدخل إلى علم أصوات العربية ، د. قدورى ،2004، ص135**).

وتمكن عالم الأصوات دانيال جونز "Daniel Jones"باستخدام الأشعة السينية من وضع مقاييس دقيقة في وصف الصائت ، في نظريته التي سميت "حد الصائت " ، والتي يرى فيها أن الصوائت تعتمد على شكل اتساع الممر أعلى الحنجرة ، والذي يحكم اتساع الممر هو اللسان بتدرج ارتفاع أو انخفاض مقدمته أو مؤخرته ، وعند تطبيق المقاييس على الصوائت نلاحظ أن:

- الكسرة: صائت أمامي ، مرتفع ،ضيق.
- الفتحة المرققة: صائت أمامي ، منخفض ، متسع.
- الفتحة المفخمة: صائت خلفي ، منخفض ، متسع.
- الضمة :صائت خلفي ، مرتفع ، ضيق.

والحديث في هذا الموضوع يخرجنا عن البحث ،فاكتفينا بالإشارة إليه دون توسع(**ينظر د. أنيس ، ص32- 38، ودراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ، ص148- 152 ، ومناهج البحث ، تمام حسان ، 1990 ، ص136**)

لم يقتصر عمل هذه الحركات في تغييرها للمعنى على موضع معين في التركيب اللغوي ، فهذه الحركات منها ما يتعلق بالبنية ، ومنها ما يتعلق بأواخر الكلمات وهذا النوع يسمى " حركات الإعراب "، فالنوع الأول منهما يغير معنى الكلمة الواحدة ، فالكلمة العربية في بنائها تتألف من عنصر ثابت وهو مجموعة الصوامت ، وعنصر متغير وهو مجموعة الحركات التي تحدد صيغة الصوامت وتمنحها معنى ، فالصوامت هي" مادة الكلمة الثابتة، تحمل المعنى الأصلي ، الذي تدل عليه بمجموعها ، وإن الحركات تشخص المعنى ، حين تبرزه في وضع معين، فهي التي تستقل بتوجيه الدلالة إلى حيث يريد المتكلم ، فإذا أراد وصفا للفاعل استخدم من الحركات ما يؤدي معناه ، وإذا أراد اسم مفعول فإن له حركاته الخاصة ، وهكذا ....."[**المنهج الصوتي ، د. شاهين ، ص44 ،45**).

فعند اشتقاق اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثي يكون بضم الميم في أوله وكسر ما قبل الآخر ، في حين يكون اسم المفعول من غير الثلاثي - أيضا - بضم الميم في أوله وفتح ما قبل الآخر ، فمثلا : الفعل " استخرج " اسم الفاعل منه " مُستخرِج" ، أما اسم المفعول فهو " مُستخرَج " ، فالنطق بالكسرة على الحرف ما قبل الأخير دل على من وقع منه الفعل ، والنطق بالفتحة على الحرف الذي قبل الأخير دل على من وقع عليه الفعل ، فالحركتان في الاسمين ميزت بين نوعين من المشتقات.

أما النوع الثاني من الحركات وهي حركات الإعراب فأكد علماء العربية على أنها دوال على معان وظيفية تتحقق داخل التركيب الذي ترد فيه ، فهذا أبو القاسم الزجاجي يقول : " إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني ، فتكون فاعلة ومفعولة ، ومضافة ، ومضافاً إليها ، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني ، فقالوا : ضرب زيدٌ عمراً ، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له ، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به .....، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم " [**الإيضاح في علل النحو ، 1979،ص70،69**).

إن الذي يهم من هذين النوعين في هذه الدراسة "حركات الإعراب " ؛ وذلك لما له من علاقة بموضوع البحث ، والذي يدرس الصوائت التي توجه المعنى في التركيب الواحد ، وقد اخترنا لتطبيق هذه الدراسة من أبواب النحو ما يلي " المنادى ، الاسم الذي لا ينصرف ، اسم الفعل."

•أولا :أحكام المنادى:

نذكر في بداية هذا الموضوع من أقوال علماء النحو، ثم نتحدث عن الكيفية التي يوجه فيها الصائت المعنى في " المنادى " وتحديداً النكرة المقصودة وغير المقصودة.

يقول ابن الحاجب في أحكام المنادى المفرد المعرفة : " يبنى على ما يرفع به إن كان مفرداً معرفة مثل : يا زيدُ ، ويارجلُ ، ويا زيدان ، ويا زيدون"(**شرح الرضي ،الاستراباذي ،1975، 349/1**).

في هذا النص ذكر ابن الحاجب أن المنادى إن كان مفرداً ، أي " ليس مضافاً ولا شبيه بالمضاف" معرفة بني على ما يرفع به إن كان معرباً.

-فالمنادى المفرد حقيقة يبنى على الضم ، ومثل له بـ" يا زيدُ ، يا رجلُ "
- المنادى المثنى يبنى على الألف ، ومثل له بـ " يا زيدان."
-المنادى الجمع يبنى على الواو ، ومثل له بـ " يا زيدون."
وقصد بقوله " معرفة " كما أوضح الرضي – وهذا ما يهمنا - ما كان مقصوداً سواء تعرف بالنداء أو كان معرفة "، والذي يتعرف بالنداء النكرة المقصودة. (**المصدر السابق ، 350/1**).

وقد فصل الأشموني المقصود بالمعرفة حين قال : " إذا اجتمع في المنادى أمران التعريف والإفراد ، فإنه يبنى على ما يرفع به لو كان معرباً ، سواء كان ذلك التعريف سابقاً على النداء ، نحو " يا زيدُ " ، أو عارضاً بسبب القصد والإقبال وهو النكرة المقصودة ، نحو : يارجلُ أقبل ، تريد رجلاً معيناً)**شرح الأشموني ،1955، ص235**).

فبسبب القصد والإقبال عُوملت النكرة معاملة المفرد المعرفة.
أما وجوب نصب المنادى فيكون في ثلاثة أحوال " الأول : النكرة غير المقصودة كقول الواعظ : يا غافلاً والموتُ يطلبه ، وقول الأعمى : يا رجلاً خذ بيدي .....
والثاني : المضاف نحو " رَبّنا اغفر لنا ")**سورة آل عمران ، الآية 147**)

والثالث الشبيه بالمضاف " (**الأشموني ، ص235**).

ويقول ابن مالك في شرح التسهيل:"يجوز في المفرد المعرفة بالقصد والإقبال إجراؤه مجرى العلم المفرد في البناء ، وإجراؤه مجرى النكرة في النصب ")**شرح التسهيل 3،393/1990**).

هذا النص سهّل علينا ما نهدف إليه وهو أن النكرة إذا كانت بالقصد والإقبال أُجريت مجرى العلم المفرد في البناء ، نحو " يا رجلُ ، إذا قُصد رجل بعينه ، و" يا طالبُ " إذا قُصد طالب بعينه.

فالنكرة إذا كانت مفردة على الحقيقة ومقصودة بُنيت على الضم الذي هو صائت قصير، وإذا كانت النكرة مفردة على الحقيقة وغير مقصودة ، كما في " يا غافلاً " لا تريد غافلاً بعينه ، ومثل : يا رجلاً خذ بيدي لا تريد رجلاً بعينه ، وجب النصب بالفتحة ، وهي صائت قصير .

فمما سبق نصل إلى أن الصائتين القصيرين " الضمة ، والفتحة " دلاّ على نوع المنادى النكرة، وكانا له دور فيتحديد المعنى في التركيب الواحد ، والذي تمثل في المنادى النكرة، فالضمة دلت على القصد والإقبال لهذا بُني المنادى ، والفتحة دلت على غير القصد لهذا نُصب المنادى.

ثـانـيـا : اسـم الـفـعـل :

تـعـريـفـه:"هو ما ناب عن فعل في العمل ، ولم يتأثر بالعوامل ولم يكن فضلة ، كشَتَّان ، وصَهْ ، هو اسم فعل ، وكذا أوّه ، ومهْ "[1] **الأشموني ، ص271**).

فقوله في التعريف " ما ناب عن فعل " جنس يشمل اسم الفعل وغيره مما ينوب عن الفعل ، والقيد الأول هو " لم يتأثر بالعوامل" يخرج المصدر الواقع بدلاً من اللفظ بالفعل واسم الفاعل ، والقيد الثاني هو "لم يكن فضلة"لإخراج الحروف.

وقوله " شتان "متمم للتعريف وموضح له ،فشتان ينوب عن افترق ، و " صه " ينوب عن اسكت، و" أوّه "ينوب عن أتوجع ، وكلها لا تتأثر بالعوامل وليست فضلات لاستقلالها[2] **ينظر المصدر السابق والصفحة**).

وأسماء الأفعال مبنية ، والعلة في بنائها ، لمشابهتها مبني الأصل ، وهو الفعل الماضي والأمر ، فلا تقول إن " صه " اسم فعل لـ " لا تتكلم " و " مه " اسم فعل لـ" لا تفعل " ، إذ لو كانا كذلك لكانا معربين ، بل هما بمعنى اسكت واكفف ، وكذا لا تقول إن " أفّ " بمعنى أتضجر ، و " أوّه "بمعنى أتوجع ، إذ لو كانا كذلك لأعربا كمسماهما بل هما بمعنى : تضجرتُ ، توجعتُ[3] **ينظر الرضي، 83/3**).

وهذا ما ذهب إليه الرضي ، والأمثلة التي ذُكرت شاهدة على قصده ، أما ابن هشام فيرى أن اسم الفعل : " وروده بمعنى الأمر كثيراً كـ " صهْ" و " مهْ " و" آمين " ، بمعنى اسكت واكفف واستجب ونزالِ بابه ، وبمعنى الماضي والمضارع قليل كـ " شتان " و " هيهات " بمعنى افترق وبعُد و " أوّه " و " أفّ " بمعنى أتوجع وأتضجر "[4] **أوضح المسالك ، ابن هشام د.ت 83/4**).

- **أنـواع اسـم الـفـعـل :**

الأول : ما وضع من أول الأمر كذلك ، كـ " شتّان" ، و" صَهْ " ، و " ويْ".

الثاني : المنقول من غيره ، وهو نوعان :

الـنـوع الأول : منقول من ظرف أو جار ومجرور ، نحو : " عليك " بمعنى الزم ، و " دونك " بمعنى خذه ، و " مكانك " بمعنى اثبتْ.

النـوع الثـاني :منقول عن مصدر ، وهو نوعان:

النـوع **الأول** :مصدر استعمل فعله ، نحو " رويدَ زيداً ".

النـوع الثاني : مصدر أهمل فعله ، نحو " بَلْهَ زيداً " فإنه في الأصل مصدر فعل مهمل مرادف لدَعْواترك ، " بَلْهَ زيداً " بالإضافة إلى المفعول ، كما يقال " تَرْكَ زيدٍ " ، ثم قيل " بَلْهَ زيداً " ، بنصب المفعول وبناء " بَلْهَ " على أنه اسم فعل (ينظر المصدر السابق ، 4/86،85).

•التـنـويـن وعـدمـه اللاحق بـعـض أسـمـاء الأفـعـال :

هذه الجزئية في موضوع اسم الفعل هي التي ما نقصده وله علاقة بموضوع البحث وسنوضح هذا في محله بعد عرض كلام النحاة عن التنوين الذي يلحق بعضها ، فقد جعلوا اسم الفعل من حيث ظهور التنوين على آخره وعدمه في ثلاثة أقسام ، هي (**ينظر الرضي ، 3/91/90 ، ابن هشام ، 4/90،89**):

1- ما كان من هذه الأسماء منوناً فهو نكرة ، وقد التزم ذلك في " واهاً " ، و " ويهاً " ، كما التزم تنكير نحو " أحدٍ ، وعريبٍ".

2- ما لم يكن منوناً منها فهو معرفة ، وقد التزم ذلك في " نزالِ " و " تراكِ " وبابهما كما التزم التعريف في المضمرات والإشارات والموصولات .

3- ما استعمل بالوجهين فعلى معنيين ، وقد جاء ذلك في : " صهْ ، ومهْ ، وإيهْ ، وألفاظ أخرى كما جاء التعريف والتنكير في " كتاب ، فرس ، رجل.

وهذا التنوين الذي يلحق بعض الأسماء عند الجمهور للتنكير ، " وليس لتنكير الفعل الذي ذلك الاسم بمعناه ، إذا الفعل لا يكون معرفاً ولا منكراً ..... ، بل التنكير راجع إلى المصدر ، الذي ذلك الاسم قبل صيرورته اسم فعل ، كان بمعناه ، لأن المنون منها إما مصدر أو صوت قائم مقام المصدر أولاً ، ثم ينتقل عنه إلى باب اسم الفعل ثانياً ، ف " صهْ " بمعنى سكوتاً ، و" إيه " بمعنى زيادة، فيكون المجرد من التنوين ، مما يلحقه التنوين كالمعرف ، فمعني صهْ : اسكت السكوت المعهود المعين ، وتعيين المصدر بتعيين متعلقه ، أي المسكوت عنه ، أي : افعل السكوت عن هذا الحديث المعين ، فجاز على هذا ألا يسكت المخاطب عن غير الحديث المشار إليه ، وكذا مهْ ، أي كف عن هذا الشئ ، و أيهْ ،أي هات الحديث المعهود ، فالتعريف في المصدر راجع إلى تعريف متعلقه، أما التنكير فيه ، فكأنه للإبهام، فكأن معنى صهٍ : اسكت سكوتاً وأي سكوت أي : سكوتاً بليغاً، أي اسكت عن كل كلام ، وليس ترك التنوين في جميع أسماء الأفعال عندهم دليل التعريف،بل تركه فيما يلحقه تنوين التنكير دليل التعريف" (**الرضي ، 3/91**).

من خلال عرضنا للأقسام الثلاثة يتضح أن القسم الثالث هو محور الدراسة، وهو ما استعمل بوجهين فعلى معنيين ، وهذا يتجلى في نص الرضي الذي فصل فيه الحديث عن التنوين وعدمه ، فأسماء الأفعال والتي هي "صه ، مه ،إيه " تكون مجردة من التنوين ويكون لها معنى ، ويلحقها التنوين ويكون لها معنى،والتنوين اللاحق لها تنوين التنكير، فهذا التنكير راجع إلى المصدر الذي اسم الفعل بمعنى فعله ، ثم انتقل التنوين من المصدر إلى اسم الفعل ، فوجوده يدل على الإبهام ، والمجرد من التنوين مما يلاحقه

التنوين يكون كالمعرف.ولزيادة التوضيح نأتي باسم الفعل " صهْ" ، فعند تجريده من التنوين ، يقصد به اسكت السكوت المعهود المعين ، فهنا تعين على المخاطب السكوت عن الحديث المعين ، وجاز له ألا يسكت عن غير الحديث المشار إليه ، فبالتجريد أصبح " صَهْ " كالمعرف ، وتعين السكوت عن الحديث المعين.

أما عند الإتيان بالتنوين " صهٍ " ، فهذا يعني التنكير ، ويقصد به اسكت سكوتاً وأي سكوت ، أي اسكت ولا تأتي بأي حديث، فدخول التنوين جعل المعنى يختلف عما كانت عليه وهي مجردة عن التنوين.

ومن هنا نستطيع القول إن الصائت القصير في أسماء الأفعال " صه ، مه ، إيه " حدد وغيّر المعنى رغم أن التركيب واحد،فالصائت القصير السكوت في " صهْ " دل على التعريف ، وفُهم منه أن المقصود السكوت عن الحديث المعين وجواز الحديث في غيره، وفي " صهٍ " التنوين والذي هو نون زائدة ساكنة تنطق ولا تكتب ، وتعد صائتاً قصيراً دل على التنكير ، وفهم منه السكوت التام وعدم الحديث في أي موضوع.

ثالثاً : الاسم الذي لا ينصرف :

المقصود بالصرف : التنوين ❖الدال على معنى يكون الاسم أمكن ، وذلك المعنى هو عدم مشابهته للحرف والفعل كـ"زيد " " فرس " [ابن هشام ، 115/4)

فالاسم إن أشبه الحرف سمي مبنياً وغير متمكن ، مثل : الضمائر ، وإن لم يشبه الحرف سمي معرباً ، والمعرب على قسمين :

أحدهما : ما أشبه الفعل ، ويسمى غير منصرف ومتمكناً غير أمكن ، مثل : أحمد ، مساجد.

الثاني : مالم يشبه الفعل ، ويسمى منصرفاً ومتمكناً أمكن ، مثل : محمدٌ ، زيدٌ.

- **علامة إعراب المنصرف وغير المنصرف :**

علامة المنصرف أن يجر بالكسرة مع الألف واللام والإضافة وبدونهما ، وأن يدخله الصرف وهو التنوين الذي لغير مقابلة أو تعويض" تنوين التمكين " الدال على معنى يستحق به الاسم أن يسمى أمكن ذلك المعنى هو عدم شبهه بالفعل ، نحو : مررت بغلامٍ ، ومررت بالغلامِ ، ومررت بغلامِ زيد .

أما غير المنصرف فيجر بالفتحة إن لم يضف ، أو لم تدخل عليه " أل " ، نحو : مررت بأحمدَ ، فإن أضيف أو دخلت عليه " أل " جرّ بالكسرة ، نحو : مررت بأحمدِكم ، ومررت بالأحمدِ [**ينظر شرح ابن عقيل ، ابن عقيل ،3، 320/1980، النحو الوافي، عباس حسن ،4، 202/1984، 201**).

التنوين أنواع منها : تنوين التمكين أو " الأمكنية " وتنوين المقابلة ، وتنوين العوض ، والمقصود في هذا الموضوع هو تنوين التمكين " فهو التنوين الدال على أن الاسم المعرب أمكن وأقوى درجة في الاسمية من غيره ، ويسمى أيضاً تنوين " الصرف " ، مثل : محمدٌ ، وطنٌ " ووجود هذا التنوين يدل على وجود علامتين في الاسم يبعدانه كل البعد عن الحرف والفعل ، وهما " التنوين ، والإعراب "، فالتنوين لا يدخل الحروف ولا الأفعال ، والإعراب لا يدخل الحروف ولا أكثر الأفعال ،وبهذا صار الاسم المتمكن أقوى وأمكن باجتماع الإعراب والتنوين .

أما الاسم الذي لا يدخله التنوين ويمتنع وجوده فيه ، فيكون امتناعه دليلاً على أن الاسم المعرب متمكن في الاسمية ؛ لكنه غير أمكن ، مثل : عمر ، عثمان .

وهذا القسم سمي متمكناً غير أمكن لاشتماله على علامة واحدة هي الإعراب ، أما تنوين الأمكنية لا يدخله ، وبسبب حرمانه من هذا التنوين صار شبيهاً من الفعل و الحرف .

وإذا امتنع دخول التنوين على هذا الاسم الذي لا ينصرف امتنع تبعاً جره بالكسرة ، فيجر بالفتحة نيابة عنها إلا إذا أضيف أو اقترن هذا الاسم بـ" أل " فيجر بالكسرة .(عباس حسن ، 202/4

- **الاسم الذي لا ينصرف نوعان :**

النوع الأول : ما يمنع صرفه لعلة واحدة :

وهذا النوع يمنع صرفه في كل استعمالاته حين توجد فيه علامة واحدة تمنعه من الصرف ، إلا إذا أضيف أو دخلت عليه " أل " ، ويندرج تحت هذا النوع شيئان، هما :

الأول :ما فيه ألف التأنيث مطلقاً أي مقصورة كانت أم ممدودة ، فيمنع صرف ما آخره ألف التأنيث سواء كانت نكرة كـ " صحراء " أم معرفة كـ " رضوى " و " زكرياء " أم مفرداً كما مثلنا أم جمعاً كـ " أنصباء " ، أم اسماً كما ذكرنا أو صفة كـ " حمراء " (**ينظر ابن هشام،116/4 ، وعباس حسن ، 204/4**).

الثاني :صيغة منتهى الجموع أو " الجمع الموازن لمفاعل ومفاعيل ، وضابطه كل جمع بعد ألف تكسيره حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن ، نحو : مساجد ، ومصابيح ،وأضفنا ، " الموازن لمفاعل و مفاعيل " لنشير إلى أن الجمع إذا كان على هذا الوزن وإن لم يكن أوله ميماً ، فيدخل نحو : ضوارب ، وقناديل (**ينظر ابن هشام ،116/4 ، و ابن عقيل ، 327/3**).

وإذا كان الجمع منقوصاً مثل : " جواري ، غواشي " ، فإن خلا من " أل " و الإضافة أجري في الرفع مجرى " قاضٍ " فتحذف ياؤه ويثبت التنوين ، فيقول ((جوارٍ ، وغواشٍ)) ، وفي النصب أجرى مجرى ((دراهم)) ، في سلامة آخره و ظهور فتحته فتقول " رأيت جواريَ " ومثلها غواشٍ (**ينظر ابن هشام ، 117/4، والرضي ، 155/1**)

- **النوع الثاني :** ما يمنع صرفه لوجود علتين معاً :

وفي هذا النوع لابد أن تكون إحدى العلتين المجتمعتين معنوية ، والأخرى لفظية ، وتنحصر المعنوية في " الوصفية " وفي " العلمية " وينضم لكل واحدة منهما علة أخرى لفظية ، نبدأ بالوصفية والعلل اللفظية التي معها .

- **أولاً : الاسم الممنوع من الصرف للوصفية ومعها إحدى العلل الثلاث :**

1 -يمنع الاسم من الصرف للوصفية وزيادة الألف والنون ، إذا كان على وزن " فَعْلاَن " بشرطين : أن تكون وصفيته أصلية " غير طارئة " وأن يكون تأنيثه بغير التاء ، ومن أمثلتها : عطشان ، وغضبان ، فإن مؤنثهما : عطشى ، غضبى .

فإن فقد أحد الشرطين بأن كان مؤنثه بالتاء مثل " سيفان " " الرجل الطويل " فإن مؤنثه " سيفانة " فلا يمنع من الصرف وكذلك إن كانت وصفيته غير أصلية ، مثل " صفوان " في قولهم " بئس رجل صفوانٌ قلبه " و أصل الصفوان : الحجر ، فلا يمنع من الصرف (**ينظر الرضي ، 157/1، وينظر عباس حسن ، 217،218/4**).

2 -يمنع من الصرف للوصفية مع وزن الفعل ، بشرطين هما : ألا تكون مؤنثه بالتاء ، وألا يكون وصفيته غير أصلية ، ويتحقق هذا في الوصف الذي على وزن " أَفْعَل " ومؤنثه " فَعْلاَء " أو " فُعْلَى " مثل: أحمر- حمراء ، أبيض – بيضاء ، أفضل – فضلى ، أحسن – حسنى .

فإن فقد أحد الشرطين لا يمنع من الصرف ، فيجر بالكسرة ، ويدخله التنوين (**ينظر ابن هشام ، 118/4، وعباس حسن،219/4**).

3 -يمنع من الصرف للوصفية مع العدل في إحدى حالتين :

أ - أن يكون الاسم أحد الأعداد العشرة الأولى ، وصيغته على وزن " فُعَال أو مَفْعَل " ، مثل : ثناء ، ومثنى ، ثلاث ، مثلث، ورُبَاع ، مَرْبَع .

ب- كلمة " أُخَر " : نحو " مررت بنسوة أُخَر" ، فهي جمع مفرده أخرى " والأخرى أنثى آخر بالفتح – بمعنى مغاير ، وآخر من باب اسم التفضيل ، واسم التفضيل قياسه أن يكون في حال تجرده من " أل " والإضافة مفرداً مذكراً.... فكان القياس " مررت بامرأة آخَر وبنساء آخَر..... وبرجال آخر وبرجلين آخر ، لكنهم قالوا : أُخرى وأُخر ، وآخرون ، وآخران .....وإنما خص النحويون " آخر " بالذكر ، لأن في أخرى ألف التأنيث وهي أوضح من العدل ، وآخرون و آخران معربان بالحروف فلا مدخل لهما في هذا الباب ...." (**ابن هشام، 123/4**).

فإن سمي بالوصف زالت عنه الوصفية وحل محلها العلمية ، فيجتمع في الاسم العلمية مع زيادة الألف والنون ، كما لو سميت رجلاً بـ" غضبان " ، أو العلمية مع وزن الفعل ، كتسمية رجل بـ " أرقم " ، أو أسود " ، أو العلمية مع العدل ، كتسمية رجل بـ" مثنى ، أو ثلاث "(**ينظر عباس حسن ، 225/4**).

- **ثانياً :الاسم الممنوع من الصرف للعلمية مع إحدى العلل السبع ، هي :**

1- يمنع الا سم من الصرف إذا كان علماً ، مركباً تركيب مزج ، نحو :" معد يكرب ، حضر موت " ويكون الإعراب على آخر الجزء الثاني وحده ، فيعرب إعراب الممنوع من الصرف ، يرفع بالضمة ، وينصب بالفتحة ، ويجر بالفتحة نيابة على الكسرة ، نحو: هذه بعلبكُ ، ووصلنا بعلبكَ ، ومررت ببعلبكَ (**ينظر الرضي ، 156/1، وعباس حسن ، 229/4**).

2- يمنع الاسم من الصرف إذا كان العلم مختوماً بألف ونون زائدتين، نحو:عمران، رمضان،غطفان،فشرط منعه من الصرف " العلمية والزيادة ،فإن كان الحرفان أصليين لم يمنع من الصرف ، مثل : بانٌ " اسم الشجر المعروف بشجر البان "، وكذلك إن كانت النون أصلية ، مثل " لسان " فإن كانا معاً صالحين للإصالة وللزيادة أو كان أحدهما هو الصالح وحده جاز في الاسم الصرف وعدمه ، نحو : حسان ، علم على رجل ،فيجوز أن يكون مشتقا من " الحس " بمعنى : الشعور ، فيمنع من الصرف للعلمية وزيادة الحرفين ، ويجوز أن يكون مشتقا من " الحسن "فلا يمنع ، لأن الزائد حرف واحد ، وكذلك " غسان " قد يكون من " الغس " بمعنى دخول البلاد ، فيمنع من الصرف للعلمية والحرفين، وقد يكون من " الغسن " : المضغ ، فلا يمنع ، لأن الزائد حرف واحد " (**ينظر عباس حسن، 233/4**).

❖ **يشترط في زيادة الألف والنون** أن يكون قبلهما أكثر من حرفين أصليين بغير تضعيف الثاني نحو: فرحان – غطفان ، فإن كان قبلهما حرفان أصليان ثانيهما مضعف جاز أمران إما اعتبار الحرف الذي حصل فيه التضعيف أصلياً ، كما في " حسان"

=الحس " ، فيمنع من الصرف ، و إما عدم اعتباره أصلياً ، مثل " حسان " من " الحسن " فيؤدي إلى الحكم بالإصالة ، ولا يمنع الاسم من الصرف "عباس حسن،234/4).

3- يمنع الاسم من الصرف للعلمية مع التأنيث إذا كان العلم بالتاء ك " فاطمة " و" طلحة " و " هبة " أعلام،أو زائداً على ثلاثة ك "زينب"و" سعاد"،أو كان ثلاثياً ومحرك الوسط ك " سقَر "،أو كان ثلاثياً غير مختوم بالتاء أعجمياً ك " جُور"علم بلد،أو كان علماً منقولاً من أصله المذكر الذي اشتهر به إلى المؤنث ك" زيد "،و"سَعْد "و" صَخْر"، أعلام نساء ،(**ينظر ابن هشام، 125/4، وعباس حسن236/4**).

ويندرج في العلم المنقول من التذكير كالمصادر مثل " دلال " ، فإن استعمل علماً مؤنثاً منع من الصرف ، و إذا سُمي به مذكر وجب صرفه (**ينظر الرضي ، 135/1، وعباس حسن 239/4**).

ويجوز الصرف وعدمه إذا كان العلم الذي للمؤنث ثلاثياً ساكن الوسط ، غير أعجمي، وغير منقول من مذكر ، ك "هنْد ...دعْد " (**ينظر ابن هشام، 125/4، 238**).

4- يمنع العلم من الصرف إذا كان أعجمياً ، وعلميته في اللغة العجمة ، وزاد على ثلاثة أحرف ، ك " إبراهيم، إسماعيل ،ونحو "نوح ، لوط ، شَتَر " مصروفة ، وقيل : الساكن الوسط ذو وجهين ، والمحرك متحتم المنع. يقول ابن الحاجب "العجمة شرطها علمية في العجمية ، وتحرك الأوسط أو زيادة على الثلاثة ، فنوح منصرف، وشتر وإبراهيم ممتنع " (**ينظر ابن هشام ، 125/4، والرضي ، 141/1**).

5- العلم الموازن للفعل ، والمعتبر من وزن الفعل أنواع

-**الأول** :الوزن الذي يخص الفعل ك " خضّم " لمكان ، و " شمَّر " لفرس ، و "انطلق " ، و " استخرج " و " تقاتل " أعلام .

- **الثاني** : الوزن الذي به الفعل أولى لكونه غالبا فيه ، ك " إِصْبَع " ، و " أُبْلَمُ " أعلاماً ، فإن وجود موازنها في الفعل أكثر كالأمر من ضرب وكتب.

الثالث: الوزن الذي به الفعل أولى لكونه مبدوءاً بزيادة تدل في الفعل ولا تدل في الاسم نحو : أفكَل و أكلُب ، فإن الهمزة فيهما لا تدل وهي في موازنهما من الفعل نحو : أذهب و أكتب دالة على المتكلم (**ابن هشام، 126/4**).

العلم المختوم بألف الإلحاق المقصورة ، مثل : علقى " علم النبات "، و أرطى "علم الشجر " (**ينظر المصدر السابق، 128**).

يمنع الاسم من الصرف للعلمية مع العدل في مواضع، منها (**المصدر السابق ، 128- 130، وينظر ابن عقيل ، 335/3**) :

-**الأول** :ما كان على " فُعَل " من ألفاظ التوكيد وهي " جُمَع و كُتَع و بُصَع " فإنها تمنع من الصرف للعلمية والعدل ، وذلك نحو " جاء النساء جُمَع ، ورأيت النساء جمعَ ، ومررت بالنساء جمعَ ، والأصل جمعاوات ؛ لأن مفرده جمعاء فعدل عن جمعاوات إلى جمع وهو معرف بالإضافة المقدرة أي جمعهن.

-**الثاني** : " فُعَل " لمذكر إذا سمع ممنوع من الصرف وليس فيه علة ظاهرة غير العلمية ، نحو : " عمر ، وزفر ، زحل " فإنهم قدروه معدولاً :لأن العلمية لا تستقل بمنع الصرف مع إن صيغة (فُعَل) قد كثر فيها العدل كـ" فُسَق "

الثالث :لفظ " سحر " : بشرط استعماله ظرف زمان ، وأن يراد به سحر يوم معين مع تجريده من " أل " والإضافة ، نحو : غردت البلابل يوم الخميس سَحَرَ(**عباس حسن ، 258/4**).

-**الرابع** :ما كان علما لمؤنث على وزن " فَعَال " ، مثل : حَذَام ، قطام ، وفيه طريقتان :

•أحدهما : بعض العرب يمنعه من الصرف ، ويقول النحاة إن سبب المنع هو العلمية والعدل ، لأن الأصل : حاذمة ، قاطمة.

وقيل سبب المنع العلمية والتأنيث المعنوي مثل : زينب وسعاد.

الأخرى :أن الحجازيين يبنونه على الكسر (**ينظر ابن هشام، 130/4، وعباس حسن، 260/4**).

-**الخامس** : " أمس : "و أشهر لغات العرب فيه لغتان :

•إحداهما : منعه من الصرف ، وهذه لغة بعض التميميين بشرط :

" أن يكون علماً مراداً به اليوم الذي قبل يومك مباشرة " وأن يكون خالياً من" أل " والإضافة، وأن يكون غير مصغر، وغير مجموع جمع تكسير، وغير ظرف.....، نحو: قد استرحتُ مذ أمسَ " (**عباس حسن ، 261/4، وينظر ابن هشام، 135/4،131**).

•**الأخرى** :وهذه لغة الحجازيين وهي بناؤه على الكسر في جميع استعمالاته.

- **المنقوص المستحق منع الصرف :**

كل منقوص كان نظيره من الصحيح الآخر ممنوعاً من الصرف يعامل معاملة "جوارٍ" في أنه ينون في الرفع والجروتنوين العوض،وينصب بفتحة من غيرتنوين،وذلك نحو "قاضٍ"علم امرأة فإن نظيره من الصحيح "ضارب"علم امرأة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث " فقاضٍ " ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث وهو مشبه " بجوارٍ " من جهة أن في آخره ياء قبلها كسرة فيعامل معاملته ، فتقول : " هذه قاضٍ ، ومررت بقاضٍ ، ورأيت قاضيَ " ، كما تقول : " هؤلاءِ جوارٍ ، مررت بجوارٍ ، رأيت جواريَ " (**ابن عقيل ، 338/3، وينظر الرضي ، 155/1**).

بعد الحديث عن موضوع " الاسم الذي لا ينصرف " والعلل التي تمنع من الصرف ، سنوضح في هذه الجزئية عماله علاقة بموضوع البحث ، والمتمثل في العلمية وبعض العلل ، والتي هي :

1 -العلم المختوم بألف ونون زائدتين ، ك"عمران ، وغطفان " ، فإن كانت الألف والنون معاً صالحين " غير زائدين " ، أو كان أحدهما هو الصالح وحده ، جاز في الاسم الصرف وعدمه ، نحو " حسان " فيجوز أن يكون مشتقاً من " الحس " فيمنع من الصرف ، ويجوز أن يكون مشتقاً من " الحسن " فلا يمنع من الصرف ، وفى الحالتين الذي يدل على اشتقاقه وصرفه ومنعه الصوائت القصيرة ، فعندما نقول : " حسانٌ رجل كريم ، ورأيت حساناً في المسجد ، ومررت بحسانٍ " ،دل تنوين التمكين و الجر بالكسرة على أن " حسان " مشتق من " الحسن " ، فهو منصرف ، وعندما نقول : " حسانُ رجل كريم ، ورأيتَ حسانَ في المسجد ، ومررت بحسانَ " ، دل عدم التنوين والجر بالفتحة على أنه مشتق من " الحس " ، والألف والنون زائدتان ، فمنع من الصرف ، إذن فكلمة " حسان " على الرغم من أنها تكررت في التراكيب نفسها ، فإنها في الأمثلة الأولى جاءت منصرفة ، ودل على ذلك التنوين والجر بالكسرة ، وبهما علمنا أنها مشتقة من " الحسن " ، وفي الأمثلة الأخرى منعت كلمة " حسان " من الصرف ،ودل على ذلك عدم التنوين والجر بالفتحة نيابة عن الكسرة ، ومنهما علمنا أنها مشتقة من " الحس. "

2 -يمنع الاسم من الصرف للعلمية والتأنيث ، وذلك إذا كان العلم منقولاًمن أصله المذكر الذي اشتهر به إلى المؤنث ك" زيد ،وسعْد ،وصخر" ،هذه أعلام ذكور ، وهي مصروفة ، تقول : " جاءني زيدٌ ، ورأيتُ زيداً ، ومررت بزيدٍ " ، فكلمة " زيد" في هذه الأمثلة دخلها تنوين التمكين ، وجُرت بالكسرة ، لأنها علم لمذكر جاء على أصله.

فإذا نقل هذا العلم من المذكر إلى المؤنث منع من الصرف ، فتقول "جاءتني زيدُ ، و رأيت زيدَ ، و مررت بزيدَ " ، فكلمة " زيد " في هذه الأمثلة لم تنون تنوين التمكين ، وجرت بالفتحة نيابة عن الكسرة ، فأعربت إعراب الممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

فالذي دل على أن " زيد " في الأمثلة الأولى منصرفة ، وفى الأمثلة الأخرى ممنوعة من الصرف الصوائت القصيرة ، فالصائت القصير " الكسرة " والتنوين دلا على صرفها ، والصائت القصير " الفتحة " في الجر وعدم التنوين دلا على منعها من الصرف.

ويدخل تحت العلم المنقول من التذكير " المصادر " ، فالمصدر إن كان مذكراً واستعمل في أصله جاء منصرفاً ، وإن كان مذكراً وسمي به مؤنث منع من الصرف ، كـ " دلال ، و رباب (تعني الغيم) " ، فـ " دلال " مصدر مذكر من الفعل " دلل " و " رباب " مصدر الفعل " ربب " ، تقول في الأمثلة الآتية : " هذا ربابٌ نافع، ورأيت رباباً ، وأمسكت بربابٍ " فكلمة " رباب " جاءت مصدراً بمعنى الغيم ، والذي دل على صرفها تنوين التمكين ، والجر بالكسرة ، أما إذا سمي بها مؤنث فتمنع من الصرف ، فتقول : هذه ربابُ ، رأيت ربابَ ، أمسكت بربابَ " فجاءت غير منونة وجرت بالفتحة في حالة الجر.

إذن الذي ميز بين الصرف وعدمه ، وما استعمل في أصله وما نقل واستعمل لمؤنث الصوائت القصيرة ، فالصائت القصير " الكسرة " في حالة الجر دلت على أنه منصرف ، والصائت القصير " الفتحة " في حالة الجر دلت على عدم الصرف ، والتنوين وعدمه دل كذلك على الصرف وعدمه.

ويدخل في المنقول من المذكر إلى المؤنث ما جاء في النص عن المنقوص المستحق منع الصرف ، فكل منقوص كان نظيره من الصحيح ممنوعاً من الصرف يعامل معاملة " جوارٍ " في أنه ينون في الرفع والجر وينصب بفتحة من غير تنوين في النصب ، كما جاء في النص السابق بمثال " قاضٍ " علم امرأة ، ونظيرها من الصحيح " ضارب " علم امرأة ، وهذا النظير ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث .

فهذه القاعدة نستخلص منها أن اسم الفاعل – الذي هو من المشتقات – إن استعمل في أصله كان منصرفاً ، و إذا كان علم امرأة منع من الصرف ، فكلمة " ضارب " في الأمثلة الآتية "هذا ضاربٌ،رأيت ضارباً ،سلمت على ضاربٍ " ، جاءت منصرفة ، بدليل دخول تنوين التمكين والجر بالكسرة .

أما في الأمثلة الآتية "هذه ضاربُ، ورأيت ضاربَ، سلمت على ضاربَ" فكانت ممنوعة من الصرف ، ودل على ذلك الجر بالفتحة في حالة الجر ، وعدم دخول تنوين التمكين عليها.

إذن الذي ميز بين المنصرف والممنوع من الصرف وجود هذه الصوائت القصيرة، فالكسرة التى هي صائت قصير والتنوين دلا على الصرف ، والصائت القصير " الفتحة في الجر وعدم التنوين دلاعلى منع الصرف

وهذا ينطبق على الاسم المنقوص الذي له نظير من الصحيح مثل " قاضٍ " إلا أن المنقوص يتضح منعه من الصرف في حالة النصب، فالاسم المنقوص قبل العلمية تظهر الفتحة في النصب مع التنوين إذا كان نكرة ، تقول : " رأيت قاضياً " ، أما إذا كان علم امرأة فتظهر الفتحة دون التنوين ، فتقول :" رأيت قاضيَ " فالصائت القصير " الفتحة " دون التنوين دل على منعه من الصرف .

مما سبق ومن خلال الموضوعات التي تمت دراستها في هذا البحث ، ومن الأمثلة التي عرضت للتوضيح نستطيع القول بأن الصوائت القصيرة لها دوراً كبير في توجيه المعنى وبيانه في التركيب الواحد.

مصادر البحث :-

1 -القرآن الكريم ، براوية قالون عن نافع .

2 -الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، د.ط (مصر: مطبعة نهضة مصر،د ت).

3 -الأصوات ووظائفها ، د. محمد منصف القماطي ، د.ط (ليبيا : منشورات جامعة الفاتح ، 1986م).

4 -أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، د.ط (بيروت : دار الفكر ، د. ت) .

5 -الإيضاح في علل النحو ، أبو القاسم الزجاجي ، تح:مازن المبارك ، ط 3 ، (بيروت : دارالنفائس ، 1979م).

6 -الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي ، د. زيد خليل القرالة ، د.ط (الأردن :عالم الكتب الحديث ، 2004).

7 -الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : محمد علي النجار ، د.ط (القاهرة: دار الكتب المصرية 2006م.

8 -دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، د.ط (القاهرة :عالم الكتب ، 1997م).

9 -سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : د. حسن هنداوي ، د. ط (د.م : د . ن ، د.ت).

10 - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 1 (بيروت :دار الكتاب العربي، 1955م).

11 - شرح التسهيل ، ابن مالك ، تح : عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون ، ط 1 ، (القاهرة :هجر للطباعة والنشر ، 1990م).

12 - شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاستراباذي ، تح : أ. د يوسف حسن عمر ، د. ط (ليبيا: قاريونس، 1975م).

13 - شرح ابن عقيل ، بهاء الدين بن عقيل ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط20 ، (القاهرة :دار التراث ، 1980م).

14 - علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، د .ط (بيروت: دار النهضة العربية د.ت) .

15 - فقه العربية المقارن،دراسات في أصوات العربية وصرفها و نحوها على ضوء اللغات السامية ، د.رمزي منير بعلبكي ، د.ط (د .م :دار العلم للملايين ، د. ت).

16 - اللغة ، فندريس، تعريب:عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، د. ط (د .م : مكتبة الأنجلو المصرية د.ت).

17 - المدخل إلى علم أصوات العربية ، د. غانم قدوري ، ط 1 (عمان: دار عمان ، 2004م).

18 - مدخل إلى علم اللغة ، د. محمود حجازي ،د.ط (القاهرة: دار قباء ، د.ت).

19 - مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، د.ط (القاهرة :مكتبة الأنجلو المصرية ،1990م).

20 - المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة للصرف العربي ، د. عبد الصبور شاهين ، د.ط(بيروت :مؤسسة الرسالة ،1980م).

21 - النحو الوافي ، عباس حسن ، ط 3 (مصر: دار المعارف ، 1984م).

22 - النظام الصوتي اللغة العربية ، د. حامد بن أحمد الشنبري ، د. ط (القاهرة :مركز اللغة العربية جامعة القاهرة ، 2004م).

" التغير الدلالي في المصطلح البلاغي عند الخطيب القزويني في الإيضاح "
دراسة في الدلالة والمصطلح " مصطلح الطباق نموذجًا "

د. أميمة علي طالب جمعة، كلية اللغات والترجمة، جامعة الزيتونة

المقدمة :

تعدُّ المصطلحات في أي علم من العلوم هي المفاتيح لذلك العلم ، فلا يستقيم التعرف على العلوم دون معرفة مصطلحاته ، وهو ما ذهب إليه أغلب العلماء ، حتى أن بعضهم من سمّى مؤلفه (مفاتيح العلوم) وهو الخوارزمي (ت: 387هـ) فتناول فيه ذكر مصطلحات من علوم مختلفة وقال في مقدمته :" وسميت هذا الكتاب مفاتيح العلوم إذا كان مدخلا إليها ، ومفتاحاً لأكثرها ، فمن قرأه وحفظ ما فيه ، ونظر في كتب الحكمة هدّها هدًّا ، وأحاط بها علمًا ، وإن لم يكن زاولها ، ولا جالس أهلها " .(الخوارزمي 1979،ص15) .

وقد وضع بعض العلماء من أهل الاختصاص مناهج للدراسة المصطلحية يجب أن تتبع حتى تكون في الصورة المطلوبة ، وفصّلوا القول فيها فبها يتم تتبع المصطلحات في متن ما ، ووصفها ، ورصد التطور الدلالي لمصطلح ما وتاريخه، وبذلك يتم بيان مفاهيم المصطلحات البوشيخي ،(2004م، ص :17).

وستتم في هذا البحث دراسة مصطلح " الطباق " في كتاب الإيضاح للخطيب القزويني ، حيث يتم التعريف بالمصطلح و صناعة المصطلح ، وشروط وسمات المصطلح العلمي ، ثم دراسة التغير الدلالي الذي أصاب لفظ المصطلح فنقله من مجال اللغة للاصطلاح، والتغير في مدلوله عند الخطيب القزويني ، و ذلك من خلال تتبع عدّة أمور: أولاً تعريف المصطلح في اللغة وذلك من خلال معاجم اللغة نحو: معجم المقاييس لابن فارس (ت: .395هـ) لأنه يذكر أصول المواد اللغوية ، ومعجم لسان العرب لابن منظور الإفريقي (ت:711ه) وذلك لوفرة مادته، وذلك في محاولة للربط بين المفهوم الاصطلاحي والمعنى المعجمي للكلمة المصطلح ، ثانيًا : تعريف المصطلح عند القزويني في الإيضاح مع ذكر أمثلة له ، ثالثًا : تتبع المصطلح عند من تقدّم على القزويني وأشار للمصطلح واستخدمه بمفهومه عند القزويني أو بمفهوم آخر وكذلك محاولة تتبعه عند من جاء بعد القزويني ، رابعًا : دراسة التغير الدلالي الذي طرأ على لفظ المصطلح أو مفهومه ، حيث إنَّ دراسة التغير الدلالي للمصطلحات تعدُّ من الدراسات الحديثة والمهمة في علم المصطلح الذي هو أحد أفرع علم اللغة التطبيقي ، ولاسيما إذا ما تعلَّقت هذه الدراسة بالمصطلح التراثي ، وكما أشار د. أحمد مطلوب في مقدمة معجمه في المصطلحات البلاغية :" أول خطوة إلى التراث البلاغي دراسة مصطلحاته وتطورها و إبرازها بثوبها العربي الأصيل " . (مطلوب ،1983 ، ص:5).

المبحث الأول : المصطلح العلمي تعريفه وشروطه :

أولاً: تعريف المصطلح :

المصطلح أو الاصطلاح كما عرَّفه الشريف الجرجاني هو : " اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى " وقيل الاصطلاح " إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما". (الجرجاني 1991، ص : 27) .

وقال التهاوني :" الاصطلاح هو العرف الخاص ، وهو عبارة عن اتفاق القوم علي تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينها كالعموم والخصوص أو لمشاركتهما في أمر أو مشابهتهما في وصف أوغيرها" (التهاوني ، 1963 ،212/1) ، والاصطلاح عند الشهابي هو: " لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية "و :" الاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية " وقال أيضًا :" والمصطلحات لا توجد ارتجالاً ولابدَّ في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي" . (الشهابي ،1955 ،ص2). .

في حين يذهب علي القاسمي إلى القول بأن :" المصطلح كل وحدة (لغوية) دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) او كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمي مفهوماً محددا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما ". (القاسمي ، 1985،ص 215).

ثانيًا : شروط وسمات المصطلح العلمي :

ليس كل كلمة تعد مصطلحًا علميًّا فقد حدّد العلماء شروطًا لقبول اللفظ كمصطلح علمي ، تقاربت تلك الشروط بشكل واضح في مضمونها ، من ذلك ما ذكره الدكتور تمّام حسان في شروط المصطلح العلمي وهي:

1. أن هذا الاصطلاح المستعمل لا يدل إلا على مدلول واحد.
2. أن دلالته عليه إنما هي بطريق الحقيقة العرفية لا المجاز وأن هذا عرف خاص.
3. أن هذه الدلالة جامعة مانعة لا تحتمل التوسع أو الحصر على نحو ما يحدث أحيانًا في المفردات والأساليب غير العلمية. أي أن الدلالة لابد أن تحدد قبل الاستعمال.
4. أن يكون لفظ الاصطلاح مختصرًا حتى يسهل تداوله.
5. أن يكون منسجمًا قدر الطاقة مع طرق صياغة الكلمات في اللغة التي يستخدم فيها.

تلك هي الشروط التي يجب أن تتوافر في استخدام الاصطلاح الفني . ولقد رأينا العرب في تحقيقهم للشرط الأول من هذه الشروط ينصُّون على المعنى الاصطلاحي الوحيد الذي يستخدم فيه ، ويشيرون إلى المعنى اللغوي الذي لا يقصد من الاصطلاح ، إذا كان الاصطلاح قد خصصت دلالته الاصطلاحية بعد أن كان مستعملا في فسحة الاستعمال اللغوي العام . فهم يقولون مثلا الصلاة لغة الدعاء واصطلاحا أقوال وأفعال مخصوصة. (حسان ، 2000، ص163)

المبحث الثاني : التغير الدلالي في مصطلح الطباق عند القزويني :

تعدُّ دلالة المصطلحات من القضايا الأساسية للبحث في المصطلحات العربية ، حيث ذكر اللغويون العرب طرائق للتغير الدلالي عن طريق التضييق أو التوسيع أو المجاز ، وتضم النصوص العربية المتخصصة مصطلحات كثيرة اختلفت دلالاتها فيها عن دلالاتها في اللغة العامة .(حجازي ، د:ت ، ص:31)

ودراسة التغير الدلالي في المصطلح العلمي عند مؤلف بعينه تتخذ أبعادًا جديدة فهي لا تختص بدراسة التغير الذي نقل الكلمة من اللغة إلى الاصطلاح فقط ، بل تشتمل على دراسة التغير الدلالي الذي طرأ على المصطلح في رحلة استخدامه في ذلك المجال عند أهل الإختصاص ، فقد يتفقون في مفهوم

المصطلح، وقد يتغير مفهومه عند بعضهم حسب ما تقتضي نزعاته الفكرية وسياق استعماله له ، وأشار د. عبد الحكيم راضي إلى أن دراسة المصطلح البلاغي وما طرأ عليه من تغير تكتنفها عدة صعوبات ، ومصطلحات الدراسة الأدبية عمومًا عُرضةٌ دائمًا وبدرجة أكبر من غيرها ، لصور واسعة من التغيُّر على مستوى الدلالة ، ويشير أيضًا إلى التغير الدلالي الذي يصيب المصطلحات الأدبية بشكل عام ، فقد تحدّث عن التغير الدلالي الذي يصيب لفظ المصطلح أو مفهومه فينقله من مجال مستعمل فيه إلى آخر أو إلى مفهوم آخر و بين أسباب ذلك سواء كانت راجعة لأثر البيئة أو إلى الأصل اللغوي للكلمة . (راضي ، 2006 ، ص:115)

وقد تناول علماء اللغة ظاهرة التغير الدلالي في مدلول الكلمات في العربية وتوسعوا في الحديث عن مفهومه وأسبابه ومظاهره وغير ذلك ، لكن التغير الدلالي في المصطلحات يتخذ مسارًا يختلف عن التغير الذي يصيب باقي مفردات اللغة ، فهو لا يتمّ كما تتغير عادة الكلمات على نحو شعوري ، وإنما يتم بشكل مقصود ويقوم به المهرة في صناعة الكلام ،وذلك ما أشار إليه د. راضي حيث قال:" وفي تقديرنا أن التغير في مدلول المصطلح النقدي يدخل في المسلك الأخير ، أعني التغير الذي يتم عن قصْد بواسطة أفراد واعين تمامًا بما يستخدمون من كلمات ، وما يحمّلونها من معاني " . كما أشار الدكتور عبد الحكيم راضي إلى أن التغير في المصطلح البلاغي أو النقدي سار في اتجاهين ، تغير في المدلول وتغير في الدّال، وأعراض هذا التغير في المدلول سارت في اتجاهين : الأول : التعدد في المدلول وذلك عندما يتخذ المصطلح الواحد أكثر من معنى ، الثاني : ضيق المدلول واتساعه ، وذلك عندما يفقد المصطلح جزءا من مدلوله فيوصف بالضيق ،أو عندما يضاف إلى مدلوله الأصلي جانب آخر فيوصف بالاتساع . وقد تناول بالدراسة نموذجًا لكل تغير منها ، ثم أشار إلى التعدد في الدال أو المصطلح وذكر أن ذلك ممّا يرجو أن يتعرض له في دراسات لاحقة (راضي ، 2006 ، ص:118) ، كما أن المصطلح في حالة تركيبه يكتسب مزيد تخصيص بالإضافة :" التخصيص هو إكساب شيء مجموعة من الصفات والخصائص التي تجعله أكثر تحديدًا عنه قبل التخصيص مما يساهم في توضيح مفهومه وتحديد معناه وتضييق دلالته ... ولا يكون التخصيص إلا بالوصف أو الإضافة أو الإشارة .(الشريف ، د:ت ، ص :145).

وفيما يتعلق بدراسة التغير الدلالي ، فهو قد يصيب دلالة المصطلح من حيث استعماله عند الخطيب القزويني وعند غيره من البلاغيين ، وما حدث فيه من تضييق أو توسيع في دلالته ، أمَّا النوع الثاني من التغير فهو يتعلق بلفظ المصطلح " الدَّال " ، وكيف انتقل من مجال اللغة لمجال الاصطلاح البلاغي .

أولاً : مصطلح " الطباق " :

تنوَّعت المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على هذا النوع البلاغي ، ما بين طباق ومطابقة وتطبيق وتضاد وتكافؤ وبديع وهو ما أشار إليه المدني (ت: 1120هـ)، والتضاد أو المطابقة عند القزويني هي الجمع بين المتضادَّيْنِ ، أي معنيين متقابلين في الجملة ، وهو يكون عنده ظاهرًا أو خفيًّا ، وهو عنده طباق إيجاب ، وطباق سلب ، ومثَّل لكل نوع بمثال يليق به ، وأشار إلى أنه يلحق به ما يُسمّى بإيهام التضَّاد ، و يبدو أنَّ القزويني يميل لاستعمال مصطلح التّضاد أكثر من الطِّباق والمطابقة ، لذا سمّى ما حدث فيه توهُّم بـ (إيهام التَّضاد) ، وتبعه في ذلك من جاء بعده وفيما يلي بيان ذلك .(القزويني ، ص:383ومابعدها 1996م).

ـ التَّضاد بين القزويني والبلاغيين المتقدمين عنه والمتأخرين :

التضاد عند القزويني من البديع المعنوي ، وهو عنده المطابقة ، والطِّباق ، والتّضاد ، قال فيه :"... **والتَّضَادّ** أيضًا، وهي : الجمع بين المتضادَّيْنِ ، أي معنيين متقابلين في الجملة ، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد اسمين : كقوله تعالى :(وتحسبهم أيقاظاً وهم رَقُود) (الكهف الآية :18) ، أو فعلين كقوله تعالى : (تُؤْتِي الملكَ من تشاْءُ وتنزعُ الملكَ ممن تشاء وتعزُّ من تشاءُ وتذلُّ من تشاءُ) (آل عمران الآية : 26)، أو حرفين كقوله تعالى:(لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (البقرة: الآية : 286)، وإما بلفظين من نوعين كقوله تعالى: (أوَمنْ كانَ ميْتاً فأحْيَيْنَاه) (الأنعام الآية : 122)، أي: ضالاً فهديناه ، والطِّباق قد يكون ظاهراً كما ذكرنا، وقد يكون خَفِيًّا نوع خفاء كقوله تعالى:(مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا) (نوح الآية : 25) ، طابق بين " أغرقوا"و "أدخلوا ناراً " ، والطِّباق ينقسم إلى : طباق الإيجاب كما تقدم ، وإلى طباق السَّلْبِ ، وهو الجمع بين فِعْلِيْ مصدر واحد مُثْبَتٍ ومَنْفِيّ ، أو أَمْرٍ ونَهْيٍ ، وقوله تعالى : (فَلا تَخْشَوا النّاسَ و اخْشَوْنِ) (المائدة الآية: 44) ، ويلحق بالطِّباق شيئان: أحدهما : نحو قوله تعالى :(أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح الآية: 29) ، فإن الرحمة مُسبَّبة عن اللين الذي هو ضد الشِّدة ، والثاني : ما يُسمَّى إيهام التضاد" ـ (القزويني ، ص:383ومابعدها 1996م).

أما السكاكي (ت:626هـ) فقد استعمل مصطلح المطابقة ، ولم يذكر باقي المصطلحات المرادفة لها، فقال :" المطابقة هي أن تجمع بين متضادين " (السكاكي ،1987 م ، ص:423)، وقد ذكر المدني من المتأخرين المصطلحات التي أطلقها العلماء على المطابقة وبيّن الأنسب منها ، فقال:" الطِّباق ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ هو الجمع بين معنيين متضادين ، لأي معنيين متقابلين في الجملة ، قالوا : ولا مناسبة بين معنى المطابقة لغة ومعناها اصطلاحاً ، فإنها في اللغة الموافقة ، يقال ، طابقت بين الشيئين : إذا جعلت أحدهما على حذو الآخر ، وطابق الفرس في جريه : إذا وضع رجليه مكان يديه ، و الجمع بين الضدين ليس موافقة " ثم قال فيما يتعلّق بوجود علاقة بين المعنى المعجمي والاصطلاحي للمطابقة :" وكأن ابن الأثير ظهر له وجه المناسبة فيما بعد فقال في كفاية الطالب : المطابقة هي عند الجمهور الجمع بين المعنى وضده ، ومعناها أن يأتلف في اللفظ ما يضاد في المعنى ، وكأن كل واحد منهما وافق الكلام فسمي طباقا "(المدني ، ج/ 2 ، ص:31).

ممَّا تقدَّم نلحظ استعمال القزويني لمصطلح المطابقة وإشارته لباقي المصطلحات المرادفة لها، وقد تنوَّعت المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على هذا النوع البلاغي ، ما بين طباق ومطابقة وتطبيق وتضاد وتكافؤ وبديع وهو ما أشار إليه المدني ، والتضاد أو المطابقة عند القزويني هي الجمع بين المتضادَّيْنِ ، أي معنيين متقابلين في الجملة ، وهو يكون عنده ظاهرًا أو خفيًّا ، وهو عنده طباق إيجاب ، وطباق سلب ، ومثَّل لكل نوع بمثال يليق به ،وأشار إلى أنه يلحق به ما يُسمّى بإيهام التضَّاد .

ـ ثانيًا : التغير الدلالي في مدلول مصطلح " التضاد " :

1ـ مصطلحات حدث فيها تغير باتساع المدلول عند القزويني :

ويحدث ذلك عندما يكتسب مدلول المصطلح عند القزويني مزيد دلالة ومن تلك المصطلحات التي حدث فيها اتساع من مصطلحات التضاد ما يلي :

ـ (التَّضَاد):

كما تقدّم يعد مصطلح التضاد مرادفًا للطباق والمطابقة ، فهو من المصطلحات التي ذكرها المتقدمون وأشاروا إليها حيث نقل ابن رشيق كلامًا للخليل والأصمعي في الطباق أو المطابقة ، (ابن رشيق ، ج 2 ، ص:5) ، وأشار ابن المعتز ،ت:296هـ لذلك أيضًا واستعمل مصطلح المطابقة ، طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذوٍ واحدٍ ، مثل المطابقة بين السعة والضيق، (ابن المعتز ، ص: 36)، وتغيّر لفظ المصطلح عند (قدامة ،ت:337هـ) فسمّاه التكافؤ وتوسّع فيه ، أما مصطلح المطابق فقد أراد به التجنيس ، وجاء بأمثلة للتكافؤ هي أمثلة للطباق عند غيره ، فقال :" ومن نعوت المعاني التكافؤ وهو أن يصف الشاعر شيئًا أو يذمه ويتكلم فيه ، أي معنى كان ، فيأتي بمعنيين متكافئين ، والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع أي متقابلين إما من جهة المصادرة أو السلب أو الإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل "، أما المطابق عنده فهو :" ما يشترك في لفظة واحدة بعينها " (قدامة بن جعفر ، ص:147 ، 162) ، أما السكاكي ،ت:626هـ فقد ضيّق في مدلول الطباق ، وقد استعمل مصطلح المطابقة، فهي عنده مجرد الجمع بين متضادين ولم يذكر لها أقسامًا السكاكي ، (السكاكي ،ص :423)، ومصطلح المطابقة عند ابن الأثير ت:637ه مرادف لمصطلح البديع ، وهي عنده من التناسب بين المعاني ، ورأى أنَّ تسميته بالمقابلة أليق ، وتوسّع فيه فيكون عنده من وجهين ، إما أن يقابل الشيء بضده ، أو يقابل بما ليس بضدّه ، وليس لنا وجه ثالث ، فأما الأول وهو مقابلة الشي بضدّه كالسواد والبياض وما جرى مجراهما فإنه ينقسم قسمين : أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى ، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ (ابن الأثير ، ج / 3:143وما بعدها) ، وفرّق المصري (ت:654هـ) بين المصطلحات فجعل كلاًّ من الطباق والتكافؤ مصطلحات للمطابقة ، فبعد أن عرّفه وأشار إلى ما ذكره فيه ابن الأثير ، ذكر أقسامه وتوسّع فيه ، فهو على ضربين : ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة ، وضرب يأتي بألفاظ المجاز ، فما كان منه بلفظ الحقيقة سمِّي طباقًا ، وما كان بلفظ المجاز سمِّي تكافؤًا ، والذي بألفاظ الحقيقة على ثلاثة أقسام : طباق الإيجاب ، وطباق السلب وطباق الترديد (المصري ، ص: 111 وما بعدها) ، واستعمل ابن مالك (ت: 686هـ) مصطلح المطابقة ، ولم يذكر مصطلح التضادّ ، وضيّق فيها عن المصري قبله ، فهي عنده أن يجمع في الكلام بين المتضادين ، وهي ثلاثة أضرب : الأول : ما لفظاه على الحقيقة : وينقسم إلى طباق الإيجاب ، وإلى طباق السلب ، الثاني : ما لفظاه مجازان ، الضرب الثالث : ما كان أحد لفظيه حقيقة والآخر مجازًا : (ابن مالك ، ص :191)، واستعمل الحلبي (ت:725هـ) مصطلح الطباق والمطابقة على سواء، وأشار لباقي مصطلحات هذا النوع، وهي : التضاد ، والتكافؤ ، وضيّق فيه فهو عنده أن يجمع بين ضدين مختلفين كالإيراد والإصدار والليل والنهار والسواد والبياض ، ولم يذكر له أنواعًا أو تقسيماتٍ: (الحلبي ، ص: 67)، أما القزويني فقد استعمل مصطلح المطابقة وأشار لمصطلح الطباق والتَّضاد أما باقي المصطلحات فلم يذكرها ، وقد تبع السكاكي في كون الطباق من البديع المعنوي ، أما مدلول المصطلح فلم يتغيَّر عنده بشكل عام وإنما اكتسب مزيد توسّع ؛ فهو عنده الجمع بين المتضادَّيْنِ ، أي معنيين متقابلين في الجملة ، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد اسمين ، أو فعلين ، أو حرفين، وإما بلفظين من نوعين ، وذكر أنَّ منه ما كان ظاهرًا أو خفيًّا ، وكونه ينقسم إلى طباق إيجاب وطباق سلب ، وإلى ما يلحق به كإيهام التضاد ، ولم يذكر القزويني خلاف العلماء في إطلاق مصطلح المطابقة على هذا النوع البديعي:

(القزويني، ص: 383ومابعدها)، وهو عند العلوي(ت:749هـ) من علم البديع ، وأشار إلى اختلاف العلماء في بعض مصطلحاته وجاء مدلوله عنده مُضيّقًا فلم يذكر له أقسامًا كما فعل من سبقه ، فهو عنده أن يؤتى بالشيء و بضدّه في الكلام فقط :(العلوي، ج/2:377) ، ولم يتغيّر مدلوله عند المدني فهو الجمع بين معنيين متضادين، لأي معنيين متقابلين في الجملة ، و أشار لاختلاف العلماء في استعمال مصطلح المطابقة ومدي علاقة المدلول الاصطلاحي بمعنى طابق في اللغة ، فقال :" الطِّباق ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ هو الجمع بين معنيين متضادين ، لأي معنيين متقابلين في الجملة ، قالوا : ولا مناسبة بين معنى المطابقة لغة ومعناها اصطلاحاً ، فإنها في اللغة الموافقة، يقال ، طابقت بين الشيئين : إذا جعلت أحدهما على حذو الآخر ، وطابق الفرس في جريه : إذا وضع رجليه مكان يديه ، و الجمع بين الضدين ليس موافقة " ثم قال فيما يتعلّق بوجود علاقة بين المعنى المعجمي والاصطلاحي للمطابقة :" وكأن ابن الأثير ظهر له وجه المناسبة فيما بعد فقال في كفاية الطالب: المطابقة هي عند الجمهور الجمع بين المعنى وضده ، ومعناها أن يأتلف في اللفظ ما يضاد في المعنى ، وكأن كل واحد منهما وافق الكلام فسمي طباقا " (المدني ج/2:31)، ويمكن القول بأنّ دلالة طابق في اللغة تدلّ على الموافقة بين شيئين بالإيجاب ، فكأنه تُوسِّع في هذه الدلالة فأصبح يُطلق على المتوافقين بالتضاد مصطلح المطابقة .

ـ (الطِّبَاق) :

يُعدّ مصطلح الطباق من المصطلحات المترادفة عند القزويني ، فهو مرادف للتضاد وللمطابقة :(القزويني، ص: 383)، وقد تقدَّم ذكر آراء البلاغيين ومن ضمنهم القزويني فيما يتعلَّق بمصطلح الطِّباق في مصطلح التضاد ، حيث حدث توسّع دلالي في مدلول المصطلح عند القزويني ، كما تقدّم ذكر رأي بعض العلماء من عدم مناسبة معنى مصطلح المطابقة أو الطباق لغة لمعناه في الاصطلاح وهو ما لم يذكره القزويني .

ـ (المُطَابَقَة) :

هي التّضادّ ، والطِّباق: (القزويني، ص: 383) ، وقد تقدّم بيان آراء العلماء فيها وما حدث فيها من تغيّر دلالي ، وفيما يتعلّق بالتغير الدلالي عند القزويني في هذا المصطلح فقد حدث فيه توسّع دلالي كما تقدَّم.

ـ (طِبَاق السَّلْب):

اشترط قدامة (ت:337هـ) في الطباق أو ما سمّاه (التكافؤ) أن يكون من جهة المصادرة أو السلب أو الإيجاب ، فذكر السلب دون أن يتوسّع فيه : (قدامة بن جعفر، ص:147 وما بعدها)، واستعمل المصري (ت: 654هـ) مصطلح طباق السلب وهو عنده أحد أقسام الطباق الثلاثة ، وتوسّع فيه فجعل طباق السلب فيما كان موجبًا أو منفيًّا، وهو من الطباق بألفاظ الحقيقة ، وتكون فيه الجملتان أو الكلمتان إحداهما موجبة والأخرى منفيّة ، أو منفيَّتان : (المصري ، ص :112ـ 114) ، أمّا في كتابه بديع القرآن فقد توسّع فيه أكثر فذكر إلى جانب النفي والإثبات ، ما كان من الأمر أو النهي أيضًا (المصري ، ص :116) ، وطباق السلب أحد أقسام الطباق الحقيقي عند ابن مالك (ت:686هـ) ، وضيّق فيه حيث لم يذكر منه ما كان في الأمر والنهي ، وإن لم يذكر حدَّه حيث يتّضح من الأمثلة التي مثَّل بها أنّه أراد به ما كان من الإيجاب والنفي: (ابن مالك ، ص :191 وما بعدها)، و لم يتغيَّر لفظ المصطلح عند القزويني عن غيره من العلماء وإن اختلف تقسيمه للطباق عنهم ، أمَّا مدلول المصطلح فقد اكتسب عنده مزيد توسّع عن غيره ، فهو يكون عنده في الإيجاب والنفي والأمر والنهي ، ويكون بالجمع بين فعلي مصدر واحد: (القزويني ، ص : 385)، ولم يتغيّر مدلول المصطلح عند السيوطي(ت:911هـ) ، وإن اختلف تقسيمه للطباق عن غيره من العلماء : (السيوطي ،

ج /1:314)، وفي شرح عقود الجنان أشار إلى أن المراد بالسلب عنده في الطباق النفي ، فضيَّق بذلك في مدلوله : (السيوطي، ص :105) ، ولم يتغيَّر لفظ المصطلح ومدلوله عند المدني (ت:1120هـ) عن القزويني قبله: (المدني ، ج/ 2: 33 ـ42).

ـ (طِبَاق الإِيجَاب) :

استعمل قدامة (ت:337هـ) مصطلح التكافؤ و مُراده به مدلول التضاد عند غيره ، وذكر أنّه يكون من جهة الإيجاب دون أن يتوسّع فيه : (قدامة ،ص:147ـ162)، أما السكاكي (ت:626هـ) فقد استعمل مصطلح المطابقة ، دون أن يفصّل في ذكر أنواعها : (السكاكي ، ص:423)، وكذلك ابن الأثير (ت:637هـ) لم يذكر تقسيم الطباق إلى سلب وإيجاب : (ابن الأثير ، ج / 3:143وما بعدها) ، وطباق الإيجاب عند المصري (ت:654هـ) من أنواع الطباق الذي يأتي بألفاظ الحقيقة ومن أمثلته يتَّضح أنّ طباق الإيجاب هو الجمع بين الكلمة وضدّها ولم يتوسّع فيه: (المصري ،ص: 111 وما بعدها)، وطباق الإيجاب هو أحد أقسام المطابقة باعتبار ما لفظاه حقيقتان عند ابن مالك : (ابن مالك ، ص:191) ، أمَّا القزويني فلم يختلف عن غيره في أمثلة طباق الإيجاب وإن اختلف تقسيمه لأنواع الطباق عن غيره ، واكتسب مدلول مصطلح طباق الإيجاب عنده مزيد توسّع ، حيث فصّل القول فيما يكون فيه هذا النوع من الطباق فذكر أنَّه يكون إما بلفظين من نوع واحد : اسمين أو فعلين أو حرفين وإما بلفظين من نوعين ، ومنه ظاهرٌ وخفيٌّ : (القزويني ، ص:385).

2ـ مصطلحات من وضع القزويني :

ـ (إِيهَامَ التَّضَادِّ):

كما تقدّم في مصطلح التَّضاد ، فالتَّضاد والطِّباق والمطابقة مصطلحات مترادفة عند القزويني وعند غيره من العلماء ، و يبدو أنَّ القزويني يميل لاستعمال مصطلح التّضاد أكثر من الطِّباق والمطابقة ، لذا سمّى ما حدث فيه توهُّم بـ (إيهام التَّضاد) ، وتبعه في ذلك من جاء بعده ، بذلك يكون مصطلح إيهام التَّضاد من مصطلحات القزويني ، ولم يذكر القزويني لهذا المصطلح تعريفاً أو حدًّا ، واكتفى بمجرّد التمثيل له فقط ، ويمكن القول بأنّه هو : أن يذكر المتكلم ألفاظًا معانيها الظاهرة توهم التَّضاد ومُراده بها غير تلك المعاني الظاهرة ، وذهب السّبكي (ت:737هـ) من شرَّاح التلخيص مذهب القزويني في لفظ المصطلح ومدلوله ، فقال :" القسم الثاني الملحق بالطباق ويسمَّى إيهام التضاد كقول دعبل:

لا تعجبي يَا سلمُ من رجلٍ ضَحِكَ المَشِيْبُ برأسِهِ ؛ فَبَكَى

فظهور الشيب لا يقابل البكاء إلا أنه قد عبر عنه بالضحك الذي معناه الحقيقي مقابل البكاء ويُسمَّى الثاني إيهام التضاد لأن المعنيين قد ذُكرا بلفظين يُوهمان التضاد نظرًا إلى الظاهر" : (السبكي ،ج/4:295). وتغيّر لفظ المصطلح عند الحموي (ت:837هـ) فسمَّاه :" إيهام المطابقة" : (الحموي ، ج/1 : 159)، وهو إيهام الطباق عند المدني (ت:1120هـ) فقال :" ومثال إيهام الطباق قول دعبل:

لا تعجبي يَا سلمُ من رجلٍ ضَحِكَ المَشِيْبُ برأسِهِ ؛فَبَكَى

فضحك المشيب هنا عبارة عن ظهوره ظهورًا تاما ، ولا تقابل بين البكي وظهور المشيب ، لكنه عبر عنه بالضحك الذي يكون معناه الحقيقي مضاد لمعنى البكاء" :(المدني ،ج / 2:38).

بذلك يكون مصطلح إيهام التَّضاد من مصطلحات القزويني ، ولم يرد هذا المصطلح عند غيره ممّن سبقه ، وتبعه في ذلك من جاء بعده ، في حين استعمل بعضهم مصطلح (إيهام الطِّباق) ، و(إيهام المطابقة).

ثالثًا : التغير الدلالي في الدّال لفظ المصطلح :

تعدّ دراسة التغير الدلالي للألفاظ من الدراسات الحديثة التي تصب في صميم علم المصطلح ، الذي هو فرع من فروع علم اللغة التطبيقي ، فهي تبحث في العلاقة التي نقلت اللفظ من مجال اللغة إلى مجال الاصطلاح ، والمناسبة بين معناها اللغوي ودلالته الاصطلاحية الجديدة ، والتي لا تخرج غالبًا عن التطور بطريق المجاز أو الاستعارة ، أو العموم والخصوص .

ـ (الطِّبَاق ، المطابقة):

جاء في مادة (طبق) :الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يُغَطّيه ، من ذلك الطبق ، وطابقت بين الشيئين ، إذا جعلتهما على حذو واحد ، في اللسان:المُطابقة :المُوافَقة ، والمطابقة : أن يضع الفرس رجله في موضع يده: (ابن فارس، ج/ 439:3)، و (ابن منظور : **مادة :** طبق).

أشار بعض البلاغيين إلى عدم وجود مناسبة بين معنى الطباق في اللغة ومدلوله الاصطلاحي فالطباق في اللغة الموافقة ، والجمع بين الأضداد ليس موافقة ، وذهب ابن أبي الحديد إلى إيجاد صلة بين المعنى اللغوي للطباق ومدلوله الاصطلاحي ، فقال : الطبَق بالتحريك في اللغة هو : المشقة ، فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة شاقًّا بل متعذّرًا ، ومن عادتهم أن تُعْطَى الألفاظ حكم الحقائق في أنفسها توسعًا ، سمُّوا كل كلام جُمِع فيه بين الضّدين مطابقة وطباقًا : (المدني ، ج /32:2)، ويُمْكِن القول بأنَّ التغيّر الدلالي في لفظ الطباق حدث على النحو التالي: تدلّ مادّة " طَبَقَ" في اللغة على التوافق ، وتطابقا الشيئان : تساويا ، من ثمَّ استعير الطباق مصطلحًا لهذا المدلول لعلاقة المشابهة ، فكأن كلا من الكلمتين طابقت الأخرى ووقعت موقعها كما يقع الفرس رجله موضع يده فطابقتا في صفة الضدية .

ـ (طِبَاق السَّلْب) :

السَّلب : تدلّ مادّة (سَلَبَ) في اللغة على أخذ الشيء بخفَّة واختطاف ، فالسلب هو التقشير أي إزالة القشر:(ابن فارس ،ج/ 92:3)، و(ابن منظور، مادة :سلب)، من ثمَّ استعير لفظ السَّلب من اللغة للاصطلاح لعلاقة المشابهة ، فكأنَّه سُلِبَ وأُزيل عن هذا النوع من الطباق الإيجاب والقبول وأُثبِت له العكس بالجمع بين مثبت ومنفي، واكتسب لفظ الطباق مزيد تخصيص بإضافته للفظ السَّلب .

ـ (طِبَاق الإِيجَاب):

الإِيجَاب: تدلّ مادّة(وَجَبَ) في اللغة على الثبات واللُّزوم ، وجب الشيء لزم : (ابن فارس ، ج/89:6) ، وابن منظور ، (مادة : وجب)، من ثمَّ استعير لفظ الإيجاب مصطلحًا لهذا المدلول لعلاقة المشابهة ، فكأنَّ هذا الطباق وقع ولزم ووجب بمجرد الجمع بين الضدين من غير نفي أو شبهه ، وهو الطباق عند الإطلاق ، واكتسب لفظ الطباق مزيد تخصيص بإضافته للفظ الإيجاب .

ـ (التَّضاد) :

جاء في مادّة (ضدد) :الضاد والدال كلمتان متباينتان في القياس ، فالأولى :الضد ضِدّ الشيء ، والمتضادان الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد كالليل والنهار ، وفي اللسان :الضِّد كل شيء ضادَّ شيئًا ليغلبه ، والسواد ضدّ البياض ، والموت ضدّ الحياة . و ضدّ الشيء : خلافه ، وقد ضادّه وهما متضادّان : (ابن فارس ، ج/ 360:3)، و(ابن منظور ، مادة : ضدد)، انتقل لفظ التضاد من دلالته اللغوية على الضدية للدلالة على نوع معين من ألوان البديع المعنوي بطريق المجاز بالانتقال من الدلالة على المحسوسات للدلالة على مصطلح بلاغي وهي دلالة اصطلاحية مجردة .

الخاتمة

توصلت الباحثة لمجموعة من النائج تمثَّلت فيما يلي :

1ـ لم يختلف القزويني عن غيره من البلاغيين في إشارته للمسميّات المتعددة لهذا النوع البلاغي كما تقدّم في البحث ، مابين : طباق ، مطابقة ، تضاد ، إلاّ أنه لم يذكرمصطلح التكافؤ الذي استعمله قدامة ، أو مصطلح الطباق بمعنى التجنيس وهو أيضًا ما أشار إليه قدامة.

2ـ اختار القزويني من بين تلك المصطلحات المختلفة مصطلحات : الطباق والمطابقة والتضاد ، وهي الأقرب والأنسب لمفهوم المصطلح .

3ـ توسّع القزويني عن غيره من البلاغيين في ذكر أنواع هذا اللون البديعي ، وفيما يكون وكيف يكون .

4ـ لم يتحدث القزويني عن العلاقة بين المعنى اللغوي للفظ الطباق ومدلوله الاصطلاحي ، في حين أشار إليه المدني وهو متأخر عن القزويني .

5ـ نلاحظ أنَّ القزويني كان له فضل السبق في وضع مصطلح إيهام التضاد ؛ إلا أنّه اكتفى بالتمثيل له دون ذكر حد صريح له ، ومن جاء بعده تبعه في ذلك .

6ـ ممَّا تقدّم يمكن القول بأن التَّ القزويني قد حدّد ثلاث مصطلحات لهذا النوع البديعي وهي: الطباق ، التضاد ، المطابقة ، وهذا تضييق للدّال لفظ المصطلح ، وهو ما تمليه علينا الدراسة المصطلحية ، وهو ضرورة توحيد المصطلحات والاكتفاء بمصطلح واحد ، والخروج من هذا التعدد الذي وقع فيه البلاغيون ، وليس في ذلك دعوة لإنكار الترادف لأن الترادف في مجال المصطلح العلمي عادة ما يكون من الترادف التام .

وترى الباحثة أنه من باب السعي لتوحيد المصطلحات من الأنسب اختيار مصطلح واحد من بين هذه المصطلحات الثلاث ، حيث وقع الاختيار على مصطلح التضاد ، فهو يناسب ذلك لما فيه من معنى الضدية ، أضف لذلك أنَّ القزويني استعمل مصطلح إيهام التضاد ، وفي هذا إشارة لكون مصطلح التضاد هو الأنسب لهذا اللون البديعي .

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم برواية قالون عن نافع .
1ـ أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تح : محمود محمد شاكر ، القاهرة : مطبعة المدني ، جدَّة : دار المدني ، د:ت .
2. الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، محمود فهمي حجازي ، د:ط ، مكتبة غريب ، القاهرة، د:ت .
3. أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني : تح: شاكر هادي ، ط: 1 ،العراق ، مطبعة النعمان ، 1968 م
4. الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين القزويني ، ط:1 ، تح :عبد القادر حسين ، القاهرة : مكتبة الآداب ،1996م
5. البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تح : أحمد أحمد بدوي ، حامد عبد المجيد ، سلسلة تراثنا ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، د:م ، د:ت .
6. تحرير التحبير في صناعة الشعر ، ابن أبي الإصبع المصري ، تح : حنفي محمد شرف ، د:م ، د: ن ، د:ت.
7. التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ، دار الرشاد، القاهرة ، 1991 .
8. جنان الجناس في علم البديع ، صلاح الدين الصفدي ، ط: 1، قسطنطينة: مطبعة الجوائب ، 129 ه.
9. جوهر الكنز، نجم الدين أحمد ابن الأثير الحلبي تح : محمد زغلول سلام ، الإسكندرية: منشأة المعارف ،2009 م.
10 . حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين أبي الثناء الحلبي ،:ط ، مصر : مطبعة أمين أفندي ، 1315 ه .
11 . خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين بن حجة الحموي ، تح : عصام شعيتو ، ط:1 ، بيروت : دار الهلال ، 1987م .
12. سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، ط:1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1982م .
13. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ، د: ط ، بيروت : دار الفكر د: ت .
14ـ شروح التلخيص ، سعد الدين التفتازاني ، د:ط ، بيروت : دار الكتب العلمية .
15 . الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري : د:ط ، د:تح ، الأستانة ، مطبعة محمود بك ،1319 ه
16 . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز ، يحي بن حمزة العلوي ، د:ت ، مصر: مطبعة المقطف ، 1914 م .
17 . علم البديع ، عبد الله ابن المعتز، ط:3 ، تح: إغناطيوس كراتشقوفسكي ، بيروت: دار المسيرة ،1982 م.
18 .العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني ، تح : محي الدين عبد الحميد، ط:5 ، بيروت : دار الجيل ،1981م .
19 . فن الجناس ، علي الجندي ، د: ط ، د:م ، دار الفكر العربي ، د:ت .
20. كشاف اصطلاحات الفنون ، التهاوني ، تح :لطفي عبد البديع ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1963 .
21. لسان العرب ، جمال الدين بن منظور الإفريقي ، د: ط ، بيروت : دار صادر ، د: ت .
22. اللغة العربية بين الوصفية والمعيارية ، تمام حسان ، ، ط:4 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2000.
23ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير: تح:أحمد الحوفي ،

بدوي طبانة ، د: ط، القاهرة : دار نهضة مصر ، د: ت .
24 . مختار الصحاح ، طبعة جديدة منقحة ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي القاهرة : دار الحديث ، 2004 م.
25. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ،1983 .
26. معجم مقاييس اللغة ، أحمد أبو الحسن ابن فارس ، تح : عبد السلام هارون، ط1، بيروت : دارالجيل،1991م.
27. المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين ابن مالك ، تح : حسني عبد الجليل يوسف ، القاهرة : مكتبة الآداب ، د:ت.
28. المصطلحات العلمية في اللغة العربية قديمًا وحديثًا ، مصطفى الشهابي ، د:ط ، دمشق ،1955.
29. مصطلح نقد الشعر عند الإحيائيين ، كتابات نقدية ، محمد مهدي الشريف ، د:ط ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، د:م ، د:ت .
30. مفاتيح العلوم ، الخوارزمي محمد بن يوسف ، تح: إبراهيم الأبياري ،ط: 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،1979.
31 . مفتاح العلوم ، أبي يعقوب يوسف السكاكي تح : نعيم زرزور ، ط:2 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1987 م .
32. مقدمة في علم المصطلح ، علي القاسمي ، بغداد ، 1985 .
33. من آفاق الفكر البلاغي ، عبد الحكيم راضي ، د: ط، مكتبة الآداب ، القاهرة،2006
34. نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، ط:1 ، تح : مفيد قميحة ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004 م.
35. نظرات في المصطلح والمنهج ، الشاهد ينظر ، ط: 3 ، المغرب ،2004م .

آراء الجُزولي من خلال شرح الرضي على الكافية

د. الصادق سالم حسن عبد الله، كلية العلوم الشرعية، جامعة طرابلس.

مقدمة:

إنّ لأقوال العلماء وآرائهم أهميّةً عظيمة في توضيح قواعد اللغة، وتكاد كتب اللغة لا تخلو من هذه الآراء، وبخاصة كتب النحو فهي تعجّ بالمسائل الخلافية بين النحاة، فلكلٍّ قوله، سواءٌ أكان هذا القول قوياً يعتمد على الشواهد الصحيحة أم شاذّاً.

وقد اختار الباحث علماً من أعلام النحاة ــ ألا وهو الجُزُولي ــ وذلك لجمع أقواله من كتاب شرح الرضي على الكافية.

وآراء الجزولي تتردّد في هذا الكتاب بكثرة، فهي مبثوثة في أغلب أبوابه، فكانت في أكثر من خمسة عشر باباً.

ويتمثل عمل الباحث في كتابة ترجمة موجزة لمؤلف الكتاب، وشارحه، وللجزولي والذي تعدّ أقواله عمدة البحث، ومن ثَمّ جمع هذه الآراء قويّها وضعيفها، والتعليق على بعضها بالتأييد أو بالردّ.

الكافية:

الكافية رسالة موجزة في علم النحو، من تأليف ابن الحاجب، جمع فيها مؤلفُها أبواب النحو وأهمّ مسائله.

وقد كان لها أثرٌ كبير في الساحة العلمية، حيث انبرى لها الكثير من العلماء شرحاً لمسائلها الخفية، وتوضيحاً لمُجملها.

ومن أبرز العلماء الذين اعتنوا بها العلامة المحقق رضيّ الدين محمد بن الحسن الأستراباذي. يقول محقق الكتاب يوسف حسن عمر عن هذا الشرح: ((والحق أن كتابه هذا [شرح الرضيّ] جاء مرجعاً علمياً جليل القدر عظيم الفائدة في هذا العلم...

وامتاز الرضيّ في شرحه هذا باستقلال الرأي، وحرية الفكر، فلم يتحيّز ولم يتعصّب لمذهب معين لأحد ممن سبقوه)) (الرضيّ، 1996، 7/1)

وقد ذكر الشارح أقوالاً كثيرة لعلماء العربية، من بينهم صاحبنا (الجُزولي)، الذي اخترته لتكون آراؤه المبثوثة في هذا الشرح هي موضوع البحث، وكلّ الحديث يدور حولها.

مصنِّف الكافية ابن الحاجب:

عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل. ولد في أسْنا (من صعيد مصر)، ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية، وكان أبوه حاجباً فعُرف به، من تصانيفه:

ــ (الكافية في النحو).

ــ (الشافية في الصرف).

ــ (المقصد الجليل) قصيدة في العَروض.

وله مؤلفات أخرى في الفقه، وأصوله، والعربية. (ت 646ه) (يُنظر الزركلي، 2002، 24/4، وابن خلكان، 248/3).

شارح الكافية الرضيّ:

محمد بن الحسن الرضيّ الأستراباذي نجم الدين، عالم بالعربية، من أهل أستراباذ (من أعمال طبرستان)، اشتُهر بكتابيه: (الوافية في شرح الكافية، لابن الحاجب) في النحو، وهو كتاب بحثنا في آراء الجزولي، وشرح مقدّمة ابن الحاجب، وهي المسمّاة بالشافية في علم الصرف. (ت 686ه) (يُنظر الزركلي، 2002، 86/6).

ترجمة الجزولي :

اسمه وكنيته ولقبه ومولده:

عيسى بن عبد العزيز بن يَلَلْبَخْت بن عيسى بن يوماريلي البربري المراكشي اليزدكتني، وكنيته أبو موسى، ولقبه الجزولي .ولد سنة (540ه). (ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1982، 497/21، ابن خلكان، 1977، 488/3، والزركلي، 2002، 24/4) (((وكزولة: قبيلة من البربر، تُعرّب فيقال: جُزُولة)) (الحموي، معجم البلدان، 1977، 462/4).

شيوخه:

أخذ الجزولي العربية وغيرها من العلوم عن عدد من العلماء منهم:(ينظر الذهبي، تاريخ الإسلام، 1990، 263/43)

1ــ أبو محمد بن برّي، ذكر بعض المتأخرين في تصنيفه أنه كان قد قرأ ((الجُمل)) للزجاجي عليه، وسأله عن مسائل على أبواب الكتاب، فأجابه ابن برّي عنها.

2ــ أبو محمد بن عبيد الله، سمع منه صحيح البخاري، وقد ذكر صاحب البُلغة أنه سمع الصحيح من ابن برّي (الفيروزآبادي، 1407ه، 51/1)، ويبدو من هذا القول أنّ أبا محمد بن عبيد الله هو نفسه ابن برّي، ولكن التراجم تذكر ابن بري عبد الله مُكبّراً وليس مصغّراً، وعليه فهما اثنان وليس واحداً.

3ــ أبو منصور ظافر المالكي، قرأ عليه مذهب مالك وأصوله بمصر.

تلاميذه: (ينظر الذهبي، تاريخ الإسلام، 1990، 265/43)

1ــ أبو علي الشلوبيني.

2ــ زين الدين يحيى بن معطي.

3ــ أبو عمر بن حوط الله، روى عنه بالإجازة.

نشأته ورحلته:

لم تذكر المصادر شيئاً عن نشأة الجزولي. وتكاد تُجمع المصادر التي ترجمت له على رحلته من بلاده المغرب إلى المشرق، وقد يمم نحو الحجاز فأدّى فريضة الحج، ثم عاد إلى مصر، وفيها التقى بشيخه ابن برّي (ينظر القفطي، 1986، 378/2) .

ومن المعلوم من جغرافية البلاد العربية أنّ المسافر المغربي إذا أراد أن يُشرّق برّاً فلا بُدّ له من المرور بالجزائر وتونس. وقد ذكر القفطي أنه اجتمع باللورقي الأندلسي فحدثه عن لقائه بالجزولي في تونس، وكان اللقاء في بيت الجزولي لسؤاله عن مسألة نحوية في مقدمته فأجابه عنها (379/2). وكان ذلك في أوائل سنة إحدى وستمائة. كما أشار الذهبي إلى أنه تصدّر للإفادة بالمَرِيَّة، وعمل بمدينة بجاية بالجزائر (ينظر تاريخ الإسلام، 1990، 264/43).

مكانته العلمية:

كان الجزولي عَلماً من كبار علماء العربية. قال عنه الذهبي: ((كان إماماً لا يُشقّ غُباره في العربية ولا يُجارَى مع جودة التفهيم وحُسن العبارة، وإليه انتهت الرياسة في علم النحو)) (تاريخ الإسلام، 1990، 43/286) .

ومع علوّ كعبه في علم النحو كان إماماً في القراءات، وهو ما أشار إليه ابن خلكان بأن صاحبنا الجزولي تولى الخطابة بجامع مراكش كما تصدّر فيه للإقراء (5/ 490).

دينه وخلقه:

كان الجزولي صاحب دين وخلق مُتوّجَين بعلم جمٍّ. قال ابن خلكان: ((بلغني أنه كان إذا سئل عنها [المقدّمة الجزولية]: هل هي من تصنيفك؟ قال: لا؛ لأنه كان متورّعاً، ولما كانت من نتائج خواطر الجماعة عند البحث، ومن كلام شيخه ابن بري لم يسعه أن يقول: هي من تصنيفي، وإن كانت منسوبة إليه؛ لأنه هو الذي انفرد بترتيبها)) (3/489) .

وقد مر بنا فيما سلف بأنه كان خطيباً بجامع مراكش، وقد ذكر اللورقي أنه عندما التقاه أمام بيته بتونس خرج إليه في هيئة متأله (القفطي، 1986، 2/ 378)، ومعنى تألّه: تنسّك وتعبّد. (المعجم الوسيط (أله)). فهو عابدٌ ورِعٌ خطيب مقرئ، وكلها ملامح ودلالات على ما يتمتع به هذا العَلَم من الديانة والخلق.

مؤلفاته:

1ــ المقدّمة، ((وهي حواشٍ على جمل الزجاجي)) (السيوطي، بغية الوعاة، 2/236) ، وقد أثنى عليها الذهبي بقوله: ((أتى في مقدّمته بالعجائب التي لا يُسبق إليها، فكلها حدود وإشارات، ولقد يكون الشخص يعرف المسألة من النحو معرفة جيدة، فإذا قرأها من الجزولية دار رأسه واشتغل فكره، واسم هذه المقدّمة القانون)) (تاريخ الإسلام، 1990، 43/263 ــ 264).

ولفت السيوطي إلى أنّ الشيخ مجد الدين بن الظهير الإربلي كتب أبياتاً في استحسانه للجزولية ومدحاً لمؤلفها يقول فيها (البغية، 2/237):

مقدّمةٌ في النحـــو ذات نتيجة تناهت فأغنت عن مقدّمة أخرى

حبانا بها بحرٌ من العلوم زاخرٌ ولا عجب للبحر أن يقذف الدُّررا

2ــ شرح أصول ابن السرّاج. ذكره الذهبي في تاريخه (43/264).

3ــ أمالي الجزولي في النحو. قال ابن خلكان: ((سمعت أن له أمالي في النحو، ولكنها لم تشتهر)) (3/489)

4ــ مختصر الفسر لابن جني في شرح ديوان المتنبي (ابن خلكان، 3/489).

وبعد المقدّمة الموجزة في التعريف بابن الحاجب، والرضيّ، والجزولي، وفي التعريف بالجزولية. بعد ما ذُكر نستفتح هذه الورقات بذكر آراء الجزولي المتناثرة في كتاب شرح الرضي على الكافية.

وقد جاء ترتيب هذه الآراء كترتيب أبواب شرح الكافية.

ــ ما لا ينصرف:

وهو ما يُعرف بالممنوع من الصرف، ومن المعلوم أنّ الاسم دائماً مصروف، إلا في بعض الحالات، ومنها (صيغة منتهى الجموع)، أو ما يُسمّى بالجمع الأقصى، أو الجمع المتناهي، وهذا الجمع يقوم مقام علتين. قال الرضي: ((اعلم أنّ الأكثرين على أنّ قيام الجمع الأقصى مقام سببين وقوته، لكونه لا نظير له في الآحاد العربية)) (1/109).

ويرى بعضهم أنّ السببين في هذا الجمع هما عدم النظير في الآحاد الذي أشبه الأعجمي في كونه لا نظير له في كلام العرب، والسبب الآخر هو الجمع (ينظر الرضي، 1996، 112/1).

وجنح الجزولي إلى أنّ عدم النظير في الآحاد سبب مستقلّ بذاته لا يحتاج إلى الجمع (ينظر الرضي، 1996، 112/1)، فهو عنده كالعَلَمية والوصفية وغيرهما (ينظر الرضي 150/1). وهذا ما ارتآه السهيلي في أماليه (ينظر سفر عبد العزيز، 2000، 598).

ـ نائب الفاعل:

ذهب البصريون إلى أنّه يتعين قيام المفعول به مقام الفاعل، وذلك إذا بُني الفعل للمجهول؛ وعللوا لذلك بعلاقة الفعل بالمفعول به، فهو أشدّ طلباً له من سائر المنصوبات (الرضي، 1996، 219/1).

وذهب الكوفيون إلى أنّ قيام المفعول به المجرور مقام الفاعل أوْلى وليس واجباً، واستدلوا على ذلك بالقراءة الشاذة: ﴿ لولا نُزّل عليه القرآنَ﴾ [الفرقان/ 32] بالنصب، وبقول الشاعر (البيت من الوافر، وهو لجرير كما في البغدادي، الخزانة، 1997، 337/1، وينظر يعقوب إميل، 1996، 103/1 بترقيم الشاملة):

ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسُبَّ بذلك الجرو الكلابا

وقد ((منع الجزولي نيابة المنصوب لسقوط الجارّ مع وجود المفعول به المنصوب من غير حذف الجارّ كما في (البيت من البسيط، وهو لعمرو بن معديكرب، ينظر البغدادي، 339/1، ويعقوب 424/1):

أمرتُك الخيرُ فافعلْ ما أُمِرتَ به فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَبِ))

(الرضي، 1996، 220/1)

وأجاز ذلك الرضي، فهو يرى أنّ المنصوب لسقوط الجارّ يلتحق بالمفعول به الصريح (ينظر الرضي، 1996، 220/1).

ولعل منْعَ الجزولي لنيابة المنصوب على نزع الخافض مع وجود المفعول به، لعل منعه لذلك هو اتباع القاعدة النحوية التي ارتضاها النحاة، والتي تقول إن المفعول به هو المقدَّم دائماً في النيابة عن الفاعل عند حذف الفاعل.

ولقائل أن يقول: لماذا لا ينوب عن الفاعل ما يتضح به الكلام؟

ويجيب عن سؤالنا هذا الأستاذ عباس حسن إذ يقول: ((والحق أنّ الرأي السديد الأنسب هو أن نختار من تلك الأنواع [وهي النائبات عن الفاعل: المفعول به، أو المصدر، أو الظرف، أو الجارّ والمجرور] ما له الأهمية في إيضاح الغرض، وإبراز المعنى المراد، من غير تقيّد بأنه مفعول به أو غير مفعول به، وأنه أول أو غير أول، أو مقدّم على البقية أو غير مقدّم)) (120/2).

ـ المنادَى:

يُعرّف ابن الحاجب المنادَى بأنه ((المطلوب إقباله بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً)) (الرضي، 1996، 344/1). وقوله: (المطلوب إقباله) يُخرج المندوب كما قال الرضي.

ويرى الجزولي أنّ ((المندوب منادى على وجه التفجع)) (الرضي، 345/1)، وقد فسر الرضي كلام ابن الحاجب بقوله: ((إذا قلتَ: يا محمداه! فكأنك تناديه وتقول له: تعال، فإني مشتاق إليك، ومنه قولهم في المراثي: لا تبعد، أي: لا تهلك، كأنهم من ضنهم بالميت عن الموت تصوروه حيّاً فكرهوا موته فقالوا: لا تبعد، أي: لا بعدتَ ولا هلكتَ، وكذا المندوب المتوجع عليه نحو: واويلاه وواثبوراه وواحزناه، أي: احضر حتى يُتعجب من فظاعتك)) (الرضي، 345/1). وهو تفسير أدبي عمدته الخيال والتصور.

ـ المفعول له:

يوجب الجزولي تعريف المفعول له إذا انجرّ باللام فلا يُقال: جئتك لإكرامٍ لك (ينظر الرضي، 1/ 513).

وهذا القول مخالف لما ذكره النحويون (ينظر ابن عقيل 522/1). قال الأشموني: ((والحق جوازه [تنكير المفعول له المنجرّ باللام] ومنه قوله (البيت من الرجز، وهو بلا نسبة، ينظر، يعقوب، 1996، 290/10 بترقيم الشاملة): مَنْ أَمَّكُم لِرَغبةٍ فيكم جُبِرْ ومَنْ تكونوا ناصِرِيهِ يَنْتَصِرْ)) (الأشموني، 1998، 483/1).

والشاهد في البيت (لرغبة) فهو مصدر واقع مفعولاً لأجله، وقد اتصلت به لام الجرّ على الرغم من أنه نكرة، وهذا مما يدل على جوازه.

ـ المنصوب بـ(لا) التي لنفي الجنس:

من عناوين هذا الباب قوله: (دخول الهمزة على (لا) وأثر ذلك).

يقول ابن الحاجب: ((وإذا دخلت الهمزة لم تُغيّر العمل، ومعناها الاستفهام والعرض والتمني)) (الرضي، 170/2).

ويرى الجزولي تبعاً للسيرافي أنّ (ألا) حاله في العرض كحاله قبل الهمزة (ينظر الرضي، 171/2). ويغلب على الظن أنه يقصد إلى أنّ (ألا) التي للعرض يليها الاسم مبنياً غير معرب. وقد خطّأ الأندلسي هذا القول، وبيّن بأن (ألا) إذا كانت للعرض فهي مثل حروف الأفعال كإنْ ولو فهي تدخل على الفعل وينتصب الاسم بعدها نحو: ألا زيداً تكرمه (ينظر الرضي، 171/2).

وقد اختلف النحاة في (ألا)، أهي مركبة أم بسيطة، فقد ذهب ابن مالك إلى أنها مركبة من (لا) النافية والهمزة بخلاف التي للاستفتاح، وذهب كل من أبي حيان والمالقي إلى أنها بسيطة (ينظر المرادي، 1992، 383، والأنصاري، 2000، 443/1 ـ 449).

ـ ترتيب ألفاظ التوكيد إذا اجتمعت:

والمراد بألفاظ التوكيد هنا (أكتع (قال الخليل: ليست أكتع عربية، إنما هي رِدْف لأجمع على لفظه، تقوية له، ومثل هذا كلام كثير، يقولون: الريح والضيح، وليس للضيح تفسير) (تاج العروس مادة (كتع)) ، وأخوا أكتع هما: أبصع وأبتع ، وهما مثل (أكتع) (ينظر التاج (بصع، وبتع)).

وقد جعل البصريون النهاية في التوكيد (أبصع) ومتصرفاته، وأهملوا (أبتع) ومتصرفاته، وأما البغداديون فقد جعلوا نهاية التوكيد (أبتع وأخواته)، فقالوا: (أجمع أكتع أبصع أبتع)، وهو ما ذكره الجزولي (ينظر الرضي 376/2).

ـ نون الوقاية:

اختلف علماء العربية في المحذوف من النونين، وذلك إذا اجتمعت نون الإعراب مع نون الوقاية، فأيهما المحذوف؟

فعلى قول سيبويه المحذوف نون الإعراب؛ لأنها تتعرض للحذف بالجزم والنصب ولا معنى لها.

وأما الجزولي فيرى أنّ المحذوف هو نون الوقاية؛ لأنّ الثقل جاء منها لا من الإعراب (ينظر الرضي، 450/2).

ومهما يكن فالخلاف لا يمسّ الجوهر، وإنما هو سؤال يتبادر إلى الذهن، ما المحذوف من النونين إذا اجتمعتا في كلمة.

وإذا افترضنا أنّ المحذوف هو إحدى النونين، فما الذي سيتغير من ناحية الإعراب أو من ناحية المعنى؟! لن يتغير شيء مما ذُكر.

وفي نفس الحديث عن نون الوقاية يذكر الجزولي: إنّ الإثبات أي: نون الوقاية في مِن وعن وقد وقط هو الأشهر، وهو قريب من كلام سيبويه الذي يعدّ حذف النون في هذه الكلمات من الضرورات التي لا تجوز إلا في الشعر (ينظر الرضي، 453/2).

ـ ضمير الفصل:

أجاز الجزولي وقوع ضمير الفصل بين أفعلي التفضيل نحو: خيرٌ من زيد هو أفضل من عمرو، يقول الرضي: ((ولستُ أعرف له شاهداً)) (الرضي، 459/1).

ـ ضمير الشأن والقصة:

قال الرضي شارحاً قول المصنف: ((... وإنه زيدٌ قائم، وحذفه [أي ضمير الشأن] منصوباً ضعيف، إلا مع أنّ، إذا خُفّفتْ فإنه لازم)) (الرضي، 464/2). قال الرضي: ((إذا خُفّفتْ [النون] المفتوحة، جاز إعمالها في الاسم الظاهر، وإهمالها كالمكسورة، على ما قال الجزولي)) (الرضي، 468/2).

وفي إعمال (أنّ) المفتوحة المخففة ثلاثة مذاهب (ينظر السيوطي، الهمع، 1987، 184/2 ـ 185) :

1 ـ أنها لا تعمل أبداً لا في الاسم الظاهر ولا في الضمير، بل تكون حرفاً مصدرياً مهملاً، وهذا مذهب سيبويه والكوفيين.

2 ـ أنها تعمل في المضمر، وفي الظاهر أيضاً نحو: علمتُ أنْ زيداً قائمٌ، وقرئ (أنْ غَضَبَ اللهِ عليها). وهذا رأي لجماعة من المغاربة.

3 ـ أنها تعمل جوازاً في المضمر، ولا تعمل في الظاهر، وهو رأي الجمهور.

وعلى ما مر ذكره من المذاهب في إعمال (أنّ) يكون الجزولي مخالفاً لسيبويه والكوفيين، وخالف رأي الجمهور أيضاً، وقارب رأيه رأي المغاربة.

ـ الأسماء الموصولة:

يرى الجزولي أنه إذا شُدّدت ياءا (الذي والتي) أعربت الكلمتان بأنواع الإعراب كما في (أيّ) (ينظر الرضي، 17/3، والسيوطي، 1987، 284/1). وقد ردّ الرضي هذا الرأي فـ((لا وجه لإعراب المشدّد، إذ ليس التشديد يوجب الإعراب)) (الرضي، 17/3).

ـ (ذو) الطائية:

يغلب في (ذو) الطائية عدم التصرّف، وفيها أربع لغات: أشهرها عدم التصرف مع البناء، والثانية ذكرها الجزولي (ذو) للمفرد المذكر والمثنّى والمجموع، و(ذاتُ) مضمومة التاء للمفرد المؤنث والمثنى والمجموع، والثالثة ذكرها أيضاً الجزولي، وهي كالثانية إلا أنها تفترق عنها في جمع الإناث فيقال (ذوات) مضمومة في الأحوال الثلاث... (ينظر الرضي، 22/3 ـ 23).

ـ المثنّى:

يقول الرضي: ((وعند المصنف [ابن الحاجب] تردّدٌ في جواز تثنية الاسم المشترك، وجمعه، باعتبار معانيه المختلفة، كقولك: القرءان: للطهر والحيض، والعيون: لعين الماء وقرص الشمس وعين الذهب، وغير ذلك، منع من ذلك [المصنف] في شرح الكافية؛ لأنه لم يوجد مثله في كلامهم مع الاستقراء، وجوّزه على الشذوذ في شرح المُفصل.

وذهب الجزولي، والأندلسي، وابن مالك إلى جواز ذلك)) (الرضي، 348/3).

ـ الفعل المبني للمجهول والتغيير الذي يلحقه:

يقول ابن الحاجب: ((فعل ما لم يُسَمَّ فاعله: هو ما حُذف فاعله، فإن كان ماضياً ضُمّ أوله وكُسِر ما قبل آخره، ويُضَمّ الثالث مع همزة الوصل، والثاني مع التاء خوف اللبس، ومعتل العين الأفصح قيل وبيع...)) (الرضي، 128/4).

ويقول الرضي في (قيل وبيع): ((وأصلهما قُوِل وبُيِع، استُثْقِلت الكسرة على حرف العلة، فحُذفت عند المصنف، ولم تُنقل إلى ما قبلها، قال: لأن النقل إنما يكون إلى الساكن دون المتحرك، فبقي قول، وبيْع بياء ساكنة بعد الضمة، فبعضهم يقلب الياء واواً لضمة ما قبلها، فيقول: قول وبوع، وهي أقلّ اللغات، والأَوْلى قلب الضمة كسرة في اليائي، فيبقى بِيع؛ لأنّ تغيير الحركة أقلّ من تغيير الحرف، وأيضاً لأنه أخفّ من بُوع ثم حُمل قُول عليه لأنه معتل العين مثله، فكُسرت فاؤه، فانقلبت الواو ساكنة ياءً)) (الرضي، 130/4). ((وعند الجزولي استُثقِلت الكسرة على الواو والياء، فنُقِلت إلى ما قبلهما؛ لأنّ الكسرة أخفّ من حركة ما قبلهما، وقصدهم التخفيف ما أمكن، فيجوز على هذا نقل الحركة إلى متحرك بعد حذف حركته، إذا كانت حركة المنقول منه أخفّ من حركة المنقول إليه، فبقي قِوْلَ وبِيْع، فقُلبت الواو الساكنة ياءً كما في الميزان)) (الرضي، 130/4).

ـ تقديم الخبر على الاسم، وعلى الفعل الناقص:

يقول الرضي: ((يجوز وقوع أسماء الاستفهام أخباراً لهذه الأفعال [أي: الأفعال الناقصة] إذا لم تكن مُصدّرة بما النفي، فلا تقول: أين ما كان زيد؟ ولا متى ما زال عمرو؟...

ومنع الجزولي والشلوبيني ذلك في (ليس)، نحو: أين ليس زيد؟)) (الرضي، 204/4).

وردّ الرضي هذا المنع؛ لأن مسألة التقديم هي مسألة خلاف، فإما أن يكون كلٌّ من الجزولي والشلوبيني منعا ذلك موافقة للكوفيين الذين يعدّون (ليس) من الحروف كـ(ما) و(إن)، وإما على المعنى، والمعنى في مثل هذا التركيب يستحيل؛ لأن زيد يستحيل وجوده في كل الأمكنة. وقد أجاب الرضي عن ذلك بأنه على سبيل المبالغة، ويوجب ذلك في غير المستحيل، ومثّلَ له بنحو: متى ليس وجود الله... (ينظر الرضي، 204،201/4)

ـ أفعال المقاربة:

يُعرّف ابن الحاجب أفعال المقاربة بأنها: ((ما وُضع لدُنوِّ الخبر، رجاءً أو حصولاً، أو أخذاً فيه)) (الرضي، 211/4).

ولم يرتض الرضي هذا التعريف، فهو يرى أن (عسى) ليس من أفعال المقاربة، ((ولا يجوز أن يُقال: إن معناه رجاء دنوّ الخبر، كما هو مفهوم من كلام الجزولي والمصنف)) (الرضي، 211/4).

فالرضي يذهب إلى أنّ (عسى) ((ليس متعيّناً بالوضع للطمع في دُنُوّ مضمون خبره، بل لطمع حصول مضمونه مطلقاً، سواء ترجّى حصوله عن قريب أو بعد مدة مديدة)) (الرضي، 211/4).

ـ أفعال المدح والذّمّ:

أشار الرضي إلى أن الضمير المبهم في (نعم وبئس) لا يُثنى ولا يُجمع ولا يُؤنّث، وهذا من المتفق عليه بين البصريين والكوفيين.

وأما تمييز هذا الضمير فهو بعكس الضمير فيتم التصرف فيه من حيث الإفراد والتثنية والجمع وكذا التأنيث.

وقد ذهب الجزولي إلى وجوب إفراد تمييز الضمير المذكور آنفاً، وردّ الرضي ذلك، معتبراً ما ذكره الجزولي بأنه وهمٌ منه، والواجب مطابقة التمييز للمقصود عند أهل المِصْرَيْن (الرضي، 284/4، بتصرف).

ـ حروف الجرّ:

(رُبَّ): معناها واستعمالاتها:

يقول الرضي: ((وجوز أن يُعطف قياساً على المجرور برُبّ وبكَم وعلى النكرة المجرورة بكلّ وأيّ، اسمٌ مضافٌ إلى ضميرها، لكون ذلك الضمير نكرة... نحو: رُبّ شاةٍ وسَخْلَتِها، وكم ناقةٍ وفصيلِها، وكلّ رجلٍ وأخيه، وأيّ رجلٍ وغلامِه)) (الرضي، 293/4).

ويرى الجزولي أن المعطوف في الجمل المذكورة معرفة معللاً ذلك بأنه يجوز في التابع ما لا يجوز في المتبوع. وقد ضعّف الرضي هذا القول مبيناً بأنه لو كان المعطوف معرفة فيما ذُكر لجاز رُبّ غلامٍ والسيّد (ينظر الرضي، 293/4، والصبان، 2003، 772/2، 774).

ويقول الرضي: ((و(رُبّ) المكفوفة لا تدخل إلا على الفعل، كما قال سيبويه، وقوله (هذا البيت من الخفيف، وهو لأبي دؤاد الإيادي، ينظر المرادي، 1992، 448، والبغدادي، 1997، 586/9، ويعقوب، 1996، 210/3 بترقيم الشاملة):

رُبّما الجامِلُ المُؤَبَّلُ فيهم وعَنَاجِيجُ بينهنّ المِهارُ

شاذّ عنده، ومثله قياس عند الجزولي، فيُجيز: ربما زيدٌ قائمٌ)) (الرضي، 295/4).

وذكر أبو حيان أنّ مجرور (رُب) لا يُجر معرفاً بأل، وقد أجازه بعضهم وأنشد: ربما الجاملِ بالجرّ على أنه مجرور برُبّ، وما زائدة (ينظر الأندلسي، الارتشاف، 1998، 1739/4).

وفي كلتا الحالتين لم تدخل (رُبّ) على الفعل.

ـ أحرف القسم:

قال الرضي: ((والمبتدأ المحذوف خبره، إن اقترن بلام الابتداء، نحو: لعمرك ولايمن الله، وجب رفعه.

قال الجزولي: لم يُسمع في لفظ (الله) إلا النصب أو الجرّ، دون الرفع، وجوّز الأندلسي الرفع قياساً)) (الرضي، 305/4).

ـ بقية حروف الجرّ:

الكاف حرف جرّ، فهل تكون اسماً؟ يذهب الرضي إلى أنّ الكاف واجبة الاسمية إذا كانت مجرورة، كما في قول الراجز (الرجز للعجاج، ينظر البغدادي، 1997، 168/10،169، ويقوب، 1996، 157/12 بترقيم الشاملة):

يضحكن عن كالبَرَدِ المُنْهَمِّ

وكذلك في حال رفعها كما في قول الشاعر (البيت من البسيط، وهو للأعشى ميمون ابن قيس، ينظر ديوانه، 287):

أَتَنْتَهونَ، وهل يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فيه الزَّيْتُ والفُتُلُ

أو تكون مبتدأ مثل: كذا عندي درهماً، واختلف العلماء في اسمية الكاف فسيبويه يرى أنها لا تكون اسماً إلا عند الضرورة، وخلفه الأخفش الذي جوّز اسميتها على كلّ حال، ووافقه الجزولي (ينظر الرضي، 4/323،324).

ـ العطف على اسم إنّ وأخواتها:

ذكر الرضي اختلاف النحاة في كون العطف على اسم (إنّ) المكسورة، أو على موضع (إنّ) مع اسمها.

فبعضهم كما يقول ابن الحاجب يعطف على اسم (إنّ) بالرفع، وبعضهم يعطف على موضع (إنّ) مع اسمها، والرأي الأخير هو ما يقول به الجزولي (ينظر الرضي، 4/350).

وأرى أنّ هذا الاختلاف بين النحاة لا يعدو كونه جدلاً لا طائل تحته، فما الذي يضير إن قلنا: إنّ العطف بالرفع على (اسم إنّ)، أو إنّ العطف على (موضع إنّ واسمها)؟!

يقول الأستاذ عبّاس حسن مستعرضاً أدلّة كلّ فريق من الذين اختلفوا في العطف بالرفع، علام يكون هذا الرفع؟ يقول: ((لكن الحق أنّ كثيراً من تلك الأدلة جدليٌّ، وأنّ كثيراً من الأساليب العربية الفصيحة ينطبق عليها بعض الآراء دون بعض)) (1/667).

ويقول أيضاً: ((ولا داعي للاهتمام بتعليله [أي حكم النصب والرفع في العطف على (إنّ وأخواتها)]، وبمعرفة الآراء المختلفة في سبب النصب والرفع؛ إذ المقصود الأول من النحو ضبط الألفاظ ضبطاً صحيحاً يوافق المعنى)) (1/665).

ـ حروف العطف:

ذكر ابن الحاجب أنّ (حتّى) مثل (ثُمّ) في الترتيب والمُهلة. ويرى الجزولي أنّ المهلة في (حتّى) أقلّ منها في (ثمّ)، فهي وَسَط بين (الفاء) و(ثم).

وقد خالف الرضي الجزولي فـ(حتى) عنده لا مهلة فيها، والفائدة منها هو أنّ المعطوف يُعَدّ الجزء الفائق إمّا في القوة أو في الضعف على سائر أجزاء المعطوف عليه (ينظر الرضي، 4/394،395).

ولعل الصواب ما ذهب إليه جمعٌ من العلماء في أنّ (حتّى) لا يُشمّ منها رائحة الترتيب كالفاء أو ثم، فقد قال ابن مالك: ((ومن زعم أنها تقتضي الترتيب في الزمان فقد ادّعى ما لا دليل عليه)) (شرح التسهيل، 1990، 3/359)، بل بعضهم ذهب إلى أبعد من ذلك فأنكر العطف به البتة. (ينظر الأنصاري، 2000، 2/287، والسيوطي، 1987، 5/260).

ـ معنى (لا، وبل، ولكن):

يتحدث الرضي عن (لكن)، فهي عاطفة بشرط أن يغاير ما قبلها ما بعدها، نفياً أو إثباتاً، وذلك من حيث المعنى لا اللفظ، ويرى يونس أنّ (لكن) هي المخففة من الثقيلة، وليست حرف عطف.

وقد عارض الرضي يونس، وذكر بأنّ ما قاله مشكل إذا ولي (لكن) مجرور بلا جارّ، نحو: ما مررتُ بزيد لكن عمرو، ويؤيد الرضي ما قاله الجزولي بأنّ (لكن) عاطفة في المفرد إن تجردت عن الواو، وأما مع الواو فالعاطفة هي الواو (ينظر الرضي، 4/420).

خاتمة

وأختم هذا البحث بإبراز أهم نتائجه:

1 ـ يُعدّ شرح الرضي على الكافية من الكتب التي جمعت الكثير من الآراء لصاحبنا الجزولي. وما قمتُ بجمعه من هذه الآراء يربو على العشرين قولاً.

2 ـ بعض الآراء التي يجنح لها الجزولي يردّها الشارح، وتُعتبر من شواذّ الأقوال التي لا ترتقي إلى المشهور أو الصحيح من الأقوال.

3 ـ وجدتُ في بعض ما ذهب إليه تمسّكه بالقاعدة النحوية المشهورة، وذلك في مثل منعه نيابة المنصوب على نزع الخافض مع وجود المفعول به، فهو يرى أنّ المفعول به هو الأحقّ في النيابة إذا كان موجوداً في الكلام.

4 ـ ويُعتبر الجزولي ذا شخصية متميّزة، فهو صاحب رأي في علم العربية، ويدلي بدلوه ويختار ما يعتقد صحّته، حتى ولو خالف آراء من سبقه من كبار العلماء، وهو لا يقول بالقول للمخالفة فقط، وإنما لما يراه صواباً حسب علمه واجتهاده.

المصادر والمراجع:

1 ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيّان الأندلسي، تحق: د/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418ه ـ 1998م.

2 ـ الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.

3 ـ إنباه الرواة على أنباه النُّحاة، للقفطي، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، 1406ه ـ 1986م.

4 ـ بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لا ط، لا تخ.

5 ـ البُلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزأبادي، تحق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1، 1407ه.

6 ـ تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحق: علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1407ه ـ 1987م.

7 ـ تاريخ الإسلام، للذهبي، تحق: د/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1410ه ـ 1990م.

8 ـ الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحق: د/ فخر الدين قباوة وأ/ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412ه ـ 1992م.

9 ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار الفكر، بيروت، لا ط، 1424ه ـ 2003م.

10 ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي، تحق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418ه ـ 1997م.

11 ـ ديوان الأعشى، تقديم وشرح: د/ حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1414ه ـ 1994م.

12 ـ سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1402ه ـ 1982م.

13 ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تقديم: حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419ه ـ 1998م.

14 ـ شرح ابن عقيل على الألفية، تحق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ط2، لا تخ.

15 ـ شرح التسهيل، لابن مالك، تحق: د/ عبد الرحمن السيّد، ود/ محمد بدوي المختون، هجر للطباعة، ط1، 1410ه ـ 1990م.

16 ـ شرح الرضي على الكافية، تحق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ـ ليبيا، ط2، 1996م.

17 ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، لاط، 1397ه ـ 1977م.

18 ـ المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربية، د/ إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417ه ـ 1996م.

19 ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425ه ـ 2004م.

20 ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحق: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط1، 1421ه ـ 2000م.

21 ـ الممنوع من الصرف في اللغة العربية، د/ عبد العزيز علي سفر، جامعة الكويت، ط1، 2000م.

22 ـ النحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف المصرية، لا ط، لا تخ.

23 ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، تحق: د/ عبد العال سالم مكرم، وأ/ عبد السلام هارون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407ه ـ 1987م.

24 ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحق: د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لا ط، لا تخ.

البعد الغائب من فهم الثقافة الإسلامية

د.عمار مفتاح البصير، كلية التربية، جامعة الزيتونة

مقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد – صلى الله عليه وسلم- ، ومن أتبع سنته واهتدى بهداه.

وبعد :

فلقد منّ الله علينا نحن معشر المسلمين بشريعة غراء تميزت بثقافة شملت أعظم الأفكار، وأنبل القيم، وأسمى الأهداف، لتتمتع البشرية جميعاً بنعمة النمو العقلي، والأمن الفكري، وليتمكن الإنسان من تأدية وظيفته التي وجد من أجلها .

ولكن أعداء الإسلام ومنذ القدم لا يزالون يبذلون قصار جهدهم في سبيل تلويث هذه المعاني والقيم بثقافات منحرفة لتقويض دعائم الإسلام .

ونحن اليوم في أمس الحاجة للوقوف في وجه هؤلاء ونشر ثقافة إسلامية تساهم في بناء دولة الإسلام، وتحافظ على الشريعة الغراء .

وفي هذا البحث المتواضع سأتناول :

- تعريف الثقافة .
- نشأة الثقافة الإسلامية.
- مصادرها.
- منهج الثقافة .
- أهدافها .
- عوامل الضعف الثقافي بين المسلمين ووسائل علاجه .

تعريف الثقافة :

لفظ الثقافة مصدر من الفعل: ثَقَفَ، أومن: ثَقِفَ، ويبدو أن المعنى الأصلي المادي لهذا الفعل يعني تهذيب الرماح وتقومها، والقائم بعملية التهذيب والتقويم هو المثقف، والرمح المعدل المقوم الذي لا اعوجاج فيه هو: المثقف [لسان العرب مادة: ثقف، م/ 9،ص19]، وتمثل هذا المعنى في قول عنترة بن شداد حيث يقول :

جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنِةٍ ..... بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ

وقد انتقل هذا المعنى إلى مجالات كثيرة، فيقال: ثَقِفَ الشيء، أي: تعلّمه بسرعة، أو ثقف الشيء أي: صدفته وورد في الحديث، وهو غلام ثقف أي: ذو فطنة وذكاء ويقال : أيضاً ثقفته إذا طرقت به.

قال تعالى : (**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُم فِي الحَرْبِ**)[من سورة الأنفال الآية 58]، ويعني عند الشعراء: الذي يقوم بتهذيب القصيدة، قال الشاعر :

وَقَصِيدةٍ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ شَمْلَهَا ..... حتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا

والثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها على أنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه ، أو فئة اجتماعية ، وهي بذلك تشمل الفنون والأدوات وطرائف الحياة كما تشمل الأساسيات للإنسان ونظم القيم والتقاليد [واقع الثقافة ومستقبلها لمحمد الرميحي ،ص268].

نشأة الثقافة الإسلامية :

لقد نشأت الثقافة الإسلامية منذ أن أشرق الإسلام بنوره وفي ظل الإسلام أصبحت ثقافة إنسانية عالمية، وانطوت على طاقة روحية جعلت منها قوة فاعلة إلى جانب ما شملته من مساحة جمعت الدنيا والآخرة .

وذلك اختلفت عن الثقافات الأخرى التي ينصب جُلّ اهتمامها بالجانب المادي [أضواء حول الثقافة الإسلامية ص57]، وهي ثقافة جمعت بين الروح والمادة فجمعت بين حياة الناس ،ولما كان الإسلام دين قيم وضوابط سلوكية كانت الثقافة الإسلامية موجهة ومربية تتصل بحياة الأفراد والجماعات [المعرفة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ص60]، ولقد شهدت الثقافة الإسلامية نهضة مجيدة وعهداً من الازدهار فغيرت معالم الشعوب وأوجدت دولاً جديدة ثم سكتت حتى تكاد تكون كلمة جوفاء.

مصادر الثقافة الإسلامية:

المصادر تعني الأسس والأصول التي تقيم عليها الأمم عقيدتها وشريعتها وفكرها وقيمها ومبادئها وأصل وجودها ، والمنابع التي تستمد منها ثقافتها ، والتي تتيح غطاءً معيناً من السلوك الثقافي في حياة الأمم [الثقافة الإسلاميةص65]، فإذا انفصلت الثقافة عن المصادر والأصول فقدت الأمة هويتها وأطربت مفاهيمها ، واهتزت شخصيتها وصارت تبعاً لغيرها [مذكرة في الثقافة الإسلامية ص23] ،فتقف عاجزة لا تقدر على التحدي والصمود والاستمرار، وذلك لانتشار عوامل الضعف والانحراف ويعتبر القرآن المصدر الأول للثقافة الإسلامية حيث يتخذ منه منهجاً، وكان له الأثر الواضح في صياغة شخصية المسلمين وإعلاء كلمتهم، وتنظيم حياتهم وتقويم أخلاقهم وحل خلافاتهم ،قال تعالى: **(فَإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)** [سورة النساء الآية 59]، وبالقرآن والإسلام امتدت الشخصية العربية عبر الزمان والمكان، وتغلغلت بين الشعوب والأمم، وأصبح العرب قادة الركب الحضاري، وأعلام الإنسانية .

تعريف القرآن الكريم:

القرآن كلام الله تعالى المعجز المنزل على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة المنتهي بسورة الناس [مناهل العرفان : 21/1] ، وقد سماه الله بأسماء كثيرة منها الفرقان ،و الذكر والكتاب إلى غير ذلك من الأسماء والأوصاف التي وردت في الآيات القرآنية ،ولم يصبه ما أصاب الكتب السابقة من التحريف ،قال تعالى: **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** [سورة الحجر 9]، ولقد شمل خطابه التحدي والإعجاز، قال تعالى :**(أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله)** [سورة هود 13]، وقال تعالى **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)** [سورة البقرة الآية22]، وقال تعالى **(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)** [سورة الإسراء الآية 88]، ولعل من أبرز جوانب الإعجاز:

1 -الإعجاز البياني واللغوي وهذا ظاهر من عجز فصحاء العربية وفرسان الكلام من الأدباء والشعراء من الآتيان بمثله .

2 -الإعجاز العلمي لا اشتماله على النظريات العلمية المتجددة، ودعوته إلى التفكير السديد في الكون وجعل التأمل في الحقائق والموجودات وسيلة من وسائل الإيمان بالله تعالى

قال تعالى: **(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت)**[سورة الغاشية الآية 18/17].

3 -الإعجاز الغيبي ويظهر ذلك من خلال الأخبار الغيبية عن الأمم السابقة، وقصص الأنبياء والمرسلين

4 -الإعجاز التشريعي حيث شملت شريعته كافة جوانب الحياة الدينية والدنيوية، وقد تميز التشريع القرآني بمميزات حصرها العلماء في:

أ - عدم الحرج، وذلك بعدم التكليف في الأحكام الشرعية إلاّ بقدر الاستطاعة ، قال تعالى **(وما جعل عليكم في الدين من حرج)** [سورة الحج الآية 76]، وقال تعالى: **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)** [سورة البقرة الآية 184]، وتمشياً مع ذلك رخَّص الله تعالى لعباده كثير من الطاعات كصلاة القاعد للمريض ، وقصر الصلاة للمسافر، ورخص للصائم الإفطار إذا كان مريضاً وللمرأة الحامل والمرضع .

ب - التدرج في التشريع وفق الحوادث بما يعد النفس لاستقبال الأوامر والأحكام [عمر مولود، تاريخ التشريع 45].

ت - العدل قال تعالى : **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)**[سورة النحل الآية 90].

المصدر الثاني السنة النبوية :

السنة في اللغة : تعني السلوك ، والطريق ، والمنهج .

وفي الاصطلاح : ما صدر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو إقرار أو صفة ، قال تعالى **(ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)**[سورة الحشر الآية 7]، وقد اهتم المسلمون بالسنة النبوية وحافظوا عليها من التحريف حيث جمعوا الحديث والقوا فيه علوم مختلفة لعل أهمها صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ،وسنن الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه ، وعلوم المتن ويميزوا الحديث من صحيح وحسن وضعيف .

وقد نصت السنة النبوية الشريفة على بيان المقاصد الشرعية، قال عليه الصلاة والسلام: (يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج ،فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) [البخاري كتاب النكاح باب : من لم يستطع الباءة فليصم]، وقال أيضاً (إنما جعل الاستئذان من أجل البصر) [البخاري كتاب الاستئذان باب الاستئذان من أجل البصر]

المصدر الثالث الإجماع :

ويعد الإجماع المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي فهو في اللغة بمعنى : الإتقان والعزم والتصميم ، قال تعالى : **(فأجمعوا أمركم)**[سورة يونس، الآية 71].

وفي الاصطلاح : هو اتفاق المجتهدين في عصر من العصور على حكم قضية من القضايا بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو مصدر بثبوت كثير من المقاصد الشرعية مثل : علة الصغر حيث يتولى الولي التصرف في الأموال ،وفي التزويج لجلب المصلحة ودرء المفسدة من جانب سوء التصرف ، ومنع قضاء القاضي الغاصب من الحكم لأجل مصلحة المتقاضين ورفع الظلم عنهم .[علم المقاصد 35/1].

المصدر الرابع القياس:

وهو يعني إلحاق نازلة حكم عليها بنازلة لها حكمها لاشتراكها في علة الحكم ، ومثال ذلك تحريم الشعير قياساً على الخمر في علة الإسكار ويكون القياس :

الأصل الخمر

الفرع نبيذ الشعير

العلة الإسكار

الحكم التحريم

المصدر الخامس الفكر والتراث الإسلامي :

ويمثل مكتسبات الأمة من الاستجابة لمبادئ الإسلام ، قال تعالى : **(يأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيكم)**[سورة الأنفال 24].

منهج الثقافة الإسلامية:

يعتمد منهج الثقافة الإسلامية المبادئ الآتية :

1 -تحرير الإنسان من الجهل وظلماته ،ورفض الأساطير والجرفات.

2 -التحرر من الحجز العقلي ،والدعوة إلى حرية التفكير لإمكانية التميز بين الحق والباطل .

3 -التحرر من طاعة الأهواء والانقياد الأعمى في الملذات فهو سبيل الانحراف .

أهداف الثقافة الإسلامية :

وهي الغايات التي تطمح الثقافة الإسلامية إلى تحقيقها حسب الأغراض والمجالات التي تتعلق بها :

1 -بيان العقيدة الإسلامية وعرضها وترسيخها في نفس المسلم حتى يكون قادراً على مواجهة الأفكار المعاصرة والمواهب الهدامة بوعي وثبات وإيمان.

2 -تهدف الثقافة الإسلامية إلى إيجاد مجتمع إسلامي مثالي يظهر فيه تماسك النسيج الاجتماعي .

3 -تحرير المسلم من الانحرافات والأساطير و التقاليد الجاهلة .

4 - ترجمة ما تحمله رسالة الإسلام من قيم وأفكار وقوانين إلى سلوك يومي .

5 -توفير المناخ المناسب لنشر الآداب الإسلامية في جميع مجالات الحياة .

محاذير وأخطار الثقافة الغربية :

إن عدم وضوح المفاهيم للمصطلح يؤثر على استقامة الفكر حيث أن المصطلح هو الوعاء التعبيري الذي تطرح من خلاله الفكرة التي تشكل مفهومات الناس وتصوراتهم وسلوكهم ومن هذا المنطلق ننبه إلى مخاطر الثقافة الغربية ومنها :

1 -إن خطر الثقافة الغربية يتمثل في حصر مفهوم الثقافة على أنها يد الإنسان وعقله ومظاهر البيئة .

2 -أغفلت المعايير الشرعية التي تضبط العلاقات الإنسانية ،وأطلقت مبدأ الحرية والمزاجية والأهواء .

3 -مفهوم الثقافة الغربي يغفل مفاهيم الحلال والحرام ،فلا يعتد بالحساب والعقاب والثواب أو الجنة والنار ، بل ويتجاهل الحياة الآخرة ويجعل الحياة محل كل الاهتمام والتقدير .

4 -ومن هذه الأخطار يجب أن نعلم بأن وراء كل الثقافات أنظمة وأفكار وعقائد تتصل بعضها ببعض اتصال الفروع بالجذور ،فمنها ما هو صالح ،ومنها ما هو غير ذلك.

والثقافة الراشدة هي التي تستمد مقوماتها من الدين الصحيح فالحسن ما حسنه الشرع ،والقبيح ما قبحه الشرع .[ثقافة المسلم وتحديات العصر ص18]. قال تعالى : (**فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى**)[سورة النجم الآيتان 30/29].

عوامل الضعف الثقافي بين المسلمين:

لعل من أهم عوامل الضعف الثقافي:

1 -الفهم الخاطئ أو القاصر من حيث الالتزام في التفقه بالدين بمعنى الإلمام بأمور الدين الإسلامي الحقيقي حيث أن الغالبية من المسلمين بمختلف مستوياتهم العلمية يظنون إن الإلمام بأمور الدين أو التفقه فيه من اختصاص فئة معينة ، وتجاهلوا عن قصد أو عن غير قصد.

إن الله –سبحانه وتعالى- ميز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان بميزات منها أنه دين شامل لكل الناس دون تفريق بين الجنس أو اللون أو العصر ،وشامل لجميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،قال تعالى:(وما أرسلنك إلا كافة للناس)[سورة سبأ الآية 28]

وقد يستثني من هذا التكليف والالتزام العلم بأمور تحتاج إلى متخصص مثل العلم في مجال الميراث ،وعلم القراءات، مشاكل الخلاف ومن هنا يتضح أن الالتزام بأمور الدين الإسلامي من الأمور التي لا يعفَ منها مكلف إذا توفرت وسائل التكيف ما استطاع إلى ذلك سبيلا، والمكلف هو البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة ، وكان أهلاً للخطاب ،ولم يمنع من تكليفه مانع [أصول الفقه ص24] ، بل ومن وجهة نظري أنه كلما ارتقت درجة العلم ارتقت معه درجة الالتزام.

فالعالم في مجال الفيزياء في تخصص البحار مثلاً له القدرة على ما يعينه على تقوية إيمانه وإقناع غيره بقدرة الله –سبحانه وتعالى- في تكوين الماء وخلق البحار والحكمة في هذا التكوين المتمثل في الملوحة ومالها من تأثير في الحماية من التعفن والوقاية من التجمد إلى جانب الدورة المائية ،وما يترتب عليها من استمرار الحياة في البر والبحر، قال تعالى: (**وجعلنا من الماء كل شيء حي**)[سورة الأنبياء الآية 30].

والعالم في مجال الطب البشري له أكثر من غيره فرص المساهمة في ثقافة نفسه وغيره ؛ وذلك بتوضيح قدرة الله- سبحانه وتعالى – في خلقه الإنسان من خلال بيان مراحل الخلق السبع ،وما يشمله هذا التكوين من أعضاء ،ومراحل النمو في كل منها ، والنظام المعجز في الأدوار والمهام التي تؤديها الأعضاء ،وبيان أهم ما دعي إليه الإسلام من ضرورة اتخاذ الوسائل لتمكين الإنسان من تأدية وظيفته في هذه الحياة ،وقد شرع الإسلام وسائل للمحافظة على النفس من جهتين [مقاصد الشريعة ص14].

جهة الوجود:

فشرع الزواج من أجل التناسل والتكاثر لتعمير الكون ،وبين قدسية العلاقة بين الزوجين قال تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**) [سورة الروم 21].

ومن جهة الاستمرار:

فقد أوجب على الإنسان أن يمد نفسه بوسائل البقاء من تناول الطعام والشراب ،وتوفير اللباس والسكن ،وحرم عليه حرمان نفسه من الضروريات التي عليها حياته، وألزم الدولة وولي الأمر بتوفيرها في حالة عجز الفرد عن ذلك بل أجاز له أكل مال غيره إذا تعرض للهلاك دون الحصول عليه بقدر الضرورة التي تبقي على حياته .

ورخص الأعذار المبيحة لدفع المشقة في العبادات كالفطر، للمريض، والمسافر، وتقصير، الصلاة، وحرَّم قتل النفس، قال تعالى : **(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)**[سورة النساء الآية 29].

وأوجب القصاص في القتل العمد والدية والكفارة في القتل الخطأ ،كما شرع المحافظة على العقل بتحريم كل ما يؤثر عليه وسن عقوبة رادعه لذلك ودعى إلى تنميته وإمداده بما يقويه من غذاء ينشط الذهن وعلم يغذي الفكر وحرره من التقليد الأعمى وأسر الأوهام والسحر والكهانة والشعوذة فهي من الضعف الثقافي بين المسلمين .

2 -النظرة القاصرة في أسلوب تدريس مادة التربية الإسلامية بمراحل التعليم المختلفة : فنحن وفي مختلف مراحل التعليم نتعامل مع مادة التربية الإسلامية كغيرها من المواد حيث يقتصر الإلمام بفهم ما شملته من علوم تلاوة وحفظ القرآن الكريم والحديث والفقه والسير والموضوعات العامة على نتيجة الامتحان حيث ينسى جلّ ما درس على مرور الأيام والمراحل مما يجعل الجهد في حكم الضائع ،وخير دليل على ذلك لو سألت طالب في المرحلة الجامعية عن حفظ آيات درسها في مرحلة سابقة، أو حكم شرعي في الصلاة، أو مقدار الزكاة، أو سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم – أو أحد الصحابة لكانت الإجابة سلبية ،ولعل من الأهمية بالغة الأثر في الثقافة الإسلامية .

3 -الجهل بمقاصد الشريعة : والمقاصد جمع مقصد وهو لفظ يطلق على الأهداف العامة التي تسعى إلى تحقيقها في حياة الناس ، هذا إذا عممنا لفظ الشريعة لتشمل الدين أما إذا أفردنا الشريعة بأنها من الدين ،وإن الدين ينقسم إلى عقيدة وشريعة ، فإن المقصد من خلق الخليقة هو عبادة الله –سبحانه وتعالى- قال تعالى : **(وما خلقت الجن الإنس إلا ليعبدون)**[سورة الذاريات الآية 56]، والعبادة تعني التذلل والخضوع ،يقال فلان عبد ،أي ذليل خاضع لمولاه [منظر المصباح المنير :202/1]، ولا تعني أن العبادات موقوف على هذا المعنى وأنها خالية المنافع ،وإنما جامعة لفوائد الدنيا والأخرى ، وأنها تخرج عن أنها أوامر يجب تنفيذها ، أو دين يجب قضاءه ،أو تقرب يجب أن نسلك مسلكه .

والمتأمل لشريعة الإسلام وما شملته من عبادات يتضح له جلّ المقاصد في الصلاة ، قال تعالى: **(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)**[سورة العنكبوت الآية 45]، والفحشاء لفظ جامع لكل معاني الضرر ففي الصلاة يتجلى الخلق الحسن والسلوك السوي ، ولامعنى لهذه العبادة إذا لم يتحقق منها المقصد الشرعي ويترجم إلى فعل في الحياة اليومية بحضور القلب وفهم ما يقال ، وتعظيم الله وهيبته ومعرفة الله حق المعرفة ،ويظهر ذلك عن طريق إصلاح النفس وتهذيبها وتخليصها من الفواحش والمنكرات [من مقاصد العبادة في الشريعة ص50]،وإن تأديتها يرتبط بالخضوع والخشوع والتأمل ،قال تعالى: **(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون)** [سورة المؤمنون الآية1- 2]، وهذا يترتب عليه انشراح الصدر وطمأنينة القلب وراحة البال ،قال تعالى: **(الذين أمنوا وتطمئن قلوبهم ألا بذكر الله تطمئن القلوب)**[سورة الرعد الآية 28]، إلى جانب ما يتعود عليه الإنسان من محافظة على تنظيم الوقت وعناية بالمظهر ،قال تعالى: **(إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)**[سورة المائدة الآية 7].وفي الزكاة، قال تعالى: **(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)**[سورة التوبة الآية 103]، فقد شرعت الزكاة لطهارة المال، وتزكية

النفس الأمر الذي يتحقق به مقصد عظيم وهو استفادة الفقير، وفي الصيام قال تعالى: **(كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)**[سورة البقرة الآية 182]، فقد شرع الصيام لوقاية النفس من الأنانية والإفراط في الدنيا ، وفي الحج ،قال تعالى: (ليشهدوا منافع لهم)[سورة الحج الآية 26]، منافع دينية واجتماعية وفي الإحرام تذكير يترك الدنيا وما عليها ، وفي تشريع القصاص ،قال تعالى : (ولكم في القصاص حياة)[سورة البقرة الآية 178]، لحفظ النفس .

وفي تحريم الخمر بيان لمقاصد التحريم حيث يؤدي إلى ذهاب العقل الذي يترتب عليه العداوة والبغضاء والتنازع ، قال تعالى : **(إنما الخمر والمسير والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر)**[سورة المائدة الآية 92]، المقصد المال وحفظ العقل .

كما أن هناك صلة بأدلة مختلفة فيها لا يسع المجال لذكرها مثل المصلحة المرسلة فجمع القرآن الكريم ليس لديها دليل، ولكن تحقق مصلحة حفظه من الضياع بعد تفرق الحفظة وموتهم .

4 -الجهل بنعمة المفاضلة :

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل المفاضلة من سنن هذه الحياة ليغتنم المسلم تعويض ما يفوته من أداء في الفرائض ولازدياد الحسنات، وفضل الله الأيام بعضها على البعض ،قال رسول –صلى الله عليه وسلم – :" خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة " [أخرجه مالك في الموطأ ،كتاب الجمعة باب : ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة 108/1]، وفضل الساعات فكانت ساعة الجمعة ،وفضل الليالي فكانت ليلة القدر ، وفضل الشهور فكان شهر رمضان ، وشرفه بنزول القرآن الكريم ، وفضل الأماكن فشرف البيت الحرام والمجسد النبوي وبيت المقدس عن غيرهم من البقاع وفضل المساجد عامة على بقاع الأرض .

5- عدم الإلمام بالمقاصد الثانوية للعبادة والتي تتمثل في :

أ - حصول انشراح الصدر وتفريج الكرب والتعود على الصبر والالتجاء إليها عند الشدائد[العبادات أحكام وأدلة ص19] ،قال تعالى : **(ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون)**[سورة الحجر الآية 97]، والمخرج يتمثل في قوله تعالى :**(فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)**[سورة الحجر الآية 99]، وكان مسلك الرسول– صلى الله عليه وسلم- في ذلك عند الشدائد حيث يفزع إلى الصلاة ، فيقول : " يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها " [أخرجه أبو داود ،كتاب الأدب، باب: في صلاة العتمة 715/2]، مؤكداً قول الله تعالى:(**يأيها الذين أمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة**)[سورة البقرة الآية 152].

ب - العبادة تورث الاستقامة وصلاح النفس والسعادة في الدنيا والآخرة بقال تعالى : **(الذين أمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)**[سورة يونس الآية 64].

ت - العبادات أمانة في عنق المكلف، قال تعالى: **(إن عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينا أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان)**[سورة الأحزاب الآية 72]، وقال تعالى : **(وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم)**[سورة البقرة الآية 39]، وقال عليه السلام " أحفظ الله يحفظك "[رواه الترمذي في سنة كتاب صفة القيامة والرقائق والورع].

ث - إن العبادة إلى جانب أنها وسيلة لرضا الله فهي مدخل لمحبته وعلامة ذلك توفيق العبد في أفعاله وتسخيره لعمل الخير والإكثار منه، قال عليه الصلاة والسلام " ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ،وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ،ويده الذي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، وإن سألني لأعطينه ،ولئن استعاذني لأعيذنه " [أخرجه البخاري 128/14].

ج - العبادة انتقال من عالم المادة إلى عالم الروح بمتعة المناجاة والاتصال الروحي مع الخالق جلّ شأنه ،وهي قمة السعادة .

5 ومن عوامل ضعف الثقافة الإسلامية :

أ - عدم التمييز بين الكثير من المصطلحات الحديثة .

ب - الغزو الثقافي .

ت - الاتصال الثقافي .

ث - الأمن الثقافي .

ولنعلم جميعاً بأن الثقافة الإسلامية ليست هدفاً في حد ذاتها ،وإنما وسيلة من وسائل معرفة الله حق المعرفة ، ومنهجياً سوياً لتمكن من أداء الحقوق ومعرفة الواجبات لنيل رضا الله ،والفوز بجميل الجزاء في الحياة الدنيا والآخرة .

نتائج البحث:

فمن خلال العرض السابق لمفهوم الثقافة الإسلامية فقد توصلت إلى النتائج الآتية :

1 -إن الثقافة بمفهومها العام تغذي السمات الروحية والمادية لدى الإنسان المسلم .

2 -إن من مصادر الثقافة الإسلامية القرآن الكريم ،والسنة النبوية .

3 -من أهداف الثقافة الإسلامية بيان العقيدة الإسلامية وعرضها وترسيخها في نفوس المسلمين .

4 -تعنى الثقافة الإسلامية بتحرير المسلم من الخرافات والأساطير وتقاليد الجاهلة .

5 -التعامل مع الثقافات الغربية بحذر، ونبذ ما يأتي منها ما هو منفياً للدين .

6 -من عوامل الضعف الثقافي بين المسلمين عدم فهم الثقافة الإسلامية ، والجهل بمقاصد الشريعة .

التوصيات

1 -تطوير طريقة تدريس مادة التربية الإسلامية في مراحل التعليم المختلفة .

2 -التركيز على جانب النشاط المدرسي وجعله جزء من المنهج الدراسي وتنمية مواهب الطلاب .

3 -تشجيع المتفوقين بحوافز مادية ومعنوية .

4 -العمل على أن يكون المنهج الدراسي جزء من الحياة اليومية .

5 -التعبئة التوعية العامة بمختلف الوسائل الممكنة .

6 -استغلال المناسبات الدينية والاجتماعية في نشر الثقافة الوسطية البعيدة عن التطرف ،وذلك ببيان المقاصد الشرعية في العبادات.

7 -تسخير الإعلام لخدمة الثقافة الإسلامية ،ويكون ذلك تحت إشراف لجنة من علماء المسلمين .

8 -تكوين لجنة من علماء الشريعة تتولى الفصل في قضايا الخلاف الظاهر بين المسلمين الناتج عن تعصيب كل فريق برأيه لدرء الفتنة والانشقاق .

9 -إصدار ما يفيد بيان لرأي الشريعة في خير هذه الأمور يكون معتمداً ومصدراً من مصادر التشريع الإسلامي .

10 - إجراء مسابقات دينية في المدارس والمساجد على غرار مسابقة القرآن الكريم والحديث النبوي .

11 - على علماء المسلمين ضرورة التحمل لدورهم الريادي في الرد على الآراء المتشددة والمتطرفة .

12 - إتباع وسيلة الحوار في الوصول في الاقتناع بما فيه من أراء لدرء الفتنة والانقسام بين المسلمين والاجتماع على كلمة سواء .

المصادر والمراجع

1 - القرآن الكريم رواية قالون .

2 -أصول الفقه محمد ابو النور زهير المكتبة والأزهري بيروت 1998

3 -أضواء حول الثقافة الإسلامية لأحمد عبدالرحيم الدار المصرية اللبنانية / 1993.

4 -تاريخ التشريع الإسلامي لعمر مولود وآخرون ، المكتبة الجامعة للطبع والنشر ليبيا الزاوية .

5 -الثقافة الإسلامية لراشد شهوان وآخرون ،دار المناهج عمان 2007 الطبعة السابعة .

6 -علم المقاصد الشريعة لنور الدين بن مختار الخادمي مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى.

7 -لسان العرب ، لابن منظور محمد بن مكرم بن منظور ، الناشر : دار صادر ببيروت ، الطبعة الأولى.

8 -مذكرة في الثقافة الإسلامية لراشد شهوان ،كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة البلغاء .

9 -المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على الفيومي المقري ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، الناشر : المكتبة العصرية .

10 - مقاصد الشريعة موقع وزارة الأوقاف السعودية .

11 - مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1415 هـ - 1995م .

12 - من مقاصد العبادات في الشريعة الإسلامية لمحمد عزالدين الغرياني، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية 2010.

13 - موطأ الإمام مالك ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي علي النشر: 1406هـ - 1985م .

14 - ورقة بحثية بعنوان المستولية الثقافية لمؤسسات التعليم العالي ، للباحث / عمار مفتاح البصير المؤتمر الدولي السابع ، جامعة الطفيلية الأردن 2015عمان .

15 - الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) ،لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي أبو عبد الله ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر ، الناشر : دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى :1422هـ .

16 - سنن أبي داوود ، لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر دار الفكر .

17 - سنن الترمذي ، محمد بن عيسي الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

18 - المصباح المنير ، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، الناشر : المكتبة العصرية .

الوقفات التفسيرية في كتاب التبيان في إعراب القرآن للعكبري

د. سالم مفتاح علي امبـارك، كلية الشريعة، جامعة الزيتونة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على المبعوث هدى ورحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الكريم الذي أرسله ربه بالحق المبين. والحمد لله الذي أنعم على هذه الأمة بنعمة الإسلام فكانت خير أمة أخرجت للناس.

أما بعد،،،

فالقرآن المجيد أصل لكل العلوم وحاكم عليها ولها فيما ينشأ من الاختلاف عنها، فهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من رب العزة الحكيم الحميد، أنزله على عبده ورسوله محمد الصادق الأمين؛ ليخرج الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الظلمات إلى النور بإذن الله العلي العظيم.

وقد احتوى القرآن الكريم على المعجزات الخالدة والأسرار الكامنة والمعاني السامية والأسرار الغامضة والعلوم النافعة فكان معجزة الله الباقية إلى الأبد وحجته على خلقه أجمعين.

وقد حظي كتاب الله تعالى على مر العصور والأزمنة بعناية العلماء الأجلاء من أبناء هذه الامة ا لعظيمة، فاهتموا بحفظه وتفسيره ومعرفة أحكامه وتدبر معانيه وكشف أسراره، ومعرفة إعجازه وبلاغته وإعرابه وقراءاته، وكان من بين هؤلاء العلماء الأفذاذ عالم جليل حفظ كتاب الله وعرف أحكامه وآدابه وتدبر معانيه وأسراره ووجوه إعرابه وقراءاته، ذلك العالم هو الشيخ الإمام أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري صاحب المؤلفات الكثيرة والتصانيف المفيدة في التفسير وعلوم القرآن، وعلوم اللغة العربية وعلوم الحديث الشريف، ومن هذه الكتب كتابه "التبيان في إعراب القرآن" الذي احتوي إلى جانب إعراب القرآن على وقفات تفسيرية لبعض آيات القرآن الكريم، كما أحتوى على القراءات وتوجيهها، ونظراً لما تميز به هذا الكتاب وما أحتوى عليه من علوم ومعارف ونكت ولطائف في الإعراب والتفسير والقراءات كان هذا البحث المتواضع بعنوان: "الوقفات التفسيرية في كتاب: التبيان في إعراب القرآن للعكبري"، وذلك من أجل إبراز جهود هذا العالم الجليل في خدمة كتاب الله، وإظهار القيمة العلمية لكتاب التبيان وما أمتاز به من مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة عند العلماء الذين جاءوا بعد العكبري، كما يظهر هذا البحث منهج العكبري – رحمه الله – وطريقته التي سلكها في إعراب كتاب الله ونقله لأقوال العلماء وموقفه منها، وما انفرد به عن سابقيه في هذا الكتاب وما تميز به من وقفات تفسيرية وبيان لمواضع الوقف، كما يهدف هذا البحث إلى إظهار العلاقة الوطيدة بين علوم القرآن الكريم ببعضها وبخاصة التفسير والإعراب، وعلاقتها بغيرها من العلوم الأخرى كعلوم اللغة العربية وكلام العرب من شعر ونثر، وهي من الأدوات والوسائل والعدة اللازمة لتفسير كلام الله ومعرفة أسراره وعلومه، وقد عرفها وأتقنها وتسلح بها الإمام العكبري –رحمه الله – قال في مقدمة كتاب التبيان: "الحمد لله الذي وفقنا لحفظ كتابه،

وأوقفنا على الجليل من حكمه وأحكامه، وآدابه، وألهمنا تدبر معانيه ووجوه إعرابه، وعرفنا أساليبه من حقيقته ومجازه، وإيجازه وإسهابه".(العكبري، التبيان، 2008، 7/1).

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول: التعريف بالإمام العكبري وترجمته.

المبحث الثاني: الوقفات التفسيرية في كتاب التبيان.

المبحث الثالث: الوقف والابتداء في كتاب التبيان.

أسال الله العلي العظيم أن يوفقنا ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

المبحث الأول: التعريف بالعالم الجليل العكبري:

هو الإمام العالم محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين العكبري[*] الحنبلي البغدادي، ولد ببغداد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة، أصيب بمرض الجدري وهو صغير وفقد بصره، ولكن هذه العقبات وغيرها لم تثن عزيمته ولم تنل من قوته فقد تغلب عليها بذكائه وجده وملازمته للعلماء فأخذ العلم عن علماء عصره حتى صار إماماً في علوم القرآن وإماماً في الفقه وإماماً في اللغة والنحو، صنف المؤلفات الكثيرة في مختلف العلوم والمعارف منها: كتاب تفسير القرآن، وكتاب متشابه القرآن، وكتاب التبيان في إعراب القرآن، وكتاب إعراب شواذ القراءات وكتاب إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث، وكتاب المرام في نهاية الأحكام، وكتاب شرح الهداية، وكتاب اللباب في علل البناءوالإعراب، وغيرها من الكتب.

توفي العكبري –رحمه الله – ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة من الهجرة، وترك ثروة علمية ينتفع بها طلاب العلم من بعده، رحم الله تعالى الإمام أبا البقاء العكبري وأسكنه جنات النعيم. (ينظر الحموي، معجم البلدان، د:ت، 4/ 142، والقفطي، إنباه الرواة، 1982، 116/2، وابن خلكان، وفيات الأعيان، د:ت، 3/ 100، ت،ص، والسيوطي، بغية الوعاة، د:ت، 2/ 38، 39)

---

[*] العكبري بضم العين وسكون الكاف وفتح الباء نسبة إلى بلدة عكبرا، من نواحي دجلة بالعراق، ينظر معجم البلدان لياقوت الحموي 4/ 142 باب العين والكاف.

المبحث الثاني: الوقفات التفسيرية للعكبري في كتاب التبيان في إعراب القرآن.

التفسير في لغة العرب هو الإيضاح والكشف والبيان والإظهار(ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 2001، 3/ 2787، والزبيدي، تاج العروس، 1966، 3/ 470، وابن منظور،لسان العرب، 1994، 5/ 55 مادة فسر)

وهو في الإصطلاح: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ". (الزركشي، البرهان، 2004، 27/1)

فعلم التفسير يبحث فيه المفسر لكتاب الله على مراد الله تعالى من آياته، وذلك بقدر طاقة المفسر البشرية بعد أخذه بالأدوات والوسائل التي يحتاج إليها من علوم القرآن وعلوم اللغة العربية وعلوم السنة النبوية.

والإمام العكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن نجده إلى جانب إعرابه للقرآن الكريم يقف أحيانا ليفسر الآية ويبين معناها واشتقاق الكلمة وأصلها في اللغة وإن لم يعرب ذلك ومن ذلك قوله: إعراب الاستعاذة.

فقد جعل العنوان إعراب الاستعاذة ولكنه لم يعربها بل فسرها، فقال:" أعوذ أصله أعوذ بسكون العين وضم الواو مثل أقتل، فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت إلى العين وبقيت ساكنة، ومصدره عوذ وعياذ ومعاذ، وهذا تعليم، والتقدير فيه: قل أعوذ.

والشيطان فيعال من شطن يشطن إذا بعد، ويقال فيه: شاطن وتشيطن، وسمي بذلك كل متمرد لبعد غوره في الشر وقيل: هو فعلان من شاط يشيط إذا هلك فالمتمرد هالك بتمرده، ويجوز أن يكون سمي بفعلان لمبالغته في إهلاك غيره، والرجيم فعيل بمعنى مفعول: أي مرجوم بالطرد واللعن، وقيل: هو فعيل بمعنى فاعل: أي: يرجم غيره بالإغواء". (العكبري، التبيان، مصدر سابق 9/1)

فالإمام العكبري بين أصل "أعوذ" ومعنى كلمة الشيطان والأقوال الواردة في اشتقاقها وكذلك معنى كلمة الرجيم وكل ذلك تحت عنوان إعراب الاستعاذة.

وفي إعراب التسمية يقول: "الباء في ﴿بسم﴾ متعلقة بمحذوف، فعند البصريين المحذوف مبتدأ والجار والمجرور خبره والتقدير ابتدائي بسم الله، أي كائن باسم الله فالباء متعلقة بالكون والاستقرار، وقال الكوفيون: المحذوف فعل تقديره: ابتدأت أو أبدأ، فالجار والمجرور في موضع نصب بالمحذوف". (العكبري، التبيان، مصدر سابق 10/1)

ثم بين العكبري بعد ذلك أن الألف تحذف في التسمية لكثرة الاستعمال بحذفها عند كتابة البسملة كاملة، وقال عن الاسم "والأصل في اسم: سمو، فالمحذوف منه لامه، يدل على ذلك قولهم في جمعه: أسماء وأسامي وفي تصغيره سمي". (العكبري، التبيان، المصدر السابق)

وتحت عنوان إعراب التسمية أيضاً يقول العكبري: "والأصل في الله: الإلاه، فألقيت حركة الهمزة على لام المعرفة تم سكنت وأدغمت في اللام الثانية، تم فخمت إذ لم يكن قبلها كسرة، ورققت إذ كانت قبلها كسرة، ومنهم من يرققها في كل حال، والتفخيم في هذا الاسم من خواصه".(المصدر نفسه 11/1)

فالعكبري –رحمه الله – ذكر قول البصريين وقول الكوفيين في تقدير المتعلق بالباء في البسملة، هل هو اسم أو فعل قال الحافظ ابن كثير (ات 774ه).

"ومن هنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء هل هو اسم أو فعل متقاربان، وكل قد ورد به القرآن، أما من قدره باسم تقديره بسم الله ابتدائي؛ فلقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[هود: 41] ومن قدرهبالفعل أمراً أو خبراً نحو أبدأ بسم الله، أو ابتدأت بسم الله، فلقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق: 1]، وكلاهما صحيح". (ابن كثير، تفسير القرآن، 1980، 18/1)

فقد أوضح ابن كثير التقارب بين القولين واستدل على ورود هما في القرآن بآيات من الكتاب المجيد.

وقال العكبري عن أصل اسم الجلالة (الله) إنه مشتق ولم يذكر قول العلماء في عدم اشتقاقه، قال ابن الجوزي (ت 597ه): "واختلف العلماء في اسم الله الذي هو "الله" فقال قوم: إنه مشتق وقال آخرون: إنه علم ليس بمشتق". (ابن الجوزي، زاد المسير، 2002م، 7/1)

وقال القرطبي (ت 671ه): "واختلفوا في هذا الاسم هل هو مشتق أو موضوع للذات علم؟ فذهب إلى الأول كثير من أهل العلم واختلفوا في اشتقاقه وأصله، ... وذهب إلى القول الثاني جماعة من العلماء أيضاً منهم الشافعي وأبو المعالي والخطابي والغزالي والمفضل وغيرهم". (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 2005، 100/1)

وقال بعض العلماء أن الصحيح في لفظ (الله) غير مشتق، وأنه اسم علم على الذات المقدسة سبحانه وتعالى ولا يثني ولا يجمع. (ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، 2000م، 13/1) ومن الوقفات التي أجاد فيها العكبري قوله عند إعراب سورة الفاتحة:

"السراط بالسين هو الاصل؛ لأنه من سرط الشيء إذا بلغه وسمي الطريق سراطا لجريان الناس فيه كجريان الشيء المبتلع؛ فمن قرأه بالسين جاء به على الأصل، ومن قرأه بالصاد قلب السين صاداً لتجانس الطاء في الإطباق، والسين تشارك الصاد في الصفير والهمس؛ فلما شاركت الصاد في ذلك قربت منها، فكانت مقاربتها لها مجوزة قلبها إليها لتجانس الطاء في الإطباق، ومن وقرأ بالزاي قلب السين زاياً؛ لأن الزاي والسين من حروف الصفير، والزاي أشبه بالطاء؛ لأنهما مجهورتان، ومن أشم الصاد زاياً قصد أن يجعلها بين الجهر والإطباق". (العكبري، التبيان، مصدر سابق 14/1)

فقد أجاد العكبري في توضيح أصل السراط وذكر وجوه القراءات فيها وأسباب اختلاف القراء، كما أشار إلى أحكام التجويد والقراءة ومخارج الحروف وصفاتها ما يدل على تمكنه من هذه العلوم وتبحره فيها.

قال ابن الجوزي (ت 597ه):"الصراط الطريق، ويقال: إن أصله بالسين؛ لأنه من الاسترا ط وهو الابتلاع، فالسراط كأنه يسترط المارين عليه" . (ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، 12/1،13).

وتحت الفصل الذي عقده للفظة (آمين) قال العكبري "وأما آمين فاسم للفعل ومعناها: اللهم استجب، وهو مبني لوقوعه موقع المبني". (العكبري، التبيان، مصدر سابق 17/1)

وعند إعراب سورة البقرة قال العكبري عن الحروف المقطعة في أولها: "قوله تعالى: ﴿الم﴾ هذه الحروف المقطعة كل واحد منها اسم، فألف اسم يعبر به عن مثل الحرف الذي في قال، ولام يعبر بها عن الحرف الأخير من قال، وكذلك ما أشبهها، والدليل على أنها أسماء أن كلاً منها يدل على معنى في نفسه". (المصدر نفسه، 20/1)

فقد اكتفى \العكبري هنا بأن هذه الحروف المقطعة التي جاءت في أوائل بعض سور القرآن الكريم هي أسماء ومحلها من الإعراب البناء تم ذكر بعد ذلك ثلاثة أوجه في إعرابها وهي الجر على القسم، والنصب، والرفع ولم يخض في تفسير هذه الحروف .

قال الفخر الرازي (604ه) : "للناس في قوله تعالى: ﴿الم﴾ وما يجرى مجراه من الفواتح قولان: أحدهما: أن هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله تبارك وتعالى به ... والقول الثاني: قول من زعم أن المراد من هذه الفواتح معلوم، ثم اختلفوا فيه ...". (الفخر الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، 13/2)

وللعلماء في تفسير الحروف المقطعة أقوال كثيرة لخصها ابن الجوزي (ت 597ه) في ستة أقوال: أحدها أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، والثاني: أنها حروف من أسماء، والثالث: أنها حروف أقسم الله بها، والرابع: الاشارة بما ذكر من الحروف إلى سائرها، القول الخامس: أنها أسماء للسور، السادس: أن هذه الحروف المقطعة من الرمز الذي تستعمله العرب في كلامها. (ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، 13،17/1، وابن كثير، تفسير القرآن، 35/1)

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن قوله عند إعراب قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاة﴾ [البقرة: 3] قال العكبري: ويراد بها ها هنا الأفعال والأقوال المخصوصة، فلذلك جرت مجرى الاسماء غير المصادر". (العكبري، التبيان، 23/1)

فقد بين العكبري المراد بالصلاة في هذه الآية وهي العبادة المخصوصة بأفعال وأقوال وذلك لأن معاني الصلاة في اللغة كثيرة منها الدعاء، والرحمة، والتسبيح والقراءة فهي مشترك. (ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 152،153/1)

فحدد العكبري معنى الصلاة في الآية بالمعنى الشرعي.

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري عند إعرابه لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ﴾ [البقرة: 30] قوله: "الملائكة مختلف في واحدها وأصلها؛ فقال قوم: أحدهم في الاصل مالك على مفعل؛ لأنه مشتق من الالوكة وهي الرسالة، ومنه قول الشاعر: (لبيد، ديوانه، ص140)

وغلام أرسلته أمه بألوك ❖ ❖ ❖ فبذلنا ما سأل". (العكبري، التبيان، 46/1)

فالعكبري ذكر المعنى واستدل عليه بالشعر.

وفسر العكبري قوله تعالى : { رغداً } [البقرة :35] فقال :"أي : أكلاً رغداً ، أي طيباً هنيئاً "(العكبري ، التبيان 50/1). وقال في تفسير قوله تعالى : { بكفرهم } [البقرة :93] "أي : بسبب كفرهم " (المصدر نفسه 84/1) وقال في تفسير قوله تعالى : { على ملك سليمان } [البقرة : 102] "أي : على زمن ملك ، فحذف المضاف ، والمعنى : في زمن " (المصدر نفسه 88/1) .

وعند إعرابه لقول الله تعالى : { بديع السماوات والأرض } [البقرة : 117] قال العكبري : " أي : مبدعها ، كقولهم : سميع بمعنى ممسع " (المصدر نفسه 97/1) .

إعراب العكبري لقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: 138] قال العكبري:"الصبغة هنا الدين ، أي اتبعوا دين الله".(المصدر نفسه، 108/1)

وعند إعراب العكبري لقول الله تعالى: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: 187] قال: "قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ والمعنى : ولا تباشروهن وقد نويتم الاعتكاف في المسجد، وليس المراد النهي عن مباشرتهن في المسجد، لأن ذلك ممنوع منه في غير الاعتكاف". (العكبري، التبيان، 136/1).

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن قوله: "وأصل أفضتم، أفضيتم؛ لأنه من فاض يفيض إذا سال، وإذا كثر الناس في الطريق كان مشيهم كجريان السيل".(المصدر نفسه، 142/1) وذلك عند إعراب العكبري لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ [البقرة: 198].

وعند إعراب العكبري لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: 208] قال: السلم يقرأ بكسر السين وفتحها مع إسكان اللام، وبفتح السين واللام وهو الصلح، ويذكر ويؤنث، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61] ومنهم من قال الكسر بمعنى الإسلام والفتح بمعنى الصلح" (المصدر نفسه، 147/1)

فقد بين العكبري وجوه القراءات ومعنى السلم واستدل على تفسيره بالصلح بما ورد في القرآن الكريم فهو فسر القرآن بالقرآن ثم ذكر قولين للمفسرين، بالكسر الإسلام ، وبفتح السين واللام الصلح.

وذكر ابن كثير (ت 774ه) أن ابن عباس ومجاهد وطاووس والضحاك وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد، فسروا السلم في هذه الآية بالإسلام، وأن أبا العالية والربيع بن أنس قالا: معناها الطاعة. (ابن كثير، تفسير القرآن، 247/1).

وقال العكبري في تفسير قوله تعالى : {من خطبة النساء } [البقرة :235] " والخطبة بالكسر خطاب المرأة في التزويج " (العكبري، التبيان 163/1).

وقال في تفسير:{القيوم} [البقرة :255] "أي : يقوم بأمر الخلق غير غافل "(المصدر نفسه 1/ 176).

وقال في تفسير : {صفوان } [البقرة :264] " والصفوان جمع صفوانه ، والجيد أن يقال : هو جنس لا جمع " (المصدر نفسه 185/1) .

وقال في تفسير : { الإنجيل } [آل عمران :3] " من النجل وهو الأصل الذي يتفرع عنه غيره، ومنه سمي الولد نجلاً " (المصدر نفسه 203/1).

وعند نفسير العكبري لقول الله تعالى : { إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار} [آل عمران : 10] قال : " لن تدفع عنهم الأموال شيئاً من عذاب الله ، والوقود بفتح الواو الحطب ، وبالضم التوقد " (المصدر نفسه 207/1) .

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري في كتابه التبيان قوله في تفسير الحواريين الواردة في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52] قال العكبري: "واشتقاق الكلمة من الحور وهو البياض، وكان الحواريون يقصرون الثياب، وقيل: اشتقاقه من حار يحور إذا رجع فكأنهم الراجعون إلى الله، وقيل: هو مشتق من نقاء القلب وخلوصه وصدقه". (العكبري، التبيان، 227/1)

ذكر ابن الجوزي (ت 597ه) أن في معنى الحواريين ستة أقوال وهي: الخواص الأصفياء، البيض الثياب، القصارون، المجاهدون، الصيادون، الملوك. (ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، 321،320/1)

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن تفسيره للكلالة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ [النساء: 12] قال العكبري: "والكلالة على هذا الاسم للميت الذي لم يترك ولداً ولا والداً. (العكبري، التبيان، 288/1)

قال ابن قتيبة (ت 276ه): "الكلالة هو الرجل يموت ولا ولد له ولا والد". (ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 1991م، ص107)

وقال ابن العربي (ت 543ه) بعد ذكره للقراءات فيها ولغتها واختلاف العلماء في المراد بالكلالة، قال: "لكن الآن نرد في اقتحام هذا الوعر بنية وعلم، فنقول فيهما والله الموفق المنعم: إن الكلالة وإن كانت معروفة لغة متواردة على معان متماثلة ومتضادة فعلينا أن نتبصر مواردها في الشريعة فنقول: وردت في آيتين: إحداهما هذه، والأخرى التي في آخر سورة النساء، فأما هذه فهي التي لا ولد فيها ولا والد فيها إخوة لأم، وأما التي في آخر سورة النساء فهي التي لا ولد ذكراً فيها، وهم إخوة لأب وأم أو إخوة لأب أو أخوات لأب وأم وجد، فجاءت هذه الآية لبيان حال الإخوة من الأم، وجاءت في آخر النساء لبيان إخوة الأعيان والعلات حتى يقع البيان بجميع الأقسام، لوشاء ربك لجمعه وشرحه". (ابن العربي، أحكام القرآن، 1972، 348/1)

وقد أجاد ابن العربي –رحمه الله – في بيان معنى الكلالة وبين قراءاتها ولغاتها وأقوال العلماء في المراد بها. وعن معنى الكلالة قال القرطبي (ت 671ه): "فإذا مات الرجل وليس له ولد ولا والد فورثته كلالة، هذا قول أبي بكر الصديق وعمر وعلي وجمهور أهل العلم، وذكر يحيى بن آدم عن شريك وزهير وأبي الأحوص عن أبي إسحاق عن سليمان بن عبد قال: ما رأيتهم إلا وقد تواطؤا وأجمعوا على أن الكلالة من مات ليس له ولد ولا والد". (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 59/5)

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن تفسير كلمة (ثبات) الواردة في قوله تعالى: ﴿فَانفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ [النساء: 71] قال العكبري: "ثبات جمع ثبة، وهي للجماعة، وأصلها ثبوت، تصغيرها ثبيت، فأما ثبة الحوض، وهي وسطه فأصلها ثوبة من ثاب يثوب إذا رجع وتصغيرها ثويبة". (العكبري، التبيان، 319/1)

فقد بين العكبري معنى (ثبات) ووضح الفرق بين ثبة التي هي الجماعة من الناس وبين الثبة التي هي وسط الحوض، وهذا البيان من الفروق اللغوية التي عرفها العكبري وأتقنها، قال ابن كثير (ت 774ه):" ثبات أي جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة وسرية بعد سرية". (ابن كثير، تفسير القرآن، 254/1)

وعند إعراب العكبري لقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمْ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾ [النساء: 154] قال والمعنى: رفعنا فوقهم الجبل تخويفاً لهم بسبب نقضهم الميثاق". (العكبري، التبيان، 347/1)

وعند إعراب قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾ [المائدة: 3] قال العكبري: "الأزلام جمع زلم، وهو القدح الذي كانوا يضربون به على أيسار الجزور". (العكبري، التبيان، 361/1)

والاستقسام بالأزلام كان موجوداً عند العرب في الجاهلية وجاء الإسلام فحرمه؛ لأنه من أكل المال بالباطل، وادعاء معرفة الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، قال القرطبي (ت 671ه):" والأزلام عند العرب ثلاثة أنواع: منها الثلاثة التي كان يتخذها كل إنسان لنفسه، على أحدها أفعل، وعلى الثاني لا تفعل، والثالث مهمل لا شيء عليه، فيجعلها في خريطة معه فإذا أراد فعل شيء أدخل يده – وهي متشابهة – فإذا خرج أحدها ائتمر وانتهى بحسب ما يخرج له، وإن خرج القدح الذي لا شيء عليه أعاد الضرب، والنوع الثاني: سبعة أقداح كانت عند هبل في جوف الكعبة مكتوب عليها ما يدور بين الناس من النوازل، كل قدح منها فيه كتاب، والنوع الثالث: هو قداح المسير، وهي عشرة: سبعة منها فيها حظوظ وثلاثة أغفال، وكانوا يضربون بها مغامرة لهواً ولعباً، وكان عقلاؤهم يقصدون بها إطعام المساكين". (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 45/6)

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن ما قاله عند إعراب قول الله تعالى: { وقفوا على ربهم } [الأنعام :30] قال العكبري:" أي : على سؤال ربهم ، أو على ملك ربهم " (العكبري ،التبيان 422/1) .

وعند إعراب قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: 31] قال العكبري: "نداء الحسرة والويل على المجاز، والتقدير: ياحسرة احضري فهذا أوانك، والمعنى: تنبيه أنفسهم لتذكر أسباب الحسرة". (العكبري، التبيان، 423/1)

فقد وضح العكبري أن النداء وقع على الحسرة على المجاز وليست منادى في الحقيقة ليدل على كثرة التحسر وتنبيه الناس على ما يحل بهم يوم القيامة من عذاب بسبب كفرهم في الدنيا.

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن، قوله عند إعراب قول الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الانعام: 59] قال العكبري: "مفاتح هو جمع مفتح، والمفتح الخزانة، فأما ما يفتح به فهو مفتاح، وجمعه مفاتيح، وقد قيل: مفتح أيضاً". (العكبري، التبيان، 432/1)

قال القرطبي (ت 671ه): "ومفاتح جمع مفتح، هذه اللغة الفصيحة، يقال: مفتاح ويجمع مفاتيح". (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 3/7)

وعند إعراب قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ [الانعام: 150] وقف العكبري لبيان لغة العرب في كلمة هلم، فقال: "للعرب فيها لغتان إحداهما: تكون بلفظ واحد في الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث؛ فعلى هذا هي اسم للفعل، وبنيت لوقوعها موقع الأمر المبني، ومعناها: احضروا

شهداءكم، واللغة الثانية: تختلف فنقول: هلما، وهلموا، وهلمي، وهلممن، فعلى هذا هي فعل".(العكبري، التبيان، 469/1)

قال الفخر الرازي: "والقول الأول أفصح". (الفخر الرازي، التفسير الكبير، 188/13)

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري ، تفسيره لقول الله تعالى { طفقا } [الأعراف :22] بقوله : " طفقا في حكم كاد ، ومعناها الأخذ في الفعل " (العكبري : التبيان 1/ 481).

وعند إعراب العكبري لقوله تعالى : { الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً } [الأعراف :51] قال :" والتفسير : ملهواً به ، وملعوباً به " .(العكبري ، التبيان 491/1)

ومن الوقفات التفسيرية عند العكبري في كتابه التبيان في إعراب القران بيانه لورود لفظة قريب على التذكير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]، قال العكبري: "إنما لم تؤنث (قريب)؛ لأنه أراد المطر، وقيل: إن الرحمة والترحم بمعنى، وقيل: هو على النسب، أي: ذات قرب، كما يقال امرأة طالق، وقيل: هو فعيل بمعنى مفعول، كما قالوا: لحية دهين، وكف خضيب، وقيل: أرادوا المكان، أي: أن مكان رحمة الله قريب، وقيل: فرق بالحذف بين القريب من النسب وبين القريب من غيره". (العكبري، التبيان، 492/1)

فقد ذكر العكبري هذه الوجوه في تذكير (قريب) في الآية الكريمة. قال القرطبي (ت 671ه) إن في ذلك سبعة أوجه، ونسب القول بأن المراد بالرحمة في الآية هو المطر إلى الاخفش. (ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 166/7)

وقال الإمام محمد القاسمي (ت 332ه):

"وقد أوصلوا توجيه تذكيره إلى خمسة عشر وجهاً". (القاسمي، محاسن التأويل، 2003، 105/5).

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن عند إعرابه لقول الله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾ [الأعراف: 84] قال العكبري : والمطر هنا الحجارة كما جاء في الآية الأخرى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ [الحجر: 74]. (العكبري، التبيان، 498/1)

ففي هذه الوقفة التفسيرية نجد العكبري قد فسر القرآن بالقرآن، وهذا من أحسن طرق التفسير، ومن الوقفات التفسيرية أيضاً في كتاب التبيان في إعراب القرآن للعكبري، قول العكبري: "الطوفان قيل: هو مصدر، وقيل: هو جمع طوفانة، وهو الماء المغرق الكثير". (المصدر نفسه، 506/1)

وذلك عند اعرابه لقول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 133] وعند إعراب قوله تعالى: { أيانا مرساها } [الأعراف :187] قال العكبري :" مرساها مصدر مثل المدخل والمخرج ، بمعنى الإدخال والإخراج ، أي : متى أرساها "(المصدر نفسه 520/1) وعن تفسير : {ثقلت } الواردة في الآية السابقة ، قال : "أي ثقلت في السماوات والأرض أي : تثقل عند وجودها ، وقيل : التقدير ثقل علمها على أهل السماوات " (المصدر نفسه) .

وعند إعراب قوله تعالى : ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: 11] قال العكبري: "الجمهور على الزاي في رجز، ويراد به هنا الوسواس، وجاز أن يسمى رجزا؛ لأنه سبب للرجز، وهو العذاب، وقرئ بالسين، وأصل الرجس الشيء القذر فجعل ما يفضي إلى العذاب رجساً استقذاراً له". (المصدر نفسه، 527/1).

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن ما ذكره من عود الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: 40]، قال العكبري: "السكينة هي فعيلة بمعنى مفعلة أي: أنزل الله عليه ما يسكنه، والهاء في ﴿عَلَيْهِ﴾ تعود على أبي بكر رضى الله عنه؛ لأنه كان منزعجا، والهاء في ﴿أَيَّدَهُ﴾ للنبي صلى الله عليه وسلم". (المصدر نفسه 549/1)

قال ابن العربي (ت 543ه):

"قول الله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: 40] فيه قولان: أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم، والثاني: على أبي بكر – رضي الله عنه، قال علماؤنا: وهو الأقوى؛ لأن الصديق خاف على النبي - صلى الله عليه وسلم – من القوم، فأنزل الله سكينته ليأمن على النبي - صلى الله عليه وسلم – فسكت جأشه، وذهب روعه، وحصل له الأمن، وأنبت الله شجرثمامه، وألهم الوكر هنالك حمامه، وأرسل العنكبوت فنسجت عليه بيتا، فما أضعف هذه الجنود في ظاهرالحس وما أقواها في باطن المعنى". (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 951/2)

وذكر ابن الجوزي (ت 597ه) في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ أن الهاء في ﴿عَلَيْهِ﴾ ثلاثة أقوال: أنها ترجع إلى أبي بكر، وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس وحبيب ابن أبي ثابت، وحجتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم - كان مطمئنا، والقول الثاني: أن الهاء في ﴿عَلَيْهِ﴾ ترجع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - والقول الثالث: أن الهاء ها هنا في معنى التثنية. وقال ابن الجوزي: "قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي: قواه يعني النبي - صلى الله عليه وسلم - بلا خلاف".(ابن الجوزي، زاد المسير، 332/3،333)

وقال ابن الجوزي: "فإن قيل: إذا وقع الاتفاق أن هاء الكناية في "أيده" ترجع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فكيف تفارقها هاء عليه وهما متفقتان في نظم الكلام؟ فالجواب: أن كل حرف يُرد إلى الأليق به".

ومن الأمثلة على مسألة عود الضمير واهتمام العكبري ببيان ذلك في كتابه التبيان في إعراب القرآن ما ذكره عند إعراب قوله الله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: 46]، قال العكبري: "في الهاء في ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ﴾ ثلاثة أوجه: أحدها: هي ضمير الابن، أي: إنه ذو عمل، والثاني: أنها ضمير النداء والسؤال في ابنه، أي: إن سؤالك فيه عمل غير صالح، والوجه الثالث: أنها ضمير الركوب، قد دل عليه: ﴿ارْكَبْ مَعَنَا﴾، ومن قرأ: "عمل" على إنه فعل ماض، فالهاء ضمير الابن لا غير". (العكبري، التبيان، 33/2،34)

والذي قرأ بكسر الميم في عمل وفتح اللام هو الكسائي، وقرأ الباقون بفتح الميم، ورفع اللام مع التنوين، ورفع الراء في غير. (ينظر: الداني، التيسير في القراءات السبع، 2008، ص315)

ومن الأمثلة على مسألة عود الضمير، قال العكبري: "قول الله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً﴾ [طه: 106] الضمير للأرض، ولم يجرلها ذكر، ولكن الجبال تدل عليها". (العكبري، التبيان، 207/2)

وهذا القول الذي ذكره العكبري في عود الضمير إلى الأرض ذكره الفخر الرازي (ت 604ه) والقرطبي (ت 671ه) وابن كثير (ت 774ه) (ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير 11/22، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 188/11، وابن كثير، تفسير القرآن، 165/3)

وقال ابن جزي الكلبي (ت 741ه): "الضمير في يذرها للجبال، والمراد موضعها من الأرض". (ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، 1995م، 26/2)

ومن الوقفات التفسيرية للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن في مسألة عود الضمير قوله عند إعراب قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرحمه﴾ [هود: 17] قال العكبري: الهاء في "يتلوه" فيها عدة أوجه: أحدها: يرجع على من، وهو النبي، والتقدير: ويتلو محمدا صدق محمد شاهد منه أي: لسانه، وقيل: الشاهد جبريل عليه السلام، والهاء في منه لله، وفي (من قبله) للنبي، و"كتاب موسى" معطوف على الشاهد، وقيل الشاهد الإنجيل، والمعنى: أن التوراة والإنجيل يتلوان محمدا في التصديق، وقد فصل بين حرف العطف والمعطوف بقوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾، أي: وكتاب موسى عليه السلام من قبله، والوجه الثاني: أن الهاء للقرآن، أي: ويتلو القرآن شاهد من محمد، وهو لسانه، وقيل: جبريل عليه السلام، والوجه الثالث: أنها تعود على البيان الذي دلت عليه البينة، وقيل: تمام الكلام عند قوله: ﴿مِنْهُ﴾، ومن ﴿قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾ عليه السلام ابتداء وخبر". (العكبري، التبيان، 26/2)

ومن الوقفات التفسيرية للإمام العكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً﴾ [يوسف: 30] قال عند إعراب هذه الآية : "شغفها ، والمعنى: أنه أصاب شغاف قلبها، وأن حبه صار محتوياً على قلبها، كاحتواء الشغاف عليه. (العكبري، التبيان، 58/2)

ومن الوقفات التفسيرية أيضا تفسيره لصواع الملك، فقال: "وهو الإناء الذي يشرب به".(المصدر نفسه، 65/2)

وتفسير العير: بأنها الإبل، أو أصحاب الإبل". (المصدر نفسه، 69/2)

ومن الوقفات التفسيرية الجميلة للعكبري ما ذكره عند إعراب قول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: 22]، حيث قال العكبري: "وفي اللواقح ثلاثة أوجه: أحدها: أصلها ملاقح؛ لأنه يقال: ألقح الريح السحاب، كما يقال: ألقح الفحل الأنثى، أي: أحبلها، وحذفت الميم لظهور المعنى، ومثله الطوائح، والأصل المطاوح؛ لأنه من أطاح الشيء، والوجه الثاني: أنه على النسب أي: ذوات لقاح، كما يقال: طالق وطامس، والوجه الثالث: أنه على حقيقته، يقال: لقحت الريح إذا حملت الماء، وألقحت الريح السحاب إذا حملتها الماء، كما تقول: ألقح الفحل الأنثى فلقحت". (المصدر نفسه، 102/2)

ومن الوقفات التفسيرية للإمام العكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن ما جاء عند إعرابه لقول الله تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا السَّلَمَ﴾ [النحل: 28] فقد فسر العكبري الآية بأحسن الطرق وهو تفسير القرآن بالقرآن؛ فقال: "السلم هنا بمعنى القول، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمْ الْقَوْلَ﴾ [النحل: 86]

فعلى هذا يجوز أن يكون ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ تفسيرا للسلم الذي ألقوه، ويجوز أن يكون مستأنفا، ويجوز أن يكون التقدير: فألقوا السلم قائلين ما كنا". (العكبري، التبيان، 114/2)

وعند إعراب الإمام العكبري لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]، قال: "المعنى فإذا أردت القراءة، وليس المعنى إذا فرغت من القراءة". (المصدر نفسه، 142/2)

فقد بين الإمام العكبري القول الصائب في تفسير هذه الآية ورد قول الفائلين بأن الاستعاذة بعد الفراغ من قراءة القرآن حسب زعمهم. قال القاضي ابن العربي (ت 543ه) "انتهى العي بقوم إلى أن قالوا: إن القارئ إذا فرغ من قراءة القرآن حينئذ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وقال العلماء: إذا أردت قراءة القرآن تعوذ بالله، وتأولوا ظاهر ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾ على أنه إذا أردت".(ابن العربي، أحكام القرآن، 1175/3)

وقال الإمام القرطبي (ت 671ه): "فإذا أخذت في قراءته فاستعذ بالله من أن يعرض لك الشيطان فيصدك عن تدبره والعمل بما فيه، وليس يريد استعذ بعد القراءة".(القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 129/10)

ومن الوقفات التفسيرية الرائعة للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن ما قاله عند إعراب قول الله تعالى: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: 23] قال العكبري: "أف: اسم للفعل، ومعناه التضجر والكراهة، والمعنى: لا تقل لهما كفا أو أتركا . (العكبري، التبيان، 135/2)

وقد أكثر العلماء الكلام في معنى "أف" وذكروا اللغات الواردة فيها، وفي وجوه قراءاتها.(ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، 17/5، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 179/10).

وفي إيجاز مفيد لخص القول العلامة المفسر ابن جزي (ت 741ه) فقال: أف حيث وقعت اسم فعل معناها: قول مكروه، يقال عند الضجر ونحوه، وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى ألا يقال لهما ما فوق ذلك، ويجوز في "أف" الكسر، والفتح، والضم، وهي حركات بناء، وأما تنوينها فهو للتنكير". (ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، 485/1)

ومن الوقفات التفسيرية الجميلة للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن ما ذكره عند إعراب قول الله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [النور: 40]، قال الإمام العكبري: "قوله تعالى ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾، اختلف الناس في تأويل هذا الكلام، ومنشأ الاختلاف فيه أن موضوع كاد إذا نفيت وقوع الفعل، وأكثر المفسرين على أن المعنى أنه لا يرى يده، فعلى هذا التقدير ثلاثة أوجه: أحدها: أن التقدير: لم يرها، ولم يكد، ذكره جماعة من النحويين وهذا غلط؛ لأن قوله لم يرها جزم بنفي الرؤية، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ﴾ إذا أخرجها عن مقتضي الباب كان التقدير: ولم يكديراها، كما هو مصرح به في الآية؛ فإن أراد هذا القائل لم يكديراها، وأنه رآها بعد جهد، تناقض؛ لأنه نفى الرؤية تم أثبتها، وإن كان معنى ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ لم يرها البتة، على خلاف الأكثر في هذا الباب، فينبغي أن يحمل عليه من غير أن يقدر لم يراها، والوجه الثاني: أن يكاد، زائدة وهو بعيد، والوجه

الثالث أن "كاد" أخرجت ها هنا على معنى قارب، والمعنى لم يقارب رؤيتها، وإذا لم يقاربها باعدها، وعليه جاء قول ذي الرمة. (في ديوانه، ص43)

إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

أي: لم يقارب البراح، ومن ها هنا حكي عن ذي الرمة أنه روجع في هذا البيت، فقال: لم أجد بدلاً من لم يكد.

والمعنى الثاني: أنه رآها بعد جهد، والتشبيه على هذا صحيح؛ لأنه مع شدة الظلمة إذا أحد نظر إلى يده وقربها من عينه رآها". (العكبري، التبيان، 267/2)

فقد ذكر الإمام العكبري سبب الاختلاف بين العلماء في تأويل قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾، وبين أن سبب الاختلاف هو في الفعل "كاد" إذا نفيت" هل يقع الفعل أو لا يقع، وذكر أن أكثر المفسرين على عدم الرؤية، ثم ذكر أن هذا المعنى الأول فيه ثلاثة أوجه، وبين ما في الوجه الأول من هذا المعنى من خطأ، وتناقض، ومخالفة لقول أكثر العلماء والمفسرين، واستبعد الإمام العكبري الوجه الثاني، وذكر أن البيت الذي استدل به على الوجه الثالث جاء به قائله للضرورة ؛ لأنه لم يجد بدلاً من كلمة، لم يكد تم ذكر المعنى الثاني وما فيه .

قال القرطبي (ت 671ه): "وأصح الاقوال في هذا أن المعنى لم يقارب رؤيتها، فإذا لم يقارب رؤيتها لم يرها رؤية بعيدة ولا قريبة".(القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 205/12)

وعند إعراب العكبري لقول الله تعالى : {ثم تولَ عنهم } [النمل: 28] قال : "أي قف عنهم حجزاً لتنظر ماذا يردون " . (العكبري التبيان 298/2)

وقال في تفسير قوله تعالى :{ أولم نمكن لهم } [القصص:57] معنى نمكن :نجعل ، وقد صرح به في قوله تعالى : { أولم يروا أنا جعلنا حرماً } [العنكبوت : 67]. (المصدر نفسه 312/2)

وفسر العكبري قوله تعالى :{ ويكأن الله } [القصص:82] فقال : "ومعنى وي تعجب ، وكأن القوم نبهوا فانتبهوا فقالوا وي كأن الأمر كذا وكذا ." (المصدر نفسه 316/2)

وفسر العكبري قوله تعالى : {وأنى لهم التناوش } [سبأ :52] فقال : "والمعنى : من أين لهم تناول السلامة " .(المصدر نفسه 356/2)

ومن الوقفات التفسيرية للإمام العكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن ما ذكره عند إعرابه لقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 84]، قال العكبري: "أي معبود في السماء، ومعبود في الأرض". (العكبري، التبيان، 423/2)

وقال العكبري عند إعراب قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: 26]: أي: العمل أو النطق أو الاعتقاد فحذف لفهم المعنى".(المصدر نفسه، 447/2)

وقال في تفسير : {حب الحصيد } [ق:9] أي " وحب النبت المحصود " .(المصدر نفسه2/ 454) وعند إعراب قوله تعالى : { ما كذب الفؤاد ما رأى } [النجم : 11] قال العكبري : " أي ما كذب الفؤاد الشئ الذي رأت العين ، أو ما رأى الفؤاد ".(المصدر نفسه 466/2)

وقال في تفسير : قوله تعالى : { إلا اللمم } [النجم :32] " اللمم الذنب الصغير " (المصدر نفسه 469/2)

ومن الوقفات التفسيرية الجميلة للعكبري في كتابه التبيان في إعراب القرآن ما قاله عند إعراب قول الله تعالى: ﴿لِّئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: 29] قال الإمام العكبري: والمعنى: ليعلم أهل الكتاب عجزهم، وقيل: ليست زائدة، والمعنى: لئلا يعلم أهل الكتاب عجز المؤمنين، والله أعلم". (العكبري، التبيان، 489/2)

وأكثر المفسرين قالوا بزيادة "لا" في هذه الآية؛ لأن العرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل في آخره أو أوله جحد".(ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، 353/7، والفخر الرازي، التفسير الكبير، 216/29، والقاسمي، محاسن التأويل، 49/9)

وفسر العكبري قوله تعالى : { من يوم الجمعة } [الجمعة :9] فقال : "من بمعنى في ، والجمعة بضمتين وبإسكان الميم مصدر بمعنى الاجتماع ". (المصدر نفسه502/2)

وقال العكبري في تفسير قوله تعالى :{ بالخاطئة } [الحاقة :9] أي " جاءوا بالفعلة ذات الخُطُـأ " . (المصدر نفسه 517/2)

وقال في تفسير قوله تعالى :{ هـاؤم } [الحاقه :19] "اسم للفعل بمعنى خذوا " (المصدر نفسه)

وقال العكبري في تفسير قوله تعالى :{ وما أدراك ما العقبة } [البلد :12] "أي : ما اقتحام العقبة ؛ لأنه فسره بقوله تعالى :{ فك رقبة } " .(المصدر نفسه 568/2)

ونختم هذه الوقفات التفسيرية الرائعة بما قاله الإمام العكبري عند الكلام عن إعراب سورة ألم نشرح، قال العكبري: ﴿الْعُسْرِ﴾ في الموضعين واحد ؛ لأن الألف واللام يوجب تكرير الأول، وأما ﴿يُسْرًا﴾ في الموضعين فاثنان؛ لأن النكرة إذا أريد تكريرها جئ بضميرها أو بالألف واللام، ومن هنا قيل: لن يغلب عسر يسرين" والله أعلم".(العكبري، التبيان، 573/2)

وهذا الأثر الذي ذكره الإمام العكبري، وصدره بقوله: ومن هنا قيل، قال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852ه) "روي هذا مرفوعاً وموصولاً، ومرسلاً، وروي أيضاً موقوفاً". (العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 2003م، 649/8) ، ثم بيّـن العسقلاني ذلك وفصّل أسانيده ، فأجاد. رحمه الله .

قال الإمام أبو الحسن الماوردي (ت 450ه): "وإنما كان العسر في الموضعين واحداً، واليسر اثنين؛ لدخول الألف واللام على العسر، وحذفها من اليسر ليكون أقوى للأمل وأبعث على الصبر، أو أن التكرار فيه وجه ثاني هو: الإطناب والمبالغة". (الماوردي، النكت والعيون، 1992م، 298/6)

وهكذا قال بعض العلماء أن العسر واحد لوروده بالألف واللام في هذه الآية وأما اليسر فإنه اثنين، لأنه ورد على سبيل التنكير، ورد بعضهم هذا القول. (ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، 7/32)

وبعد هذه الوقفة النافعة مع وقفات العكبري الرائعة، نقف لأسجل الملاحظات الآتية في هذه الوقفات التفسيرية : ــ

فسر العكبري القرآن بالقرآن وهو من أحسن طرق التفسير، وفسره بالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين والمفسرين من قبله، كما فسر الآيات معتمداً على اللغة العربية وعلومها مع أن المقام هنا هو إعراب الآيات القرآنية كما هو عنوان الكتاب: التبيان في إعراب القرآن" فكان هذا الجهد العظيم للإمام العكبري في خدمة كتاب الله العزيز، محتوياً على ثلاثة مقاصد وهي: التبيان في إعراب القرآن وهو المقصد الرئيسي في هذا الكتاب والمقصد الثاني: وقفات تفسيرية رائعة لبعض الآيات، وكان المقصد الثالث: بيان وجوه القراءات وتوجيهها، وبيان لمواضع الوقف والابتداء.

المبحث الثالث: الوقف والابتداء في كتاب التبيان للعكبري:

علم الوقف والابتداء علم عظيم ومعرفته تحتاج إلى علوم كثيرة كالتفسير والقراءات والفقه واللغة والنحو ، وهذه العلوم قد عرفها العكبري وأتقنها وتسلح بها .

وعلم الوقف والابتداء " هو فن جليل ، وبه يعرف كيفية أداء القرآن ، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة ، وبه تتبين معاني الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات " . (الزركشي ،البرهان 1، 241/2004)

وعن أقسام الوقف قال الأشموني :

1. الوقف التـام : وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولا يتعلق ما بعده بشئ مما قبله لا لفظاً ولا معنى.
2. الوقف الكـافي : هو ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده إلا أن له به تعلقاً من جهة المعنى ، فهو منقطع لفظاً متصل معنى .
3. الحسن : ما يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده .
4. الوقف الجائز : هو ما يجوز الوقف عليه وتركه .
5. القبيح : وهو ما اشتد تعلقه بما قبله لفظاً ومعنى . (الأشموني ،منار الهدى ،1، 25/2008ـ28 وينظر الزركشي، البرهان ، 2004م ، 1/ 246ـ248، والسيوطي ، الإتقان ، 2006م/1/ 232-235.)

ولم يغفل الإمام العكبري علم الوقف والابتداء، فقد وردت في كتابه التبيان في إعراب القرآن" وقفات جميلة لبيان أماكن الوقف، وما وقف عليه العلماء، أو لبيان ما هو ليس بموضع وقف، وهذه أمثلة على ذلك، فعند إعراب قول الله تعالى: { فلا جناح عليه أن يطوف بهما } [البقرة :158] "قال العكبري واختلفوا في تمام الكلام هنا فقيل تمام الكلام { فلا جناح} ، ثم يبتدئ فيقول : {عليه أن يطوف } " (العكبري ،التبيان ،1/115)

وعند إعراب قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164] قال العكبري: "وليس في هذه الآية وقف تام؛ لأن اسم ﴿إِنَّ﴾ التي في أولها

خاتمتها".(العكبري، التبيان، 118/1) فاسم ﴿إِنَّ﴾ هو قوله تعالى في آخر الآية: ﴿لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فلا وقف في الآية حتى تمامها، فالوقف عند رأس الآية وهو وقف تام عند: ﴿يَعْقِلُونَ﴾.

قال محمد بن طيفور السجاوندي (ت 560ه): "قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لا وقف فيها إلى آخر الآية؛ لأن قوله تعالى: ﴿لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ اسم إن، والجار والمجرور وما اتصل به واقع موقع الخبر".(السجاوندي، الوقف والابتداء، د:ت، ص114، وينظر: الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، 2001م، ص28، والأشموني منار الهدى، 2008م، 94/1)

وهذه الآية الكريمة قد جمعت ثمانية أنواع من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى، ووجوده، وقدرته، وقرنت ذلك بالنظر والاعتبار لذوي العقول السليمة.

ومن الوقفات الجميلة لبيان الوقف والابتداء ما قاله العكبري عند إعراب قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 207]، قال العكبري: "وإذا اضطر حمزة هنا إلى الوقف وقف بالتاء. وفيه وجهان: أحدهما: هو لغة في الوقف على تاء التأنيث حيث كانت، والثاني: أنه دل بالوقف على التاء على إرادة المضاف إليه، فهو تقدير الوصل". (العكبري، التبيان، 146/1)

قال ابن خالويه (ت 370ه): "ووقف حمزة على "مرضات" بالتاء والحجة في ذلك: أن التاء أصل علامة التأنيث، ودليله على أصل ذلك: أن الهاء تصير في الدرج تاء، والتاء لا تصير هاء، وقفاً ولا درجاً". (ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، 1999م، ص42)

وعند إعراب قوله تعالى : { ولا يضار كاتب } [البقرة :282] قال العكبري : " والوقف عليه ممكن ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف ، أو يمكن وقف عليه وقيفةً يسيرة " . (العكبري ،التبيان 199/1) وعند إعراب العكبري لقوله تعالى : { كلمة سواء بيننا وبينكم } [آل عمران : 64] قال : " وقيل : تم الكلام على سواء ، ثم استنأف فقال بيننا وبينكم " .(المصدر نفسه 230/1)

وعند تفسير قوله تعالى : { إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا } [النساء : 22] قال العكبري :ومقتاً تمام الكلام ، ثم يستأنف { وساء سبيلا } . (المصدر نفسه 295/1)

ومن الأمثلة على ما ذكره العكبري من الوقف والابتداء في كتابه التبيان في إعراب القرآن ما قاله عند إعراب قول الله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾ [النساء: 78]، قال العكبري: "ومن القراء من يقف على اللام من قوله تعالى: ﴿هَؤُلاءِ﴾، وليس موضع وقف، واللام في التحقيق متصلة بهؤلاء وهي خبر المبتدأ". (العكبري، التبيان، 322/1).

فقد ذكر العكبري أن بعض القراء يقف على اللام في هذا الموضع، ويرى هو أن ذلك ليس بموضع وقف.

والقراء الذين وقفوا على اللام في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلاءِ﴾ هم: نافع، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، ووقف على الألف من (فما)، أبو عمرو، والكسائي. وذلك في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾ [الكهف: 49]، وقوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ [الفرقان: 7]، قوله تعالى: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المعارج: 36]. (ينظر: الداني، التيسير في القراءات السبع، ص204، وابن الجوزي، زاد المسير، 83/2)

وعند إعراب العكبري لقوله تعالى : { من أجل ذلك كتبنا ....} [المائدة :32] قال: " {من} تتعلق بـ { كَتبنا} ولا تتعلق بـ {النادمين} ؛ لانه يحسن الابتداء بـ { كتبنا } هنا ".(المصدر نفسه 374/1)

وعند إعراب العكبري لقوله تعالى : { فصبروا على ما كُذّبوا وأوذوا } [الأنعام : 34] قال :" ويجوز أن يكون الوقف تم على {كُذّبوا } ثم استأنف فقال : {وأوذوا }" .(المصدر نفسه 424/1)

وعند إعراب قوله تعالى :{ الكبير المتعال } [الرعد:9] قال العكبري : " والجيد الوقف على {المتعال} بغير ياء ؛ لأنه رأس آية ، ولولا ذلك لكان الجيد إثباتها "(المصدر نفسه 79/2)

وعند إعراب العكبري لقوله تعالى :{ لكنا هو الله ربي } [الكهف :38] قال :" والجيد حذف الألف في الوصل وإثباتها في الوقف " . (العكبري ، التبيان 160/2)

وعند إعراب العكبري لقوله تعالى :{ ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون } [يس :22] قال:" الجمهور على فتح الياء في {ومالي} ؛ لأن مابعدها في حكم المتصل بها لذا كان لا يحسن الوقف عليها والابتداء بما بعدها " (المصدر نفسه 2/ 362)

وعند إعراب العكبري لقوله تعالى :{ وباليل أفلا تعقلون } [الصافات :138] قال : " قوله تعالى:{وباليل} الوقف عليه تام " . (المصدر نفسه 375/2)

وعند إعراب قوله تعالى :{ كانو قليلاً من اليل ما يهجعون } [الذاريات :17] قال العكبري : " وقال بعضهم : تم الكلام على قوله { قليلاً } ثم استأنف فقال : { من اليل ما يهجعون } وفيه بُعد.(المصدر نفسه 459/2)

وعند إعراب العكبري لقوله تعالى :{ هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم } [الحديد :19] قال" العكبري : وقيل الوقف على {الشهداء } ثم يبتديء {عند ربهم لهم } ". (المصدر نفسه 487/2)

تلك أمثلة على ما أورده الإمام العكبري في كتابه "التبيان في إعراب القرآن" من علم الوقف والابتداء، تدل على إلمام هذا العالم الجليل بعلم الوقف والابتداء وتبحره فيه، فقد ذكر مواضع الوقف في كتابه هذا فاحتوى الكتاب على إعراب القرآن وعلى وقفات تفسيرية، وقراءات، وبيان لمواضع الوقف والابتداء.

فعلم معرفة الوقف والابتداء علم جليل، وفن جميل، وجانب مهم في أداء العبارة القرآنية، فيعرف به القارئ كيف يقرأ، وأين ينتهي عند قراءته وبما يبدأ، وذلك كله بما يتفق مع وجوه تفسير الكتاب العزيز، والمعنى السليم المستقيم واللغة العربية الصحيحة وعلومها من نحو وصرف وبلاغة؛ فيتحقق للقارئ السلامة من الوقوع في الأخطاء والمشكلات، ويبلغ القارئ وكذلك المستمع له، الهدف العظيم والغاية النبيلة من تلاوة القرآن المجيد، وهي فهم معانيه، وتدبر مقاصده، وإدراك أسراره وعجائبه، وبيان أحكامه، فيعمل بأوامره وينتهي بنواهيه، ويتأدب بآدابه.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الممتعة والمفيدة مع كتاب "التبيان في إعراب القرآن للإمام عبد الله بن الحسين العكبري نأتي على بيان أهم النتائج والملاحظات.

- الإمام العكبري عالم جليل أخذ العلوم عن كبار علماء عصره، فحفظ القرآن الكريم وتعلم علومه من تفسير وقراءات وغيرها، وتعلم السنة النبوية واللغة العربية واتقن العلوم جميعها وتميز عن علماء عصره بمصنفاته الكثيرة والشهيرة في مختلف أنواع العلوم والمعارف.
- عرف العكبري أهمية العلاقة الوطيدة بين علوم القرآن بعضها ببعض، وعلاقتها بالعلوم الأخرى كالنحو والصرف واللغة؛ فجاء كتابه "التبيان في إعراب القرآن" شاملا لكل هذه العلوم ولم يقتصر فيه على موضوعه "إعراب القرآن" فكانت الفائدة أعظم والحجة أبلغ.
- اعتنى العكبري في كتابه التبيان "بالتفسير فكانت له وقفات تفسيرية جميلة ورائعة ضمنها كتابه هذا.
- اعتنى العكبري بالوقف والابتداء أيضاً في كتابه التبيان وبين أماكن الوقف؛ لما له من أهمية في كيفية التلاوة، وبيان موضع الوقف والابتداء؛ في أمن القارئ من الوقوع في الزلل، ويأتي على الصواب الذي يتفق مع وجوه التفسير وقواعد اللغة؛ فيتحقق للقارئ وللمستمع له، المقصود من التلاوة، من فهم وتدبر وإدراك لما احتواه كتاب الله المجيد.

رحم الله تعالى الإمام العكبري رحمةً واسعة واسكنه جنات النعيم.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

﴿رَبَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص.
2. أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق على البجاوي، دار الجبل، بيروت، الطبعة الثانية 1972م.
3. إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى 1982م.
4. البحر المحيط تفسير أبي حيان، تحقيق/ عادل عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت 2001م.
5. البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى 2004م.
6. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت.
7. تاج العروس للزبيدي، دار صادر بيروت 1966م.
8. التبيان في إعراب القرآنللعكبري، شركة القدس، الطبعةالأولى 2008م.
9. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، ضبط وتحريج: محمد سالم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1995م.

10. تفسير ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، 1980م.
11. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، مراجعة: ابراهيم محمد، دار مكتبة الهلال – بيروت– الطبعة الأولى 1991م.
12. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2000م.
13. تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: رياض زكي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 2001م.
14. التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، تحقيق: حاتم صالح مكتبة الصحابة، الشارقة "الإمارات العربية، الطبعة الأولى 2008م.
15. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى 2005م.
16. الحجة في القراءات السبع لابن خالويه تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1999م.
17. ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1995م.
18. ديوان لبيد العامري، دار صادر، بيروت، د: ت.
19. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، خرج أحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 2002م.
20. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى 2003م.
21. الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 2005م.
22. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة 1994م.
23. محاسن التأويل، تفسير القاسمي، تحقيق: أحمد بن علي، وحمدي صبح، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى 2003م.
24. معجم البلدان لياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.
25. المكتفى في الوقف والابتداء، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، 2001م.
26. منار الهدى في الوقف والابتداء، للأشموني، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008م.
27. مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي د: ت.
28. النكت والعيون تفسير الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1992م.
29. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر بيروت.
30. الوقف والابتداء، لأبي عبد الله السجاوندي، تحقيق: د. محسن هاشم، دار المناهج.

جانب من الفقه التحليلي
دراسة تحليلية نموذجية

د.عبد الله الدوكالي علي معتوق، كلية الشريعة، جامعة الزيتونة

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين- والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين: سيدنا محمد الكريم- صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فكثيراً ما نسمع عن المنهج التحليلي، والعرض التحليلي، والتفسير التحليلي والإحصاء التحليلي، والمنطق التحليلي، والبيان التحليلي، والأسلوب التحليلي، والنقد التحليلي، والتحليل البنائي، وعلم النفس التحليلي، وغيرها . فماذا عن الفقه التحليلي؟.

بداية يكفي الفقه شرفاً أن يحظى باهتمام منقطع النظير- في القرآن والسنة بوجه خاص وعلوم الشريعة الإسلامية بوجه عام- فالله- عز و جلَّ- يقول في كتابه العزيز: {{فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}} (سورة التوبة: الآية: 123) أي: ليَكونوا عُلَماء به. فانظر كيف حث الأمة على ضرورة أن يتخصص منها علماء فضلاء يبحثون هذا العلم ويستنبطون الأحكام الشرعية التي تهدي أبناء الأمة إلى التشريع الصحيح والهدي النافع من خلال الآيات القرآنية وهدي النبي{{صلى الله عليه وسلم}} الذي لا ينطق عن الهوى، وهو القائل- صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"(أخرجه البخاري في صحيحه، (25/1) حديث رقم: "71")

فقد جاءت بلفظ العموم لتشمل الرجال والنساء كباراً أو صغاراً، وعلى مر الزمان، ومن هذه المدرسة الربانية تخرَّج كبار فقهاء الصحابة والصحابيات والتابعين والتابعيات... وبرز أحبار الأمة وعلماؤها وفقهاؤها شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، وفي كافة أصقاع العالم- وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها- وكلما جدت مسألة تصدى لها علماء الأمة بالتحليل والدراسة؛ لاستنباط الأحكام الشرعية المتفقة وتعاليمها السمحاء على كافة المستويات: الاجتماعية والعرفية والسياسية والاقتصادية- الخاصة أو الدولية.

ولعل من المسلم به أن كثرة الأسماء دليل على شرف المسمى، "والفقه" نال الشرف من عدة جوانب أهمها: أن شرفه ذاتي بمعناه ومضمونه ومباحثه واختصاصه، والثاني بتعدد أسمائه بوصفه أو إضافته إلى ما يبين اتجاهه أو أهدافه أو مقصوده ومحل دراسته: فيقال: الفقه العام، والفقه المقارن، والفقه المالكي والفقه الشافعي أو الحنفي أو الحنبلي.... وكلها تلتقي في كثير من المسائل والآراء والاجتهادات، وبداخل كل ما ذكر هناك فقه العبادات، وفقه المعاملات، والأحوال الشخصية أو أحكام الأسرة، أو فقه الأقضية والشهادات، أو فقه الحدود والجنايات، أو فقه المواريث والوصايا، وبداخلها أيضاً فقه الطهارة أو الصلاة أو الجنائز، أو فقه الزكاة أو الحج أو النكاح...إلخ.

هذا إلى جانب فقه النوازل، وفقه القضايا المعاصرة، وغيرها من الأصول المتعلقة بالفقه: كالقوانين الفقهية، والقواعد الفقهية، وأصول الفقه، والضوابط الفقهية، والمسائل الفقهية، والأحكام التفصيلية، وغيرها.

ولعل من أبرز المسميات التي اعتنت بالفقه ما يعرف اليوم بالفقه التحليلي، وهذه التسمية ليست مقابلة لما ذكر بقدر ما هي دراسة تحليلية تفصيلية تغوص في بحارها جميعاً؛ لاستنباط الأحكام التفصيلية الدقيقة، وتشريحها وتبسيطها وتقريبها للفهم والإدراك على كافة المستويات، وهو ما يود الباحث إلقاء الضوء عليه من خلال هذه الدراسة المتواضعة:

أهمية الدراسة:

غاية الفقه التحليلي هو الوصول إلى الأحكام التفصيلية الدقيقة المتفرعة عن الأحكام الإجمالية الكلية، في بعض المسائل التي تقتضي اختلافاً في الأحكام الشرعية، من حيث الجواز أو عدمه أو نحو ذلك- حسب تفصيل العلماء من خلال دراستهم للمسائل الواقعية أو الافتراضية، ومن خلال تفحصهم للأدلة وإصدار الأحكام الشرعية الناتجة عن استنباطاتهم لكل مسألة جزئية أو متفرعة، بعيداً عن الفقه التجريدي.

أهداف البحث:

أما الأهداف العامة فهي كثيرة وتشترك فيها معظم البحوث الدراسية كإثراء المكتبة العربية وإبراز جهود العلماء...وغيرها ولكن الهدف الأخص المأمول من هذه الدراسة فهو إظهار براعة وتفنن فقهاء المسلمين في الاستنباط الحقيقي الدقيق من خلال تفحص الأدلة الإجمالية أو التفصيلية، والتأكيد على أن اجتهادات العلماء ليست مجرد آراء وتخمينات بعيدة عن الدليل، مهما تفرعت تلك الجزئيات أوالمسائل، وهي تهمة ادعاها الكثير إجحافاً في حق جهابذة العلماء والفقهاء، في حين أن المنصفين المحقين ارتقى إلى اعتبار أقوال العلماء حجة وأصل من أصول الفقه الإسلامي: يقول الشيخ زروق[1] : "ما دون من كلام الأئمة في كل فن فهو حجة، لثبوته بتداوله، ومعرفة أصله، وصحة معناه، واتضاح مبناه، وتداوله بين أهله، واشتهار مسائله عند أئمته، مع اتصال كل عمن قبله، فلذلك صح إتباعها، ولزم، وإن انقرضت الروايات في أفرادها....." (الشيخ أحمد زرُّوق: قاعدة: (44): ص: (53).

فالشيخ زرُّوق يعتبرهم محل صدق، وثقة، وأمانة، وهم حجة فيما ينقلون، **تأمل قوله- أيضاً:** وإنما قلد الناس الأئمة الأربعة، لما ثبت من ديانتهم وعلمهم، فأثر أهل المغرب: مالكاً، لكونه إمام دار الهجرة، وأمير المؤمنين في الحديث، ولما ورد من قوله- صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن يطلب الناس

1- أبو العباس: أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، زروق: فقيه محدث صوفي. تفقه في بلده "فاس" وقرأ بمصر والمدينة، له تصانيف كثيرة يميل فيها إلى الاختصار مع التحرير، منها: قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الاصول والفقه بالطريقة، وشرح مختصر خليل، وشرحان على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: الصغير والكبير، وشرح الإرشاد، وشرح القرطبية، وعدة شروح للحكم العطائية، واغتنام الفوائد في التنبيه على معاني قواعد العقائد للغزالي، وغيرها، توفي سنة899هـ بمصراتة، من أعمال طرابلس الغرب. ينظر: معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة (155/1) الأعلام للزركلي: (91/1)- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. للإمام أبي محمد بن أبي نصر فتوح ابن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي: ص: (60)- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف: (267).

العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة)[2] ، ولم يختص بهذا الاسم سواه، إلي غير ذلك مما تنبئ عنه مناقبه الكريمة" شرح العلامة زرُّوق على المقدمة الوغليسية: ص: (194).

حدود البحث:

مسائل نموذجية للفقه التحليلي يتم اختيارها من كتاب هام معتمد في الفقه المالكي تكفي لإظهار المقصود من هذا البحث، وهو: إبراز جهود الفقهاء وقدراتهم الفائقة على تحليل المسائل وتفريعها وتجزئتها، واستنباط الأحكام الشرعية لكل جزئية من خلال فهمهم للنصوص الشرعية، وتحقيق مقاصد الشريعة، وعرض تلك الأحكام في أبسط صورة؛ تسهيلاً للفهم والإدراك، ووقوفاً عند كل حد أو حكم.

ولأجل ذلك لن يتطرق البحث إلى اختلاف المذاهب أو حتى العلماء داخل المذهب إلا عند الضرورة، **فهذا الأمر** يحتاج إلى دراسات أخرى أعمق وأكثر بحثاً وتحليلاً، بمعنى تفصيل التفصيل، وذلك بالوقوف على كل جزئية وتتبع جميع أراء العلماء في مختلف المذاهب، وفحص ردودهم وأدلتهم، وقد يؤدي تتبعه هنا إلى تشعب البحث وذهاب المقصود الأهم من هذه الدراسة المتواضعة، ولذا اقتصر البحث على إبراز نماذج يسيرة محدودة من جوانب التحليل الفقهي فليلاحظ ذلك.

منهج الدراسة:

يعتمد الباحث المنهج التحليلي الوصفي الذي يتضمن العرض والوصف والتحليل: المنهج التفكيكي التحليلي العلمي مع الالتزام بضوابط البحث العلمي- عمليّة تقسيم الكلّ إلى أجزائه وردّ الشّيء إلى عناصره أي: "دراسة تحليليّة: تتَّخذ التحليلَ أساسًا لها".

تنبيه: من منهج هذه الدراسة تخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والنصوص الفقهية قدر الإمكان، والأعلام الواردة إلا ما كان مشهوراً منها كالأنبياء والصحابة وكبار التابعين، وما ورد من تعريف لبعضهم فهو على سبيل التبرك والتيامن. كما اكتفى الباحث بتوثيق المصادر نهاية البحث نظراً لمحدودية صفحات البحث ومزيد الاختصار.

ولتسهيل هذه الدراسة فقد اختار الباحث أمثلة لعرضها وتحليلها مع وضع حدود وضوابط لهذه الدراسة وذلك على النحو الآتي:

- **أولاً:** اختيار عدة مسائل في جوانب مختلفة من فروع الفقه ودراستها دراسة تطبيقية تحليلية كنموذج للفقه التحليلي توفي بالغرض المأمول من هذه الدراسة:
- **ثانياً:** أن تكون هذه المسائل المتنوعة مدونة في أحد أهم الكتب المعتمدة في الفقه المالكي- مذهب هذا البلد- والاستعانة بأهم المصادر والمراجع التي تناولت تلك المسائل- قديماً

2- بهذا للفظ لم أعثر عليه، وفي سنن الترمذي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رِوَايَةً: «يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الإِبِلِ يَطْلُبُونَ العِلْمَ فَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِينَةِ»، قال أبو عيسى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَهُوَ حَدِيثُ ابْنِ عُيَيْنَةَ»، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، أَنَّهُ قَالَ فِي هَذَا: سُئِلَ مَنْ عَالِمُ المَدِينَةِ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ» وقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: «هُوَ العُمَرِيُّ الزَّاهِدُ» وَسَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مُوسَى، يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: «هُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ» وَالعُمَرِيُّ هُوَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ " كتاب: العلم "أبواب العلم"، باب ما جاء في عالم المدينة: (47/5) حديث رقم (2680). وأخرجه البيهقي: وقال: رواه الشافعي في القديم عن سفيان بن عيينة: معرفة السنن والآثار للبيهقي: (386/1) حديث رقم: (1884)، وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك، وقال حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه: كتاب العلم: (91/1)، وللحديث شواهد كثيرة في مسند أحمد والنسائي والبزار وغيره.

وحديثاً- مع انفتاح على بقية المذاهب كلما احتاج الأمر- وقد وقع الاختيار على الشرح الصغير: لأبي البركات سيدي أحمد الدردير، مع حاشية الصاوي، بعنوان: بلغة السالك لأقرب المسالك على مذهب الإمام مالك.. حاشية على الشرح الصغير للشيخ أحمد الدردير- تأليف الشيخ أحمد الصاوي. ولهذا المصدر عدة طبعات وقع الاختيار على طبعة حديثة وهي طبعة: دار المدار الإسلامي- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى: 2002ف. وهي من أربعة أجزاء واضحة متميزة بكتابة المتن باللون الأزرق ووضعه بين قوسين، وكتابة الشرح والحاشية باللون الأسود، مع خط فاصل أزرق بين "المتن والشرح" جعلهما في أعلى الصفحة، والحاشية في أسفل الصفحة. وقد لوحظ عليها بعض الأخطاء المطبعية- كما أنه جعل ترقيماً في أعلى الصفحة وترقيماً في أسفلها، اتفق الجزء الأول في الترقيم وأما الأجزاء الثلاث الأخيرة فقد اختلفت: في أعلى الصفحة بدأ الترقيم من رقم واحد إلى آخر الجزء- وبدأ كأنه ترقيم خاص بالمتن والشرح للشيخ الدردير- وفي أسفلها جاء متسلسلاً للجزء الأول وكأنه لحاشية الشيخ الصاوي- فمثلاً مسألة النكاح الواردة في البحث في أعلى الصفحة تحمل رقم 256 من الجزء الثاني، وفي أسفلها تحمل رقم 812 من نفس الجزء.

- **ثالثاً:** وضع خطة مبدئية مبسطة على النحو الآتي:
- **خطة البحث**

المبحث الأول: تمهيد: يشمل التعريف بالكتاب وصاحب الكتاب الذي تضمن المسائل محل الدراسة، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي لعنوان البحث

المطلب الثاني: التعريف بصاحب الكتاب "المتن والشرح"- والتعريف بصاحب الحاشية:

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي: في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من فقه العبادات: الماء المطلق.

المطلب الثاني: من فقه أحكام الأسرة: نكاح المعتدة.

المطلب الثالث: من فقه المعاملات: قضاء الدين.

الخاتمة والنتائج.

مصادر البحث.

المبحث الأول: الجانب النظري للتعريف بعنوان البحث وبيان محل الدراسة

تمهيد: للوصول إلى المقصود يرى الباحث تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة مطالب: يتم في المطلب الأول: التعريف بمفردات العنوان وتفصيلها وبيان علاقتها بالبحث ولتحقيق الغرض من الدراسة فإنه يلزم اختيار كتاب فقهي مهم ومعتمد، كما يلزم الوقوف على مسائل واضحة مدروسة دراسة شافية من قبل العلماء وعرضها بطريقة تحليلية بارزة تخدم عنوان البحث وتؤكد مضمونه، وهذا المؤلف الذي وقع عليه الاختيار"بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، يُعتبر من أهم مصادر الفقه المالكي، يعتمد عليه في الفتوى والتدريس، بمختلف الجامعات والأكاديميات التي تهتم بهذا الشأن، ويشتمل هذا الكتاب على متن وشرح للشيخ أحمد الدردير- وحاشية للشيخ أحمد الصاوي وستتم دراستهما في مطلبين عقب المطلب الأول.

المطلب الأول: التعريف بعنوان البحث:

جانب من الفقه التحليلي: المقصود بالجانب هنا بعض الأمثلة والنمادج التي تحقق المقصود من هذه الدراسة- إذ من الصعب إن لم نقل من المستحيل- الوقوق على كل ما يتعلق بمضمون التحليل الفقهي.

والفقه لغة: العلم بالشيء، والفهمُ له، وغلبَ على عِلْم الدين لسِيادَتِه، وشرفه، وفَضْلِه على سائر أَنواع العلوم، كما غلب النجمُ على الثُّرَيَّا، وقد جَعَله العُرْفُ خاصّاً بعلم الشريعة شَرَّفَها الله تعالى وتَخْصيصاً بعلم الفروع منها، ويقال أُوتِيَ فلانٌ فِقْهاً في الدين أَي فَهْماً فيه، قال الله- عز وجل- : {{لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ}}(سورة: التوبة: الآية: (123). أَي ليَكونوا عُلَماء به، ودعا النبي- صلى الله عليه وسلم- لابن عباس فقال: "اللهم فَقِّهْه في الدِّينَ وعَلِّمْه التأْويل"([3]) ، أَي: فَهِّمْه تأْويلَه ومعناه، فاستجاب الله دُعاءه، وكان من أَعلم الناس في زمانه بكتاب الله تعالى(ينظر : لسان العرب لابن منظور- المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده 128/4- المخصص: لابن سيده: 260/1- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، 239/2 "مادة فقه" .) "و كلّ علم لشيء فهو فقه و(الفِقْهُ) على لسان حملة الشرع علم خاص"(للرافعي 479/2.). وفي المعجم الوسيط: "الفقه: الفهم والفطنة والعلم، وغلب في علم الشريعة وفي علم أصول الدين. (الفقيه) العالم الفطن والعالم بأصول الشريعة وأحكامها، واستعمل فيمن يقرأ القرآن ويعلمه(إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار: مادة "فقه": (314/1). (698/2)"

وجاء في لسان العرب "...كما أَن الفِقه في الأَصل مصدر فَقِهْت الشيء أَي عَرَفته ثم خُص به علم الشريعة من التحليل والتحريم وكما أَن بيت الله- عز وجل- خُص به الكعبة وإن كانت البيوت كلها لله عز وجل" (البيضاوي: (28/1)؛ التفتازاني (11/1)) .

3- رواه الإمام أحمد، قال: "... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي أَوْ عَلَى مَنْكِبِي شَكَّ سَعِيدٌ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ" مسند أحمد – الرسالة:(225/4) حديث رقم: (2397)، وعند البخاري: بلفظ:": اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"، صحيح البخاري- طوق النجاة: كتاب الوضوء: باب وضع الماء عند الخلاء: (41/1) حديث رقم: (143)،.

وفي الاصطلاح: فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية (البيضاوي: (28/1)؛ التفتازاني (11/1)

وأما التحليلي لغة: "حلل: حَلَّ بالمكان يَحُلُّ حُلولاً ومَحَلاً ومَحَلَّاً وحَلاً وحَلَلاً بفك التضعيف نادر وذلك نزول القوم بمَحَلَّة وهو نقيض الارتحال"(ابن منظور (163/11))

وفي المعجم الوسيط: "التحليل تحليل الجملة بيان أجزائها ووظيفة كل منه"(إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار: مادة "حلل": (194/1)) ولعل ذلك من ثمرات الذكاء الذي وصفه بقوله: ".. وقدرة على التحليل والتركيب والتمييز والاختيار وعلى التكيف إزاء المواقف المختلفة(المصدر نفسه: (314/1))

وهو عنده عكس التركيب: حيث عرفه في جزء من العلوم بأنه: "تأليف الشيء من مكوناته البسيطة ويقابله التحليل(المصدر نفسه: (1/ 368))"

وفي شمس العلوم: "وحلَّل العُقد: أي أَكْثَرَ حَلَّها. وحلّل اليمين تحليلًا وتَحِلَّةً: أي أبرأها. قال الله تعالى: {{قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ}} (سورة التحريم: الآية: 2) يقال: فعلت ذلك حلّة القسم: أي لم تفعله إلا بقدر ما حللت به يمينك ولم تبالغ فيه. ثم كثر ذلك حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه: تحليل"(نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (1298/3).

وفي كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: حيث فصل الأنحاء التعليمية بقوله: "وهي أنحاء مستحسنة في طرق التعليم، أحدها: التقسيم، كتقسيم الجنس إلى الأنواع، والنوع إلى الأصناف، والصنف إلى الأشخاص. وثانيها التحليل، وهو عكسه أي التكثير من أسفل إلى فوق، أي من أخصّ إلى ما هو أعم، كتحليل زيد إلى الإنسان والحيوان، وتحليل الإنسان إلى الحيوان والجسم"(التهانوي: (15/1).

وبهذه التوطئة: يمكن أن يتلمس الباحث التعريف الشرعي للفقه التحليلي وعلاقته بالتعريف اللغوي: فقد تحدث للناس أمور ونوازل تحتاج إلى فتاوى وآراء فقهية وأقضية لا يستطيع الفقيه الوصول إليها إلا بعد تفحص الأدلة الشرعية المختلفة وتفصيلها وتحليلها وافتراض المسائل ووضع حل فقهي لكل جزئية أو احتمال، {{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}} (سورة التوبة: الاية (123)) وقال جلَّ في علاه:{{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً (81) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}} (سورة النساء: الآية: (81- 82). فاستنباط الأحكام من بطون النصوص وتنزيلها وفق أدلتها التفصيلية له جهابذة متميزون بقدرات خاصة فائقة، مصحوبة بيقين راسخ، وإيمان خارق، وعقل راجح، وتسليم مطلق، تأمل قوله تعالى:{{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}} (سورة آل عمران: الآية (7)) وهذا كله توفيق من عند الله وعناية فريدة اختص بها من أحب من عباده وسبق قوله: {{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}} (سورة النساء: الآية: (82))

فالمسلمون في أمس الحاجة إلى الفقه التحليلي التام المضبوط الذي يتصور المسائل ويضع لها الحلول الناجعة المتمشية مع ضوابط الشريعة بأصولها وفروعها.

المطلب الثاني: التعريف بصاحب الكتاب "المتن والشرح"- والتعريف بصاحب الحاشية:

أما صاحب الكتاب فهو: الشيخ الدردير: الشهاب أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري، أبو البركات الشهير بالدردير: وأحد المنسوب لهم التجديد على رأس المائة الثانية عشرة من المالكية، يروي عن كوكبة من العلماء- فاضل، من فقهاء المالكية، . ولد سنة 1127هجرية في بني عدي (بمصر) وتعلم بالأزهر، من تصانيفه: أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، وشرح مختصر خليل- في الفقه، وفتح القدير في أحاديث البشير النذير، وتحفة الإخوان في آداب أهل العرفان، ومنظومة الخريدة البهية في التوحيد، ورسالة في متشابهات القرآن، توفي بالقاهرة في 6 ربيع الأول سنة: 1201هـ رحمه الله تعالى (الزركلي: (244/1) ، محمد مخلوف: ص: (359)، عمر رضا كحالة (67/2)).

وأما صاحب الحاشية فهو الشيخ: أحمد بن محمد الصاوي، المصري، الخلوتي، الشهير بالصاوي: فقيه مالكي، ولد في صاء الحجر[4] على شاطئ النيل- من إقليم الغربية بمصر، وتوفي بالمدينة المنورة، له عدة مؤلفات، منها: بلغة السالك لأقرب المسالك- في فروع الفقه المالكي، وحاشية على تفسير الجلالين، وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية، وحاشية على جوهرة التوحيد للقّاني، والفرائد السنية- شرح همزية: للبوصيري، وغيرها، توفي سنة: 1241ه(الزركلي: (246/1)- عمر رضا كحالة (111/2)- هدية العارفين: لإسماعيل باشا البغدادي (184/1).).

المطلب الثالث: التعريف بالمؤلف المقصود:- والحقيقة هنا: تعجز الكلمات عن وصف هذين المصدرين، وكفاهما شرفاً أنهما مصدران أساسيان من مصادر الفقه المالكي، وللاختصار سيكتفي الباحث بما ذكره المؤلفان:

❖ **الشرح الصغير للشيخ أحمد الدردير:-**

قَالَ الْإِمَامُ الدَّرْدِيرُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَفْضَالِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَآلِهِ (أَمَّا بَعْدُ) فَهَذَا شَرْحٌ لَطِيفٌ عَلَى كِتَابِنَا الْمُسَمَّى بِأَقْرَبِ الْمَسَالِكِ لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، اقْتَصَرْت فِيهِ عَلَى بَيَانِ مَعَانِي أَلْفَاظِهِ، لِيَسْهُلَ فَهْمُهُ عَلَى الْمُبْتَدَئِينَ، وَشَرْحُهُ وَقِرَاءَتُهُ لِمَنْ شَاءَ بِمَشِيئَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأَقُولُ وَبِهِ أَسْتَعِينُ: (يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمُنْكَسِرُ الْفُؤَادُ مِنْ التَّقْصِيرِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الدَّرْدِيرُ): الْقَوْلُ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى مَعْنًى وُضِعَ لَهُ ذَلِكَ اللَّفْظُ ...."(الشيخ أحمد الصاوي (10/1)) .

❖ **وأما حاشية الشيخ الصاوي المسماة:** "بلغة السالك لأقرب المسالك على مذهب الإمام مالك-

فيقول الشيخ أحمد الصاوي: "أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ الِاشْتِغَالُ بِالْعِلْمِ مِنْ أَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَوْلَى مَا أُنْفِقَتْ فِيهِ نَفَائِسُ الْأَوْقَاتِ، خُصُوصًا عِلْمَ الْفِقْهِ الْعَذْبَ الزُّلَالَ، الْمُتَكَفِّلَ بِبَيَانِ الْحَرَامِ مِنْ الْحَلَالِ، وَقَدْ

4 - لم أعثر على هذا الاسم في كتب تراجم البلدان، ولكن معظم المصادر التي ترجمت للشيخ ذكرته بهذا الاسم، ويبدو أنه موضع بالقاهرة على شاطئ النيل من اقليم الغربية.

كَانَ مَذْهَبُ مَالِكٍ أَهْلًا وَحَقِيقًا بِذَلِكَ، كَانَ أَحْسَنَ مَا أُلِّفَ فِيهِ مِنْ الْمُخْتَصَرَاتِ مَتْنًا وَشَرْحًا مُخْتَصَرُ شَيْخِنَا وَشَيْخِ مَشَايِخِنَا شَيْخِ الْوَقْتِ وَالطَّرِيقَةِ، وَمَعْدِنِ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ، أَبِي الْبَرَكَاتِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الدَّرْدِيرِ الْعَدَوِيِّ مَالِكٍ الصَّغِيرِ- الَّذِي سَمَّاهُ أَقْرَبَ الْمَسَالِكِ إلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ" ؛ أَمَرَنِي مَنْ لَا تَسَعُنِي مُخَالَفَتُهُ خَلِيفَتُهُ وَوَارِثُ حَالِهِ أَخُونَا فِي اللَّهِ الشَّيْخُ صَالِحٌ السِّبَاعِيُّ(عمر رضا كحالة (5/ 10)، الزركلي: (3/ 195)): أَنْ أَكْتُبَ عَلَيْهِ كِتَابَةً تُنَاسِبُهُ فِي السُّهُولَةِ؛ فَأَجَبْته لِذَلِكَ رَاجِيًا الْفَتْحَ مِنْ الْقَادِرِ الْمَالِكِ، وَسَمَّيْتهَا: بُلْغَةَ السَّالِكِ لِأَقْرَبِ الْمَسَالِكِ "لِيُنْتَفَعَ بِهَا إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْثَالِي مِنْ الْقَاصِرِينَ" (حاشية الصاوي على الشرح الصغير (9/1).

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي التحليلي

المطلب الأول: جانب من فقه العبادات:

قال الشيخ أحمد الدردير:" **وَيُرْفَعُ بِالْمُطْلَقِ، وهو: ما صدق عليه اسم ماء بلا قيد وإن جمع من ندى او ذاب بعد جموده مالم يتغير لونا أو طعما أو ريحا بما يفارقه غالبا من طاهر أو نجس مخالط أو ملاصق لا مجاور**"(الشرح الصغير للشيخ الدردير: (1/28- 30)).

فهذه العبارة الفقهية من متن الشيخ الدردير الذي شرحها شرحاً مبسطاً بين فيه حد الماء المطلق ومصادره وشرطه بعدم تغير لونه أو طعمه أو ريحه فإن تغير بشيء من ذلك سلب الطهورية.... إلى قوله: "ومحل سلب الطهورية إن خالط شيء مما ذكر الماء، بأن امتزج به أو لاصقه، كالرياحين المطروحة على سطح الماء والدهن الملاصق له؛ فنشأ من ذلك تغير أحد أوصاف الماء، لا إن جاوره فتكيف الماء بكيفية المجاور فلا يضر".

وحينما أُدخلت المجهر الفقهي التحليلي تفرعت إلى سِتٌّ وَثَلَاثُونَ صُورَةً- قال الشيخ أحمد الصاوي: "وَحَاصِلُ الْفِقْهِ فِي الْمُتَغَيِّرِ أَحَدُ أَوْصَافِهِ بِالْمُفَارِقِ غَالِبًا- إنْ كَانَ مُخَالِطًا أَوْ مُلَاصِقًا - أَنْ يُقَالَ: إمَّا أَنْ يُتَحَقَّقَ التَّغَيُّرُ أَوْ يُظَنَّ أَوْ يُشَكَّ أَوْ يُتَوَهَّمَ، فَهَذِهِ أَرْبَعُ صُوَرٍ مَضْرُوبَةٌ فِي الْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ بِاثْنَيْ عَشَرَ، وَهِيَ مَضْرُوبَةٌ فِي الْمُخَالِطِ وَالْمُلَاصِقِ؛ فَالْحَاصِلُ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ صُورَةً: فَإِنْ كَانَ التَّغَيُّرُ مُحَقَّقًا أَوْ مَظْنُونًا ضَرَّ فَالْخَارِجُ اثْنَا عَشَرَ. فَإِنْ كَانَ مَشْكُوكًا أَوْ مُتَوَهَّمًا فَلَا يَضُرُّ، فَهَذِهِ اثْنَا عَشَرَ أَيْضًا. وَأَمَّا الْمُجَاوِرُ فَلَا يَضُرُّ التَّغَيُّرُ بِهِ مُطْلَقًا فِي اثْنَيْ عَشَرَ وَهِيَ تَغَيُّرُ أَحَدِ أَوْصَافِهِ تَحْقِيقًا أَوْ ظَنًّا أَوْ شَكًّا أَوْ تَوَهُّمًا، فَالْجُمْلَةُ سِتٌّ وَثَلَاثُونَ صُورَةً، وَقَدْ عَلِمْتهَا. وَخِلَافُ هَذَا لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ، انْتَهَى بِالْمَعْنَى مِنْ حَاشِيَةِ الْأَصْلِ"(حاشية الصاوي على الشيخ الدردير: (1/ 30- 31))(5)

---

[5]- وقال في المقدمة: "مُشِيرًا بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ لِحَاشِيَةِ شَيْخِنَا وَقُدْوَتِنَا الشَّيْخ مُحَمَّدٍ الدُّسُوقِيِّ عَلَى شَرْحِ شَيْخِنَا الْمُؤَلِّفِ عَلَى مُخْتَصَرِ الْعَلَّامَةِ أَبِي الضِّيَاءِ الشَّيْخِ خَلِيلٍ ، وَبِالْأَصْلِ لِشَرْحِ الْمُؤَلِّفِ الْمَذْكُورِ وَشَيْخِنَا فِي مَجْمُوعِهِ لِمَجْمُوعِ شَيْخِنَا وَقُدْوَتِنَا أَبِي مُحَمَّدٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَمِيرِ ، وَبِالْحَاشِيَةِ لِحَاشِيَةِ شَيْخِ الْمَشَايِخِ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الصَّعِيدِيِّ الْعَدَوِيِّ عَلَى الْخَرَشِيِّ": (1/9).

ولزيادة التوضيح يمكن بيان هذه التقسيمات من خلال الجدول الآتي:

نوع الماء	نوع التغير	حالة التغير	الحكم الشرعي	ملاحظات
ماء مخالط	تغير طعمه أو تغير لونه أو تغير ريحه	تحقيقاً	لا يصح استعماله	المجموع اثنتا عشرة صورة ستاً منها يضر استعمال الماء فيها، وهي: إذا تغير طعمه أو لونه أو ريحه في حالتي التحقيق أو الظن، والست الباقية لا يضر.
		ظناً	لا يصح استعماله	
		شكاً	يصح استعماله	
		توهماً	يصح استعماله	
ماء ملاصق	تغير طعمه أو تغير لونه أو تغير ريحه	تحقيقاً	لا يصح استعماله	المجموع اثنتا عشرة صورة ستاً منها يضر استعمال الماء فيها، وهي: إذا تغير طعمه أو لونه أو ريحه في حالتي التحقيق أو الظن، والست الباقية لا يضر.
		ظناً	لا يصح استعماله	
		شكاً	يصح استعماله	
		توهماً	يصح استعماله	
ماء مجاور	تغير طعمه أو تغير لونه أو تغير ريحه	تحقيقاً	يصح استعماله	المجموع اثنتا عشرة صورة لا يضر استعمال الماء فيها وهي: إذا تغير طعمه أو لونه أو ريحه تحقيقاً أو ظناً أو شكاً أو توهماً
		ظناً	يصح استعماله	
		شكاً	يصح استعماله	
		توهماً	يصح استعماله	

والنتيجة: "ست وثلاثون صورة": لا يصح استعمال الماء الذي تغير أحد أوصافه الثلاثة: لونه أو طعمه أو ريحه- سواء كان مخالطاً أو ملاصقاً- فهذه ست صور مضروبة في اثنتين، وهي ما إذا كان التغير محققاً أو مظنوناً، ومجموع ذلك اثنتا عشرة صورة، ولا يضر التغير في الأربع والعشرين صورة الباقية.

وفي مسالة اخرى: في صورة قريبة من هذا يقول الشيخ أحمد الدردير: " **أو شك في مغيره هل يضر أو في ماء جعل في الفم هل تغير او في ماء خلط بموافق هل يغير لو خالف، كتحققه على الأرجح**"(الشرح الصغير للدردير: (1/34- 35)).

قال الشيخ الصاوي محللاً: "حاصل ما قاله المصنف والشارح فيما إذا خالط الماء المطلق شيء أجنبي موافق لأوصافه: كماء الرياحين المنقطعة الرائحة وماء الزرجون- بفتح الزاى- أي حطب العنب، أنه لو قدر مخالفاً ولم يغيره تحقيقاً أو ظناً أو شكاً لا يضر من غير خلاف، ولو كان يغيره تحقيقاً أو ظناً لم يضر على الراجح. وَأَصْلُ الْمَسْأَلَةِ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً لِأَنَّ الْمَاءَ الْمُطْلَقَ إمَّا قَدْرُ آنِيَةِ الْوُضُوءِ، أَوْ أَقَلُّ مِنْهَا أَوْ أَكْثَرُ، وَفِي كُلٍّ إمَّا أَنْ يُخْلَطَ بِمُسَاوٍ لَهُ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ، فَهَذِهِ تِسْعٌ وَفِي كُلٍّ لَوْ قُدِّرَ مُخَالِفًا - إمَّا أَنْ يُتَحَقَّقَ عَدَمُ التَّغَيُّرِ، أَوْ يُظَنَّ عَدَمُهُ، أَوْ يُشَكَّ، أَوْ يُتَوَهَّمَ، أَوْ يُتَحَقَّقَ التَّغَيُّرُ .

فَهَذِهِ خَمْسٌ مَضْرُوبَةٌ فِي التِّسْعِ بِخَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ صُورَةً، مِنْهَا سَبْعٌ وَعِشْرُونَ لَا ضَرَرَ فِيهَا قَطْعًا؛ وَهِيَ مَا إذَا تُحُقِّقَ عَدَمُ التَّغَيُّرِ، أَوْ ظُنَّ عَدَمُهُ، أَوْ شُكَّ: فَهَذِهِ ثَلَاثُ صُوَرٍ مَضْرُوبَةٍ فِي التِّسْعِ وَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي قَوْلِ الْمُصَنِّفِ، وَفِيمَا خُلِطَ بِمُوَافِقٍ هَلْ يُغَيَّرُ لَوْ خَالَفَ؟ لِأَنَّ مَوْضُوعَهُ الشَّكُّ فِي التَّغَيُّرِ عَلَى تَقْدِيرِ الْمُخَالَفَةِ، فَمِنْ بَابٍ أَوْلَى تَحَقُّقُ الْعَدَمِ وَظَنُّهُ.

وَالثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الْبَاقِيَةُ حَاصِلَةٌ مِنْ ضَرْبِ تَحَقُّقِ التَّغَيُّرِ أَوْ ظَنِّهِ فِي التِّسْعِ، دَاخِلَةٌ فِي قَوْلِ الْمُصَنِّفِ: [كَتَحَقُّقِهِ عَلَى الْأَرْجَحِ]حاشية الصاوي: (1/34- 35).

ولزيادة التوضيح يمكن بيان هذه التقسيمات من خلال الجدول التالي

كمية الماء	قدر المخالط الموافق لأوصافه	حالة التغير	الحكم الشرعي	ملاحظات
قدر آنية	مساو أو أقل أو أكثر	عدم التغير تحقيقاً	يصح استعماله	المجموع خمس عشرة صورة، ستاً منها لا يصح استعمال الماء فيها، وهي: إذا كان المخالط الموافق مساو أو أقل أو أكثر في حالتي عدم التغير توهماً أو عند تحقق التغير، ويصح استعماله في التسع الصور الأخرى.
		عدم التغير ظناً	يصح استعماله	
		عدم التغير شكاً	يصح استعماله	
		عدم التغير توهماً	لا يصح استعماله	
		تحقق التغير	لا يصح استعماله	
أقل من آنية	مساو أو أقل أو أكثر	عدم التغير تحقيقاً	يصح استعماله	المجموع خمس عشرة صورة، ستاً منها لا يصح استعمال الماء فيها، وهي: إذا كان المخالط الموافق مساو أو أقل أو أكثر في حالتي عدم التغير توهماً أو عند تحقق التغير، ويصح استعماله في التسع الصور الأخرى.
		عدم التغير ظناً	يصح استعماله	
		عدم التغير شكاً	يصح استعماله	
		عدم التغير توهماً	لا يصح استعماله	
		تحقق التغير	لا يصح استعماله	
أكثر من آنية	مساو أو أقل أو أكثر	عدم التغير تحقيقاً	يصح استعماله	المجموع خمس عشرة صورة، ستاً منها لا يصح استعمال الماء فيها، وهي: إذا كان المخالط الموافق مساو أو أقل أو أكثر في حالتي عدم التغير توهماً أو عند تحقق التغير، ويصح استعماله في التسع الصور الأخرى.
		عدم التغير ظناً	يصح استعماله	
		عدم التغير شكاً	يصح استعماله	
		عدم التغير توهماً	لا يصح استعماله	
		تحقق التغير	لا يصح استعماله	

والنتيجة: أنه يصح استعمال الماء الذي خالطه موافق لأوصافه كماء الرياحين المنقطعة الرائحة وماء الزرجون ونحوها في سبع وعشرين صورة؛ وذلك سواء كان قدر آنية أو أكثر أو أقل، خلط بمساوٍ أو أقل أو أكثر، وكان عدم التغير محققاً أو مظنوناً أو مشكوكاً، من حاصل ثلاث صور مضروبة في ثلاث في ثلاث، ويضر استعماله في الثمانية عشرة صورة الباقية: الحاصلة من ضرب ثلاثة "قدر الماء في ثلاثة قدر المخالط في اثنين حالة التوهم لأنها تعني ظن في التغير وكذلك حالة التحقق من التغير.

وعموماً فهذه التقسيمات: ليست مجرد تخمينات أو تعقيدات، وإنما هي نتاج استنباط وإدراك الفقهاء لمنطوق ومفهوم مختلف النصوص القرآنية والسنة النبوية، قولاً او فعلا أو تقريرا، أو اجتهادات أهل الحجة والبيان، ومن أهم هذه النصوص التي عالجت هذه المسائل وغيرها: قوله تعالى: {{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا}} (سورة المائدة: الآية: "7".)

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ اَلْبَاهِلِيِّ_(ابن حجر العسقلاني (420/3)- تهذيب التهذيب: لابن حجر (420/4)- صفة الصفوة: لابن الجوزي (308/1)- الإستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر: (221/1)).- **رضي الله عنه** - **قَالَ: قَالَ رَسُولُ** - صلى الله عليه وسلم **إِنَّ اَلْمَاءَ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ، إِلَّا مَا غَلَبَ عَلَى رِيحِهِ وَطَعْمِهِ، وَلَوْنِهِ**" [6]

وفي مسند الربيع عن ابن عباس عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "المَاء طهُور لَا يُنجسهُ إِلَّا مَا غير لَونه أَو طعمه أَو أَو رَائِحَتَهُ" الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الأزدي، باب: في أحكام المياه (156)، (ص: 71).

وفي صحيح مسلم:"باب- [عنوانه]- الدليل على أن من تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك" . (أخرجه مسلم في صحيحه:- ت: عبد الباقي: (كتاب الحيض، باب: الدليل..) (1/ 276)).

وكذا في صحيح ابن خزيمة باب- [عنوانه]: "باب ذكر الدليل على أن الوضوء لا يجب إلا بيقين حدث إذ الطهارة بيقين لا تزول بشك و ارتياب و إنما يزول اليقين باليقين فإذا كانت الطهارة قد تقدمت بيقين لم تبطل الطهارة إلا بيقين حدث". (صحيح ابن خزيمة: (17/1).

وفي رواية:- "ادْفَعُوا عَنْ وُضُوئِكُمْ بِاليَقِينِ وَادْفعُوا عَنْ صَلاَتِكُم بِالشَّكِ" الديلمي عن عائشة:(19840)، (473/7).[7]

وَحَدِيثُ اَلنَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْقُرُ عِنْدَ عَجُزِ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ، فَلَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا»، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنَ الطَّهَارَةِ فَلَا يُزِيلُ يَقِينَ الطَّهَارَةِ إِلَّا بِيَقِينِ الْحَدَثِ... " (البيهقي: (236/11) حديث رقم: (15381).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ: أَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ، أَمْ لَا؟ فَلَا يَخْرُجَنَّ مِنْ اَلْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا" (أخرجه مسلم في صحيحه:- ت: عبد الباقي: ، (276/1) حديث رقم: (362).

---

6 - أخرجه ابن ماجة، كتاب الطهارة وسننها: باب: الحياض: (174/1) حديث رقم: (521)، وَضَعَّفَهُ أَبُو حَاتِمٍ، قال السندي الحديث بدون الاستثناء رواه النسائي وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري،وَلِلْبَيْهَقِيِّ: بلفظ- "إِنَّ الْمَاءَ طَاهِرٌ إِلاَّ إِنْ تَغَيَّرَ رِيحُهُ أَوْ طَعْمُهُ أَوْ لَوْنُهُ بِنَجَاسَةٍ تَحْدُثُ فِيهِ »- السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي: (259/1) حديث رقم: (1273).

7- وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: "أرأيت إن شككت أكون أحدثت قال فلا تقم للصلاة إلا بيقين" مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، رقم: (539)، (142/1).

وفي مسند الإمام أحمد: عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- "إِذَا كَانَ الْمَاءُ قَدْرَ قُلَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ لَمْ يُنَجِّسْهُ شَيْءٌ قَالَ وَكِيعٌ يَعْنِي بِالْقُلَّةِ الْجَرَّةَ" (مسند أحمد – الرسالة: (374/8) حديث رقم: (4753) [8].

وفيه أيضاً: عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ الْمَاءِ يَكُونُ بِالْفَلَاةِ مِنْ الْأَرْضِ وَمَا يَنُوبُهُ مِنْ الدَّوَابِّ وَالسِّبَاعِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يُنَجِّسْهُ شَيْءٌ" (مسند أحمد – الرسالة: (422/8) حديث رقم (4803).

هذا وغيرها من النصوص وترجيحات العلماء واستنباطاتهم مجالها كتب الفقه وفقه الكتاب وفقه السنة والفتاوى وغيرها.

المطلب الثاني: من فقه أحكام الأسرة

نكاح المعتدة

يقول الشيخ أحمد الدردير: في مسألة نكاح المعتدة: "... وتأبد تحريمها بوطء نكاح ولو بعدهما، أو مقدمته، أو وطء بشبهة فيهما، أو بوطء ملك، أو شبهته فيها، إن كانت العدة أو الاستبراء من غيره، وإلا فلا، كالعقد أو وطء بملك، أو شبهته، في استبراء".

فهذا المتن اللغز شرحه الشيخ أحمد الدردير- ومختصر شرحه: أن المعتدة بنكاح أو شبهته أو المستبرأة بملك أو شبهته أو الغصب أو الزنا يتأبد تحريمها بسبب وطء مستند لعقد ولو وقع بعد فراغ العدة أو الاستبراء- أو بمقدمات النكاح كالقبلة أو المباشرة حيث استند لذلك العقد ووقعت في أثناء العدة أو الاستبراء- أو بوطء شبهة نكاح يتأبد تحريمها كذلك بأن اعتقد انها زوجته أو بوطء ملك أو شبهته" (الشرح الصغير: (2/ 256- 258).

وبالتحليل الفقهي يقول الشيخ أحمد الصاوي: "حَاصِلُهُ أَنَّ الصُّوَرَ هُنَا سِتٌّ وَثَلَاثُونَ صُورَةً مِنْ ضَرْبِ سِتَّةٍ فِي مِثْلِهَا ؛ لِأَنَّ الْمَحْبُوسَةَ إمَّا فِي عِدَّةٍ فِي نِكَاحٍ أَوْ اسْتِبْرَاءٍ مِنْ شُبْهَةٍ أَوْ مِنْ مِلْكٍ أَوْ شُبْهَتِهِ، أَوْ مِنْ زِنًا أَوْ غَصْبٍ، وَالطَّارِئُ وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ السِّتَّةِ، يَتَأَبَّدُ التَّحْرِيمُ فِي سِتَّةَ عَشْرَ صُورَةً: وَهِيَ مَا إذَا طَرَأَ نِكَاحٌ أَوْ شُبْهَتُهُ عَلَى السِّتَّةِ، فَهَذِهِ اثْنَتَا عَشْرَةَ صُورَةً، أَوْ طَرَأَ مِلْكٌ أَوْ شُبْهَتُهُ عَلَى نِكَاحٍ أَوْ شُبْهَتِهِ، فَهَذِهِ أَرْبَعٌ تُضَمُّ لَهَا، أَفَادَهَا كُلَّهَا بِقَوْلِهِ:- وَتَأَبَّدَ تَحْرِيمُهَا بِوَطْءٍ إلَى قَوْلِهِ: إنْ كَانَتْ الْعِدَّةُ أَوْ الِاسْتِبْرَاءُ مِنْ غَيْرِهِ - ، وَأَمَّا طُرُوُّ زِنًا أَوْ غَصْبٍ عَلَى السِّتَّةِ أَوْ طُرُوُّ مِلْكٍ أَوْ شُبْهَتِهِ عَلَى مَالِكٍ أَوْ شُبْهَتِهِ أَوْ زِنًا أَوْ غَصْبٍ فَهَذِهِ عِشْرُونَ، لَا يَتَأَبَّدُ بِهَا التَّحْرِيمُ، وَهَذِهِ قَدْ أَفَادَهَا بِقَوْلِهِ أَوْ الزِّنَا أَوْ وَطْءٍ، مِلْكٍ أَوْ شُبْهَتِهِ فِي اسْتِبْرَاءٍ" (حاشية الصاوي: (2/ 812).

---

8 - مسند أحمد – الرسالة: (374/8) حديث رقم: (4753)، وَعَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - إذَا كَانَ اَلْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ اَلْخَبَثَ - وَفِي لَفْظٍ: - لَمْ يَنْجُسْ - أَخْرَجَهُ اَلْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ خُزَيْمَةَ. وَاِبْنُ حِبَّانَ: ينظر: بلوغ المرام من أدلة الأحكام (ص: 4)، وفي مسند الربيع: (157) عن أبي عبيدة بن جابر بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان الماء قدر قلتين لم يحتمل خبثا وفي رواية أخرى قدر قلتين ماء لا ينجسه شيء" (ص: 71).

ولزيادة التوضيح يمكن بيان هذه التقسيمات من خلال الجدول التالي

الدخول الحادث ← / العدة أو الاستبراء ↓	بنكاح	بشبهة نكاح	بملك	بشبهة ملك	بغصب	بزنا
من نكاح	يتابد التحريم	يتابد التحريم	يتابد التحريم	يتابد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم
من شبهة نكاح	يتابد التحريم	يتابد التحريم	يتابد التحريم	يتابد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم
من ملك	يتابد التحريم	يتابد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم
من شبهة ملك	يتابد التحريم	يتابد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم
من غصب	يتابد التحريم	يتابد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم
من زنا	يتابد التحريم	يتابد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم	لا يتأبد التحريم

والنتيجة: واضحة جداً بعد هذا التحليل النهائي: حيث يتأبد تحريم المرأة في ست عشرة صورة: وهي ما إذا كانت في عدة أو استبراء في الحالات الستة، ودخل عليها بنكاح أو شبهة نكاح كما يتأبد تحريمها فيما إذا كانت في عدة من نكاح أو شبهة نكاح ودخل عليها بملك أو شبهة ملك، ولا يتأبد تحريمها في عشرين الصور الباقية.

وهذه التقسيمات وتفرعاتها ما هي إلا نتاج لاستنباطات العلماء للنصوص الشرعية المختلفة التي أمرت بإحصاء العدة والاهتمام بها والوقوف عند حدودها- بل جعلتها من أساسيات تقوى الله والاعتصام به- كي لا تختلط الأنساب، ولضمان الحقوق، وللرحمة والرفق بالأطفال والنساء والمحافظة على صحتهن البدنية، وغيرها من الحكم الشرعية التي لا تحصى، ومن أهم هذه النصوص التي عالجت المسألة:

قوله تعالى في سورة الطلاق- بعد- بسم الله الرحمن الرحيم- :

{{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا(2) وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا(3) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا(4)}} (سورة الطلاق: (1- 4)).

وفي سورة البقرة:{{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}}(سورة البقرة: الاية 233)

وروى البخاري: "أَنَّ سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةَ[9] نُفِسَتْ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِلَيَالٍ، فَجَاءَتِ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَاسْتَأْذَنَتْهُ أَنْ تَنْكِحَ، فَأَذِنَ لَهَا فَنَكَحَتْ"([10]).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:".... فَلَا أَرَى بَأْسًا أَنْ تَزَوَّجَ حِينَ وَضَعَتْ وَإِنْ كَانَتْ فِي دَمِهَا، غَيْرَ أَنْ لَا يَقْرَبُهَا زَوْجُهَا حَتَّى تَطْهُرَ" أخرجه مسلم في صحيحه:- ت: عبد الباقي:: (1122/2) حديث رقم: (1484).

وَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ[11] : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: - لَا تَحِدُّ امْرَأَةٌ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلَا تَلْبَسْ ثَوْبًا مَصْبُوغًا، إِلَّا ثَوْبَ عَصْبٍ، وَلَا تَكْتَحِلْ، وَلَا تَمَسَّ طِيبًا، إِلَّا إِذَا طَهُرَتْ نُبْذَةً مِنْ قُسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ"([12])

وعَنْ فُرَيْعَةَ بِنْتِ مَالِكٍ([13]) قَالَتْ: "خَرَجَ زَوْجِي فِي طَلَبِ أَعْلَاجٍ لَهُ فَأَدْرَكَهُمْ بِطَرَفِ الْقَدُومِ فَقَتَلُوهُ فَأَتَانِي نَعْيُهُ وَأَنَا فِي دَارٍ شَاسِعَةٍ مِنْ دُورِ أَهْلِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقُلْتُ إِنَّ نَعْيَ زَوْجِي أَتَانِي فِي دَارٍ شَاسِعَةٍ مِنْ دُورِ أَهْلِي وَلَمْ يَدَعْ لِي نَفَقَةً وَلَا مَالًا لِوَرَثَتِهِ وَلَيْسَ الْمَسْكَنُ لَهُ فَلَوْ تَحَوَّلْتُ إِلَى أَهْلِي وَأَخْوَالِي لَكَانَ أَرْفَقَ بِي فِي بَعْضِ شَأْنِي قَالَ تَحَوَّلِي فَلَمَّا خَرَجْتُ إِلَى

9- سبيعة بنت الحارث الأسلمية:كانت امرأة سعد بن خولة، فتوفي عنها بمكة، في حجة الوداع، وهي حامل، فوضعت بعد وفاة زوجها بليال، قيل: شهر، وقيل: خمس وعشرون، وقيل: أقل من ذلك، و قد خطبها أبو السنابل بعد وفاة زوجها، روى عنها فقهاء أهل المدينة وفقهاء أهل الكوفة من التابعين حديثها هذا. وروى عنها عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لا يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة": أسد الغابة (ص: 1362)- الإستيعاب في معرفة الأصحاب (101/2)- تقريب التهذيب (ص: 748).

10- صحيح البخاري- طوق النجاة كتاب الطلاق: باب {{ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن}}: (7/ 57) حديث رقم (5320)، وفي رواية: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ يَزِيدَ، أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ، كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى ابْنِ الأَرْقَمِ، أَنْ يَسْأَلَ سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةَ، كَيْفَ أَفْتَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: «أَفْتَانِي إِذَا وَضَعْتُ أَنْ أَنْكِحَ»، صحيح البخاري- طوق النجاة: (7/57) حديث رقم (5319)،.

11- أم عَطِيَّة الْأَنْصَارِيَّة البصرية: نسيبة بنت كَعْب صحابية مشهورة جليلة قال ابن عبد البر كانت من كبار نساء الصحابة وكانت تغزو كثيرا مع النبي- صلى الله عليه و سلم، سَمِعت النَّبِي- صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم- وهي الَّتِي أَمَرَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ تُغسِّل بِنْتَهُ زينب، رَوَى عَنْهَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، وَأُخْتُهُ حَفْصَةُ، وَأُمُّ شَرَاحِيلَ، وغيرهم وعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سبع غَزَوَاتٍ، فَكُنْتُ أَصْنَعُ لَهُمْ طَعَامَهُمْ، وَأَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى، ينظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: للذهبي (2/ 743) رجال صحيح البخاري: للكلاباذي (853/2) تقريب التهذيب: بن حجر العسقلاني (ص: 754) إسعاف المبطأ: للسيوطي (ص: 36).

12- متفق عليه واللفظ لمسلم: أخرجه البخاري في صحيحه- طوق النجاة : كتاب الحيض: باب الطيب للمرأة عند غسلها من المحيض، (5341)، (60/7) – وأخرجه مسلم في صحيحه- ت: عبد الباقي :كتاب الطلاق: باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، (1491)، 1127/2).

13- فريعة بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد الخدري، لها صحبة، وشهدت بيعة الرضوان، ويقال لها : الفارعة أيضاً، أمها حبيبة بنت عبد الله بن أبي سلول، روى عنها سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، وروت عن الفريعة هذه زينب بنت كعب بن عجرة حديثها في سكنى المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى يبلغ الكتاب أجله استعمله أكثر فقهاء الأمصار: أسد الغابة: للجزري (ص: 1402) الإستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر (2/ 116) الثقات لابن حبان (3/ 337).

الْمَسْجِدِ أَوْ إِلَى الْحُجْرَةِ دَعَانِي أَوْ أَمَرَ بِي فَدُعِيتُ فَقَالَ امْكُثِي فِي بَيْتِكِ الَّذِي أَتَاكِ فِيهِ نَعْيُ زَوْجِكِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ قَالَتْ فَاعْتَدَدْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا قَالَتْ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَخَذَ بِهِ"(مسند أحمد – الرسالة: (28/45) حديث رقم: (27087)، وقال ابن حجر: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ، والدُّهْلِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمْ: بلوغ المرام من أدلة الأحكام (438/1).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: "لَا تَلْبِسُوا عَلَيْنَا سُنَّةَ نَبِيِّنَا عِدَّةُ أُمِّ الْوَلَدِ إِذَا تُوُفِّيَ عَنْهَا سَيِّدُهَا أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا"([14]).

وعَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ افْتَتَحَ حُنَيْنًا فَقَامَ فِينَا خَطِيبًا فَقَالَ: "لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ"([15]).

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «أَلَا لَا يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ ثَيِّبٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا مَحْرَمٍ»([16]).

والنهي في عموم الشريعة ابلغ من مجرد المبيت أو النكاح في العدة- : فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَاكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»([17]).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: - الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ"([18])

---

[14]- مسند أحمد – الرسالة: (338/29) حديث رقم: (17803).وقال ابن حجر: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَأَعَلَّهُ الدَّارَقُطْنِيُّ بِالِانْقِطَاعِ، بلوغ المرام من أدلة الأحكام: (ص: 439)، وفي سنن الدارقطني: " قبيصة لم يسمع من عمرو والصواب لا تلبسوا علينا ديننا موقوف": (309/3).

[15]- مسند أحمد – الرسالة: (199/28)، حديث رقم: (16990)، وعند الترمذي بلفظ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه ولد غيره" قال أبو عيسى: هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه عن رويفع بن ثابت والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون للرجل إذا اشترى جارية وهي حامل أن يطأها حتى تضع": سنن الترمذي (437/3) حديث رقم: (1131).

16- أخرجه مسلم في صحيحه- ت: عبد الباقي ، كتاب: السلام، بَابُ: تَحْرِيمِ الْخَلْوَةِ بِالْأَجْنَبِيَّةِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهَا، (1710/4) حديث رقم: (2171). وفي صحيح ابن حبان:عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «لَا يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ فِي بَيْتٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا مَحْرَمٍ» (403/12) حديث رقم: (5590)،.

17- وأخرجه البخاري في صحيحه- طوق النجاة، كتاب: النكاح، بَابُ: لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا ذُو مَحْرَمٍ، وَالدُّخُولُ عَلَى المُغِيبَةِ: (37/7) حديث رقم: (5233).

18- متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه- طوق النجاة، كتاب: الفرائض، باب: الولد للفراش حرة كانت أو أمة: (153/8) حديث رقم: (6749)، و أخرجه مسلم- ت: عبد الباقي: كتاب: الرضاع، بَابُ الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَتَوَقِّي الشُّبُهَاتِ: (1081/2) حديث رقم: (1458)،.

المطلب الثالث: من فقه المعاملات

- **قضاء الدين**

قال الشيخ الدردير: "وقضاء القرض ولو طعاماً وعرضا بأفضل صفة إن لم يدخلا عليه، وبأقل صفة وقدراً إن حل الأجل، لا بأزيد عددا أو وزنا كدوران الفضل بين الجانبين، وثمن المبيع من العين كذلك، وجاز بأكثر، كغير العين إن حل الأجل بأزيد صفة وقدرا، وبأقل في العرض كالطعام إن أبرأه من الزائد" (الشرح الصغير للدردير: (3/46- 48).

فهذا المتن عبارة عن لغز وطلسم يحتاج إلى علماء جهابذة يفكون رموزه بعد فهم مضمونه ومرماه، وموضوعه مهم وخطير يفرق بين الحلال والحرام في لب فقه المعاملات، بين القرض الجائز والممنوع، بين البيع الحلال والربا المحرم- ولكن حين تضع هذا اللغز المحير تحت مجهر التحليل الفقهي تنكشف الصور وتتعدد المسائل ويتضح الحكم الفقهي لكل مسألة بيسر وسهولة وفق الأدلة الشرعية المختلفة التي تعالج هذه المسائل- يقول الشيخ الصاوي: "حَاصِلُ مَا فِي الْمَقَامِ سِتُّونَ صُورَةً وَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الدَّيْنَ الْمُتَرَتِّبَ فِي الذِّمَّةِ: إمَّا مِنْ قَرْضٍ أَوْ مِنْ بَيْعٍ، وَفِي كُلٍّ: إمَّا عَيْنًا أَوْ عَرَضًا أَوْ طَعَامًا فَهَذِهِ سِتٌّ، وَفِي كُلٍّ: إمَّا أَنْ يَقْضِيَهُ بِمُسَاوٍ فِي الْقَدْرِ وَالصِّفَةِ، أَوْ بِأَفْضَلَ صِفَةً أَوْ قَدْرًا أَوْ بِأَقَلَّ صِفَةً أَوْ قَدْرًا، فَهَذِهِ ثَلَاثُونَ، وَفِي كُلٍّ: إمَّا أَنْ يَقْضِيَهُ بَعْدَ حُلُولِ الْأَجَلِ، أَوْ قَبْلَهُ.

فَهَذِهِ سِتُّونَ: ثَلَاثُونَ فِي الْقَرْضِ، وَثَلَاثُونَ فِي الْبَيْعِ، أَمَّا الَّتِي فِي الْقَرْضِ فَثَمَانِيَةَ عَشَرَ جَائِزَةٌ وَهِيَ: الْقَضَاءُ بِمُسَاوٍ قَدْرًا وَصِفَةً، أَوْ بِأَفْضَلَ صِفَةً، حَلَّ الْأَجَلُ فِيهِمَا أَمْ لَا، أَوْ بِأَقَلَّ صِفَةً أَوْ قَدْرًا إنْ حَلَّ الْأَجَلُ فِيهِمَا فَهَذِهِ سِتٌّ .كَانَ الْمُقْضِيُّ وَالْمُقْتَضِيُّ عَنْهُ طَعَامًا، أَوْ عَرَضًا، أَوْ عَيْنًا، وَالْبَاقِي اثْنَتَا عَشْرَةَ مَمْنُوعَةٌ وَهِيَ الْقَضَاءُ بِأَزْيَدَ قَدْرًا حَلَّ الْأَجَلُ أَوْ لَا أَوْ بِأَقَلَّ صِفَةً أَوْ قَدْرًا وَلَمْ يَحِلَّ الْأَجَلُ؛ فَهَذِهِ أَرْبَعٌ سَوَاءٌ كَانَ الْمُقْضِيُّ وَالْمُقْتَضَى عَنْهُ طَعَامًا أَوْ عَرَضًا أَوْ عَيْنًا. وَأَمَّا الثَّلَاثُونَ الَّتِي فِي الْبَيْعِ فَسَيَأْتِي حَاصِلُهَا (حاشية الصاوي: (3/1190).

ولزيادة التوضيح يمكن بيان هذه التقسيمات من خلال الجدول الآتي:

قضاء الدين من قرض

طعام				عروض				عين			
قبل الأجل		بعد الأجل		قبل الأجل		بعد الأجل		قبل الأجل		بعد الأجل	
بأكثر قدر	ممنوع	بأكثر قدر	جائز	بأكثر قدر	ممنوع	بأكثر قدر	ممنوع	بأكثر قدر	ممنوع	بأكثر قدر	ممنوع
بأقل قدر	ممنوع	بأقل قدر	جائز	بأقل قدر	ممنوع	بأقل قدر	جائز	بأقل قدر	ممنوع	بأقل قدر	جائز
بمساوٍ	جائز	بمساوٍ	جائز	بمساوٍ	جائز	بمساوٍ	جائز	بمساوٍ	جائز	بمساوٍ	جائز
بأكثر صفة	جائز	بأكثر صفة	جائز	بأكثر صفة	جائز	بأكثر صفة	جائز	بأكثر صفة	جائز	بأكثر صفة	جائز
بأقل صفة	ممنوع	بأقل صفة	ممنوع	بأقل صفة	ممنوع	بأقل صفة	جائز	بأقل صفة	ممنوع	بأقل صفة	جائز

قضاء الدين من ثمن بيع

قال الشيخ الصاوي: قَوْلُهُ: [مِنْ الْعَيْنِ كَذَلِكَ]: أَيْ فَفِيهِ صُوَرٌ عَشْرٌ وَيَأْتِي فِي الطَّعَامِ عَشْرٌ أَيْضًا وَفِي الْعَرَضِ مِثْلُهَا: أَمَّا صُوَرُ الْعَيْنِ فَثَمَانٍ جَائِزَةٌ وَهِيَ: الْقَضَاءُ بِمُسَاوٍ، أَوْ أَفْضَلَ صِفَةً، حَلَّ الْأَجَلُ أَمْ لَا، وَبِأَقَلَّ صِفَةً أَوْ قَدْرًا، إنْ حَلَّ الْأَجَلُ، وَبِأَكْثَرَ عَدَدًا أَوْ وَزْنًا حَلَّ الْأَجَلُ أَمْ لَا ؛ فَهَذِهِ ثَمَانٍ .

وَبَقِيَ صُورَتَانِ مَمْنُوعَتَانِ وَهُمَا مَفْهُومُ قَوْلِهِ: إنْ حَلَّ الْأَجَلُ فِي الصِّفَةِ أَوْ الْقَدْرِ وَيُضَمُّ لَهُمَا دَوَرَانُ الْفَضْلِ مِنْ الْجَانِبَيْنِ (حاشية الصاوي: (3/ 1191).

قَوْلُهُ: [أَنَّهُ لَوْ كَانَ الثَّمَنُ عَرَضًا أَوْ طَعَامًا]: "حَاصِلُ الصُّوَرِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِهِمَا أَنَّهُ مَتَى قَضَاهُ بِمُسَاوٍ صِفَةً وَقَدْرًا جَازَ، حَلَّ الْأَجَلُ أَمْ لَا، أَوْ بِأَزْيَدَ صِفَةً أَوْ قَدْرًا جَازَ، إنْ حَلَّ الْأَجَلُ، وَفِي كُلٍّ عَرَضًا أَوْ طَعَامًا، وَبِأَقَلَّ صِفَةً أَوْ قَدْرًا فِي الْعَرَضِ إنْ حَلَّ الْأَجَلُ وَلَا يُشْتَرَطُ إبْرَاؤُهُ مِنْ الزَّائِدِ، وَبِأَقَلَّ صِفَةً وَقَدْرًا فِي الطَّعَامِ إنْ حَلَّ الْأَجَلُ بِشَرْطِ إبْرَائِهِ مِنْ الزَّائِدِ فِي أَقَلِّيَّةِ الْقَدْرِ، فَهَذِهِ ثِنْتَا عَشَرَةَ جَائِزَةٌ .وَالْمَمْنُوعُ ثَمَانِيَةٌ وَهِيَ: مَا إذَا قَضَاهُ بِأَزْيَدَ صِفَةً أَوْ قَدْرًا، أَوْ بِأَقَلَّ صِفَةً أَوْ قَدْرًا .أَوْ لَمْ يَحِلَّ الْأَجَلُ . وَفِي كُلٍّ عَرَضًا أَوْ طَعَامًا .وَهِيَ مَفْهُومُ قَوْلِهِ: لَا " إنْ حَلَّ الْأَجَلُ فِي الزِّيَادَةِ " أَوْ فِي الْأَقَلِّيَّةِ وَيُضَمُّ لَهَا دَوَرَانُ الْفَضْلِ" (المصدر نفسه: (3/ 1192).

ولزيادة التوضيح يمكن بيان هذه التقسيمات من خلال الجدول الآتي: قضاء الدين من ثمن بي

طعام				عروض				عين			
قبل الأجل		عند الأجل		قبل الأجل		عند الأجل		قبل الأجل		عند الأجل	
بأكثر قدر	ممنوع	بأكثر قدر	جائز	بأكثر قدر	ممنوع	بأكثر قدر	جائز	بأكثر قدر	جائز	بأكثر قدر	جائز
بأقل قدر	ممنوع	بأقل قدر	جائز	بأقل قدر	ممنوع	بأقل قدر	جائز	بأقل قدر	ممنوع	بأقل قدر	جائز
بمساوٍ	جائز	بمساوٍ	جائز	بمساوٍ	جائز	بمساوٍ	جائز	بمساوٍ	جائز	بمساوٍ	جائز
بأكثر صفة	ممنوع	بأكثر صفة	جائز	بأكثر صفة	ممنوع	بأكثر صفة	جائز	بأكثر صفة	جائز	بأكثر صفة	جائز
بأقل صفة	ممنوع	باقل صفة	جائز	بأقل صفة	ممنوع	بأقل صفة	جائز	بأقل صفة	ممنوع	بأقل صفة	جائز

والنتيجة واضحة من خلال تتبع الجدولين السابقين مع ملاحظة الآتي:

أن هذه الأحكام جاءت وفق تفهم العلماء للنصوص التي أحلت البيع وحرمت الربا ابتداءً من قوله تعالى: {{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (274) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (275) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (276) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (277) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (278) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَّدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ{ }(279)(سورة البقرة: الآية: 274 -279).

وقوله صلى الله عليه وسلم في ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- "قَالَ: اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقاتِ قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ وَما هُنَّ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِناتِ الْغافِلاتِ "(19).

وحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "لاَ تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلاَّ مِثْلاً بِمِثْلٍ، وَلاَ تَشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلاَ تَبِيعُوا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ إِلاَّ مِثْلاً بِمِثْلٍ، وَلاَ تَشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلاَ تَبِيعُوا مِنْهَا غَائِبًا بِنَاجِزٍ"(أخرجه البخاري في صحيحه- طوق النجاة :كتاب البيوع: باب بيع بالفضة: (3/74) حديث رقم: (2177).

وعن عبيد الله بن أبي يزيد(20) أنه سمع ابن عباس يقول: "أخبرني أسامة بن زيد أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "إنما الربا في النسيئة"(أخرجه مسلم- ت: عبد الباقي: كتاب المساقاة، باب: بَابُ بَيْعِ الطَّعَامِ مِثْلًا بِمِثْلٍ: (3/1214) حديث رقم: (1596).

وعَنْ جَابِرٍ- رضي الله عنه- قَالَ: - لَعَنَ رَسُولُ اَللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - آكِلَ اَلرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: "هُمْ سَوَاءٌ" (أخرجه مسلم- ت: عبد الباقي: كتاب: المساقاة:19 باب لعن آكل الربا ومؤكله: (3/1219) حديث رقم: (1598).

وعَنْ اَلنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ- وَأَهْوَى اَلنُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ:- "إِنَّ اَلْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ اَلْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ اَلنَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى اَلشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اِسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي اَلشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي اَلْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ اَلْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اَللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي اَلْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ اَلْقَلْبُ"(21).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَقَاضَاهُ بَعِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «أَعْطُوهُ»، فَقَالُوا: مَا نَجِدُ إِلَّا سِنًّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ

19- أخرجه البخاري في صحيحه- - طوق النجاة: كتاب الوصايا: - باب قول الله تعالى: { }{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}: (4/10) حديث رقم: (2766).

20- عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ الْمَكِّيُّ، مولى آل قارظ بن شيبَة الْكِنَانِي، حُلَفَاءِ الزُّهْرِيِّينَ.سمع: ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وغيرهم وَعَنْهُ: ابْنُ جُرَيْجٍ، وَشُعْبَةُ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَآخَرُونَ. وَثَّقَهُ ابْنُ الْمَدِينِيِّ وَغَيْرُهُ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ شُيُوخِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَعَاشَ سِتًّا وَثَمَانِينَ سَنَةً، ينظر: الثقات لابن حبان (5/73) تاريخ الإسلام للذهبي (3/458) رجال صحيح البخاري للكلاباذي (1/471).

21- مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ واللفظ لمسلم: أخرجه البخاري في صحيحه- طوق النجاة: كتاب الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه: (1/20) حديث رقم: (52)، و أخرجه مسلم- ت: - عبد الباقي: كتاب: المساقة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات: (3/1219) حديث رقم: (1599).

أَحْسَنَهُمْ قَضَاءً»(أخرجه البخاري في صحيحه- طوق النجاة ، كتاب: في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، بَابُ: هَلْ يُعْطَى أَكْبَرَ مِنْ سِنِّهِ، (116/3) حديث رقم: (2392).

وما روي عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ((أخرجه البخاري في صحيحه- طوق النجاة ، كتاب: في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، بَابُ: هَلْ يُعْطَى أَكْبَرَ مِنْ سِنِّهِ، (116/3) حديث رقم: (2392). قَالَ: أَسْلَفْتُ رَجُلاً مِائَةَ دِينَارٍ ثُمَّ خَرَجَ سَهْمِي فِي بَعْثٍ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- فَقُلْتُ لَهُ: عَجِّلْ لِي تِسْعِينَ دِينَارًا وَأَحُطَّ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ فَقَالَ: نَعَمْ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: «أَكَلْتَ رِبًا يَا مِقْدَادُ وَأَطْعَمْتَهُ»([22])

وفي الموطأ:عن عبيد أبي صالح- مولى السفاح(أبو صالح مولى السفاح اسمه عبيد بن خزاعة عداده في أهل المدينة يروى عن زيد بن ثابت وروى عنه بشر بن سعيد: الثقات لابن حبان: (136/5) التاريخ الكبير: (447/5) الكنى الأسماء: (655/2)) قال: "بعتُ بَزًّا لي من أهل دارِ نَخْلَةَ إلى أجلٍ ، فأردتُ الخروج إلى الكوفة ، فعرضوا عليَّ أنْ أضعَ عنهم بعض الثمن ويَنْقُدُوني ، فسألتُ زيد بن ثابت ؟ فقال : لا آمُرَك أن تأكل هذا ولا تُوكِلَهُ"(الموطأ - رواية يحيى الليثي: (باب ما جاء في الربا في الدين): (672/2) حديث رقم: (1351)، وقال ابن الأثير: إسناده صحيح.: ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير: (571/1).

وفيه أيضاً: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: "أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ الرَّجُلِ يَكُونُ لَهُ الدَّيْنُ عَلَى الرَّجُلِ إِلَى أَجَلٍ فَيَضَعُ عَنْهُ صَاحِبُ الْحَقِّ وَيُعَجِّلُهُ الْآخَرُ فَكَرِهَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَنَهَى عَنْهُ"([23]).

وقَالَ الإمام مَالِك: "وَالْأَمْرُ الْمَكْرُوهُ الَّذِي لَا اخْتِلَافَ فِيهِ عِنْدَنَا أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ عَلَى الرَّجُلِ الدَّيْنُ إِلَى أَجَلٍ فَيَضَعُ عَنْهُ الطَّالِبُ وَيُعَجِّلُهُ الْمَطْلُوبُ وَذَلِكَ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يُؤَخِّرُ دَيْنَهُ بَعْدَ مَحِلِّهِ عَنْ غَرِيمِهِ وَيَزِيدُهُ الْغَرِيمُ فِي حَقِّهِ قَالَ فَهَذَا الرِّبَا بِعَيْنِهِ لَا شَكَّ فِيهِ قَالَ مَالِك فِي الرَّجُلِ يَكُونُ لَهُ عَلَى الرَّجُلِ مِائَةُ دِينَارٍ إِلَى أَجَلٍ فَإِذَا حَلَّتْ قَالَ لَهُ الَّذِي عَلَيْهِ الدَّيْنُ بِعْنِي سِلْعَةً يَكُونُ ثَمَنُهَا مِائَةَ دِينَارٍ نَقْدًا بِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ إِلَى أَجَلِ هَذَا بَيْعٌ لَا يَصْلُحُ وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ الْعِلْمِ يَنْهَوْنَ عَنْهُ قَالَ مَالِك وَإِنَّمَا كُرِهَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُعْطِيهِ ثَمَنَ مَا بَاعَهُ بِعَيْنِهِ وَيُؤَخِّرُ عَنْهُ الْمِائَةَ الْأُولَى إِلَى الْأَجَلِ الَّذِي ذَكَرَ لَهُ آخِرَ مَرَّةٍ وَيَزْدَادُ عَلَيْهِ خَمْسِينَ دِينَارًا فِي تَأْخِيرِهِ عَنْهُ فَهَذَا مَكْرُوهٌ وَلَا يَصْلُحُ وَهُوَ أَيْضًا يُشْبِهُ حَدِيثَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي بَيْعِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا حَلَّتْ دُيُونُهُمْ قَالُوا لِلَّذِي عَلَيْهِ الدَّيْنُ إِمَّا أَنْ تَقْضِيَ وَإِمَّا أَنْ تُرْبِيَ فَإِنْ قَضَى أَخَذُوا وَإِلَّا زَادُوهُمْ فِي حُقُوقِهِمْ وَزَادُوهُمْ فِي الْأَجَلِ" (الموطأ: بَاب جَامِعِ الدَّيْنِ وَالْحِوَلِ: (971/4) حديث رقم (2481))

22- السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (28/6) حديث رقم: (11471)- وقال في إسناده ضعف، ولكن له شاهد من حديث أبي المعارك أن رجلا من غافق كان له على رجل من مهرة مائة دينار في زمن عثمان فغنموا غنيمة حسنة فقال المهري : أعجل لك سبعين دينارا على أن تمحو عني المائة وكانت المائة مستأخرة فرضي الغافقي بذلك فمر بهما المقداد فأخذ بلجام دابته ليشهده فلما قص عليه الحديث قال : كلاكما قد أذن بحرب من الله ورسوله- قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير وأبو المعارك لم أعرفه وبقية رجاله ثقات: مجمع الزوائد (234/4).

23- الموطأ - رواية يحيى الليثي: (672/2) حديث رقم: (1352)، قال ابن الأثير: إسناد هذا الأثر صحيح أيضًا: جامع الأصول في أحاديث الرسول:(571/1).

وغيرها من النصوص كثير- وكذلك تَفهُّمِهم لقواعد الربا وأهمها: "أخِّر لي وأزيدك" أو "حط الضمان وأزيدك" وقاعدة "ضع وتعجل"، والخوف من "سلف جر نفعاً"، ودوران الفضل من الجانبين([24]) وغيرها.

ولذلك ستلاحظ على سبيل المثال: أن قضاء الدين الذي أصله قرض يجوز قبل الأجل بأزيد صفة لأنه من حسن القضاء ولا يجوز إذا كان من ثمن مبيع لأنه يترتب عليه حط الضمان وأزيدك- قال الشيخ الصاوي: قَوْلُهُ: [لِمَا فِيهِ مِنْ حُطِّ الضَّمَانَ وَأَزِيدُك]: اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْعِلَّةَ إنَّمَا تَدْخُلُ فِي ثَمَنِ الْمَبِيعِ إنْ كَانَ عَرَضًا أَوْ طَعَامًا ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ فِي الْأَجَلِ لِرَبِّ الدَّيْنِ وَلِلْمَدِينِ وَلَا تَأْتِي فِي الْقَرْضِ مُطْلَقًا وَلَا فِي ثَمَنِ الْمَبِيعِ إنْ كَانَ عَيْنًا؛ لِأَنَّ الْحَقَّ لِمَنْ عَلَيْهِ الدَّيْنُ إنْ شَاءَ عَجَّلَ أَوْ أَبْقَاهُ لِلْأَجَلِ(حاشية الصاوي: (1192/3).

وكذلك الزيادة فِي ثَمَنِ الْمَبِيعِ مِنْ الْعَيْنِ جائزة، قال الشيخ الصاوي: "وَلِذَلِكَ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَشْتَرِيَ بِعَشَرَةٍ وَيَدْفَعُ خَمْسَةَ عَشَرَ حَلَّ الْأَجَلُ أَمْ لَا ؛ لِأَنَّ الْأَجَلَ فِي الْعَيْنِ مِنْ حَقِّ مَنْ هِيَ عَلَيْهِ فَلَا تُهْمَةَ فِيهِ" (المصدر نفسه: (1192/3).

وَأَمَّا " ضَعْ وَتَعَجَّلْ " فَتَجْرِي فِي قَضَاءِ الْقَرْضِ وَثَمَنِ الْمَبِيعِ سَوَاءٌ كَانَ الْقَرْضُ وْ الثَّمَنُ عَيْنًا أَوْ طَعَامًا أَوْ عَرَضًا. ولهذا منع.....

وعموماً: فمسائل الفقه التحليلي كثيرة وجميلة ومتنوعة كماً وكيفاً وعدداً تفتح الذهن وتظهر صوراً رائعة عجيبة محكمة تشجع الباحثين على مزيد الاطلاع والتأمل والبحث والدراسة ومن أعجب الطرائف التي تزكي هذا الباب ما ورد: أن الإمام أحمد بن حنبل كان يعظم الشافعي ويذكره كثيراً، وكانت له ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين، وتود أن ترى الصالحين وترى الشافعي لتعظيم أبيها إياه، فاتفق مبيت الشافعي عند أحمد في وقت ففرحت البنت بذلك طمعاً أن ترى أفعاله وتسمع مقاله، فلما كان الليل قام الإمام أحمد إلى وظيفة صلاته وذكره، والإمام الشافعي ملقى على ظهره، والبنت ترقبه إلى الفجر، ثم قالت لأبيها: يا أبت تعظم الشافعي وما رأيته يصلي في هذه الليلة ولا يذكر، فبينما هما في الحديث إذ قام الإمام الشافعي فقال له أحمد: كيف كانت ليلتك؟ فقال: ما بت بليلة أطيب منها ولا أبرك. فقال: كيف ذلك؟ فقال: لأني استنبطت في هذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهري في منافع المسلمين ثم ودعه ومضى، فقال أحمد ابن حنبل لابنته: هذا الذي عمله الليلة أفضل من الذي عملته وأنا قائم" (تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب): (79/1).)

---

[24] قال الشيخ الدردير شارحاً: (**كَدَوَرَانِ الْفَضْلِ مِنْ الْجَانِبَيْنِ**): "فَلَا يَجُوزُ ؛ كَعَشَرَةٍ يَزِيدِيَّةٍ عَنْ تِسْعَةٍ مُحَمَّدِيَّةٍ أَوْ عَكْسِهِ" (47/3)، وقال الشيخ الصاوي: "أَيْ فَالْمُقْتَرِضُ تَسَاهَلَ فِي دَفْعِ الْعَشَرَةِ الْمَذْكُورَةِ - وَإِنْ كَانَ فِيهَا زِيَادَةٌ - لِرَغْبَتِهِ فِي جَوْدَةِ التِّسْعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي أَخَذَهَا، وَالْمُقْرِضُ يَرْغَبُ فِي أَخْذِ الْعَشَرَةِ لِزِيَادَتِهَا، وَإِنْ كَانَتْ رَدِيئَةً بِالنِّسْبَةِ لِتِسْعَتِهِ الَّتِي أَقْرَضَهَا": (1191/3).

خلاصة قضاء الدين "الطعا م والعروض: من قرض أو ثمن مبيع"

قرض	طعام								عروض							
	قبل الأجل				عند الأجل				قبل الأجل				عند الأجل			
المقدار	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أكثر صفة	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أقل قدر	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أكثر صفة	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أقل قدر
الحكم	ممنوع	ممنوع	جائز	جائز	ممنوع	جائز	جائز	جائز	ممنوع	ممنوع	جائز	جائز	ممنوع	جائز	جائز	جائز
السبب	حط الضمان وأزيدك	ضع وتعجل	جاءت على الأصل	حط الضمان وأزيدك	ربا النزيادة	من باب المعروف	جاءت على الأصل	حسن قضاء	حط الضمان وأزيدك	ضع وتعجل	جاءت على الأصل	حسن قضاء	ربا النزيادة	من باب المعروف	جاءت على الأصل	حسن قضاء
ثمن	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أكثر صفة	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أكثر صفة	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أكثر صفة	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أكثر صفة
الحد	ممنوع	ممنوع	جائز	ممنوع	جائز	جائز	جائز	جائز	ممنوع	ممنوع	جائز	ممنوع	جائز	جائز	جائز	جائز
السبب	حط الضمان وأزيدك	ضع وتعجل	جاءت على الأصل	حط الضمان وأزيدك	لا تهمة فئ زيادة ثمن المبيع حيث أعجبتك السلعة	بشرط أن يبرأه من الزائد	جاءت على الأصل	لا تهمة فئ زيادة ثمن المبيع حيث أعجبتك السلعة	حط الضمان وأزيدك	ضع وتعجل	جاءت على الأصل	حط الضمان وأزيدك	لا تهمة فئ زيادة ثمن المبيع حيث أعجبتك السلعة	من باب المعروف	جاءت على الأصل	لا تهمة فئ زيادة ثمن المبيع حيث أعجبتك السلعة
	ضع وتعجل				من باب المعروف				ضع وتعجل							

خلاصة قضاء الدين "في العين: من قرض أو ثمن مبيع"

قرض	العين"									
	قبل الأجل					عند الأجل				
المقدار	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أكثر صفة	أقل صفة	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أكثر صفة	أقل صفة
الحكم	ممنوع	ممنوع	جائز	جائز	ممنوع	ممنوع	جائز	جائز	جائز	جائز
السبب	حط الضمان وأزيدك	ضع وتعجل	جاءت على الأصل	حسن قضاء	ضع وتعجل	ربا الزيادة	من باب المعروف	جاءت على الأصل	حسن قضاء	من باب المعروف
ثمن مبيع	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أكثر صفة	أقل صفة	أكثر قدر	أقل قدر	بالمساوي	أكثر صفة	أقل صفة
الحكم	جائز	ممنوع	جائز	جائز	ممنوع	جائز	جائز	جائز	جائز	جائز
السبب	لا تهمة فئ زيادة ثمن المبيع حيث أعجبتك السلعة	ضع وتعجل	جاءت على الأصل	لا تهمة فئ زيادة ثمن المبيع حيث أعجبتك السلعة	ضع وتعجل	لا تهمة فئ زيادة ثمن المبيع حيث أعجبتك السلعة	من باب المعروف ولا بشرط أن يبرأه من الزائد	جاءت على الأصل	لا تهمة فئ زيادة ثمن المبيع حيث أعجبتك السلعة	من باب المعروف

خاتمة البحث

1 - الفقه التحليلي: هو تاج فريد مزخرف على هامات جهابذة علماء هذه الأمة.

2 - الفقه التحليلي هونتاج تخمينات العلماء واستنباطاتهم وفق النصوص الشرعية وأدلتها التفصيلية، وهي أعظم دليل على سعة اطلاعهم وقدراتهم الذهنية التي تفوق كل تصور.

3 - هذه الدراسة ما هي إلا نقطة في بحر عميق زاخر ينادي: هل سألوا الغواص عن صدفاتي؟.

4 - أقوال العلماء واجتهاداتهم واستنباطاتهم حجة ودليل كما قال الشيخ زروق- وليست أراء مجردة أو للاستهلاك، ونحن مجبورون إما باتباعها أو مخالفتها بحجة أقوى، وليس بالطعن فيها أو نقضها بحجج واهية لا ترقى إلى مستوى العلم والفهم.

5 - حقاً من اجتهد وأخطا فله أجر، ومن اجتهد وأصاب فله أجران.

6 - هذه المسائل ما هي إلا نماذج معينة ورأي مشهور في مذهب واحد، فماذا لو كانت الدراسة شاملة لكل اجتهادت العلماء داخل المذهب؟، وكيف إذا تم دراستها في مختلف المذاهب؟ إذاً لخرجنا بثروة علمية تفصيلية دقيقة على أبعد حد.

وختاما: نأمل أن تكون هذا الدراسة المتواضعة نقطة انطلاق لمحيط أوسع ميداناً وأرحب بياناً وأكثر إفهاماً، من خلال رسائل علمية عالية ودقيقة؛ للوقوف على المزيد من دقائق المسائل وحقائق العلم الشرعي، بصورة تواكب العصر وتطبيقاته العملية.

مصادر البحث

أولاً: القرآن الكريم- المصحف الشريف- رواية قالون عن نافع المدني.

ثانياً: المصادر التالية: ترقيم أبجدي، دون "ال" التعريف.

- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول، للقاضي عياض، تأليف علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين السبكي، تصحيح جماعة من العلماء، ط: أولى 1404هـ دار الكتب العلمية.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن الحمد بن عبد البر (463هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، (دون إشارة إلى عدد الطبعة وتاريخها).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1417هـ- 1996م.
- إسعاف المبطأ برجال الموطأ، المؤلف : عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر ، 1389 – 1969م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت: علي محمد البجاوي: دار الجيل/ بيروت، ط: أولى، 1412.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى: 1990م.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) المحقق: مصطفى أبو

الغيط وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية الطبعة: الاولى، 1425هـ- 2004م.

- بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك- حاشية على الشرح الصغير للشيخ احمد الدردير، تاليف الشيخ أحمد الصاوي، دار المدار الإسلامي- بيروت- لبنان- الطبعةالأولى: 2002ف.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري، الناشر: دار الفلق – الرياض، الطبعة: السابعة، 1424 هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003 م.
- التاريخ الكبير للبخاري إسماعيل بن إبراهيم: ط: دار الفكر.
- تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب) المؤلف: سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - 1417هـ - 1996م، الطبعة : الأولى.
- تقريب التهذيب للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت 852هـ. بعناية: عادل مرشد. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولي 1420هـ.1999م.
- تهذيب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني: دار الفكر: بيروت. ط: الأولى: 1404هـ 1984م.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى: 2001م.
- [الثقات - لابن حبان] المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى ، 1395 – 1975م، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : 606هـ)،تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مكتبة الحلواني- مطبعة الملاح- مكتبة دار البيان،الطبعة: الأولى.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى- أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الأزدي تحقيق: محمد إدريس- عاشور بن يوسف، الناشر دار الحكمة، مكتبة الاستقامة، سنة النشر: 1415ه، مكان النشر بيروت، سلطنة عمان.

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. للإمام أبي محمد بن أبي نصر فتوح ابن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي، ت: 488هـ. تحقيق: د. روحية عبد الرحمن السويفي. دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ. 1997م.
- رجال صحيح البخاري (الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد)، المؤلف: أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري: الكلاباذي (المتوفى : 398هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الأولى ، 1407هـ.
- - سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر : دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن الدار قطني لأبي الحسن البغدادي الدارقطني، تحقيق وضبط وتعليق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى: 1424هـ- 2004م.
- السنن الكبرى للبيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى 458هـ، ت: محمد عبد القادر عطا، ط: بلا، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية بيروت لبنان (1420هـ- 1999م).
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبعة جديدة بالأوفست عن الطبعة الأولى سنة 1349هـ.
- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي (المتوفى:793هـ)، المحقق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1416هـ - 1996م.
- شرح العلامة زرُّوق على المقدمة الوغليسية: تقديم وتحقيق: محفوظ بوكراع- عمار بسطة، ط: دار ابن حزم، الطبعة الأولى:2010م، ص: 194.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)،المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، 1414 – 1993م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- صحيح البخاري- طوق النجاة: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة، ط الأولى 1422هـ.

- صحيح مسلم- عبد الباقي: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- [صفة الصفوة - لابن الجوزي] المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1399 – 1979م، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي.
- قواعد التصوف للشيخ زرُّوق: تحقيق وتقديم الشيخ عثمان الحويمدي، عني به: حسن السَّماحي سويدان، الطبعة الأولى: دار وحي القلم: 1425هـ - 2004م: قاعدة: (44): ص: 53.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المؤلف : علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى : 975هـ)، المحقق : بكري حياني - صفوة السقا، الناشر : مؤسسة، الرسالة، الطبعة : الطبعة الخامسة ،1401هـ/1981م.
- لسان العرب- المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.
- المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، سنة الوفاة 458هـ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر 2000م، مكان النشر بيروت.
- المخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي- المعروف بابن سيده، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1417هـ 1996م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل إبراهم جفال.
- المدونة الكبرى: للإمام مالك بن أنس رواية الإمام سحنون عن ابن القاسم ويليها مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضته المدونة من الأحكام، ضبط وتصحيحه أحمد عبد السلام. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: الأولى: 1415هـ 1994م.
- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى:1411ه – 1990م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- مسند أحمد – الرسالة- ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1420هـ، 1999م،
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت.
- مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية: 1403، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة. دار إحياء التراث العربي: بيروت د.ت.

- المعجم الوسيط، المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية.
- معرفة السنن والآثار: المؤلف: أبو بكر البيهقي،المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة: الأولى، 1412هـ.
- الموطأ: بَاب جَامِعِ الدَّيْنِ وَالْحِوَلِ: تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة: الأولى 1425هـ - 2004م.
- [موطأ الإمام مالك - رواية يحيى الليثي] المؤلف: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م.
- نصب الراية: في تخريج أحاديث الهداية: لأبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي المتوفى سنة762هـ - سلسلة مطبوعات المجلس العلمي، الطبعة الأولى: 1357هـ.
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 1413هـ، 1992م.

The Integration of authentic materials within the Libyan evolving EFL curriculum(Principles and Priorities)

Dr. Abdulhakim M. Belaid, Faculty of Languages and Translation, Azzaytuna University. **Email:** hakimbelaed@gmail.com

Abstract

It is without a doubt that learning languages especially English language is inevitable nowadays due to a number of reasons: most significant one is that it is the language of science and development. Another reason not less significant than the first one is that it is the *Lingua Franca* (*ELF*) of the current era. Wherever you travel, you have to use English as a vehicle of communication to understand and to be understood at the same time. What inspired the researcher, as an EFL lecturer within the Libyan universities, to write this paper is the unsatisfactory situation of English language teaching-learning in the Libyan universities. Many university professors still insist on using traditional teaching materials inside their language classrooms, which negatively reflect on students' efforts in mastering the target language and never assist in bridging the gap between given materials and the real world outside classrooms. The researcher believes that exploiting authentic materials either audio-visual or written materials may help in enhancing and improving the overall English language learning proficiency among language learners in Libyan Universities. This manuscript is an endeavour to shed an extra light on the most relevant facets of ' *authentic materials* ' and the possibility of using such materials inside English language classrooms in the Libyan educational system.

Key Words: *Authenticity, doctored vs. undoctored materials, Libyan EFL context, The PARSNIP Model*

الملخص

مما لا شك فيه يعد تعلم اللغات الأجنبية وخصوصا اللغة الانجليزية أمر لا يمكن تجنبه في عصرنا الحالي وترجع تلك الأهمية لعدة أسباب أولها أنها لغة العلم والتطور. وأيضا سبب آخر لا يقل أهمية عن السبب السالف الذكر وهي إنها اللغة المشتركة في عصرنا الحالي. أي انه أينما سافرت، فانه يتوجب عليك استعمال اللغة الانجليزية كوسيلة للتواصل مع الآخرين. ومما جذب انتباه الباحث بصفته محاضرا في اللغة الانجليزية كلغة أجنبيه في الجامعات الليبية لكتابه هذه الورقة العلمية هو تردي مستوي اللغة الانجليزية، حيث أن العديد من أساتذة اللغة الانجليزية مازالوا يصرون على استعمال المناهج التقليدية في التدريس، والتي بدورها تنعكس سلبا علي قدرة الطلبة علي إتقان اللغة الهدف، ولا تساعد علي تقليص الفجوة العميقة بين ما يتم إعطائه داخل القاعات الدراسية وبين ما يتم استعماله في الحياة اليومية لمتحدثي اللغة.

ونتيجة لما سبق ذكره، يعتقد الباحث إن استغلال المادة الاصيله بأنواعها المتعددة سواء أكانت سمع بصريه أو مكتوبة ممكن أن تساعد في الرفع من كفاءة مستوي اللغة الانجليزية لدي متعلميها في الجامعات الليبية. الورقة التالية ما هي إلا محاوله لتسليط الضوء علي الأوجه المتعددة للمادة الأصيلة وإمكانية استغلالها داخل فصول اللغة الانجليزية في المنظومة التعليمية في ليبيا.

Introduction

There is a common claim among researchers that materials in EFL teaching learning processes is an essential and crucial factor for learners' success (Nunan, 1991). In a foreign language learning, materials offer not only beneficial information about the target language, but also works on intensifying and enhancing learners' learning motivation. Moreover, another significant issue related to materials' significance in language learning is facilitating the language acquisition process if materials are carefully selected to meet learners' immediate needs and interests. As a consequence, teachers and materials designers should pay further attention towards the type of materials selected and used as potential teaching materials inside language classrooms. EFL professors in particular, should consider two worth mentioning issues in selecting materials for their learners: first, materials should meet learners' learning interests and needs in the target language, and second, cultural differences between the learners' and the target language should be carefully taken into professors' accounts. The Tomlinson's (2012) *PARSNIP* Model, which stands for Politics, Alcohol, Religion, Sex, Narcotics, Isms, and Pork should be carefully studied and considered before selecting prospective teaching materials for EFL learners.

In the following, the researcher attempts to reveal the many related issues on authentic materials' use and how such materials may be integrated into the Libyan 3rd level EFL context. This paper researcher endeavours to shed extra light on the many differences between authentic and non-authentic materials and to reveal the many positive sides of the former one on EFL learners' L2 learning than the later.

Authentic Materials

A number of researchers interested in the field of teaching languages (especially the use of authenticity) offered many definitions to the term 'authentic materials'. Gilmore (2007) for instance, endeavoured to summarise such definitions in his doctoral thesis, and got into eight intertwined definitions of the term authenticity. In those eight definitions, Gilmore ventured to cover the many facets of such materials as we will see in the following :

1- The language produced by native speakers for native speakers in a particular language community.
2- The language produced by a real speaker / writer for a real audience, conveying a real message.

3- The qualities bestowed on a text by the receiver, in that it is not seen as something already in a text itself, but is how the reader / listener perceives it.
4- The interaction between students and teachers and is a personal process of engagement.
5-The types of task chosen.
6- The social situation of the classroom.
7-The relevance something has to assessment.
8- Culture and the ability to behave or think like a target language group, in order to be validated by them. (p.98)

On interpreting Gilmore's eight definitions of authenticity, they can be seen as an example of a simple communication message between two native speakers of the target language, this communication is definitely real. On the other hand, it could be seen in how individuals interpret and comprehend a certain message given by a speaker or writer. Authenticity could also be seen in interactions between students and their professors, in which both are engaged with a specific material, or it could also be viewed in the types of tasks being selected. Some linguists such as Widdowson and George (1990) Tomlinson and Masuhara (2010) refer to the authenticity in a social point of view and not transmitting declarative knowledge, in that any natural social interaction is authentic in itself, because the main purpose of language is social and being able to communicate with people around you. In this respect, Tomlinson and Masuhara (2010) define authentic materials as: 'designed not to transmit declarative knowledge about the target language but rather to provide an experience of the language in use' (p.400).

Authentic vs. Textbook Materials

There has been an endless debate among researchers about which materials is more effective in the field of language teaching: textbooks or authentic materials. Researchers in this respect are divided into two main groups: the first group argues for the utilising of textbooks while the second group argues for the utilising of authentic materials only in teaching languages, (Tomlinson 2012; Gilmore 2011; Mishan 2005; Simpson-Vlach and Ellis 2010; Eisenchlas 2011; Hutchinson and Torres 1994; Littlejohn 1992 and Prabhu 1989).

According to Tomlinson (2012) in spite of criticising textbook materials in language teaching, the majority of language teachers still rely on them as a source teaching materials inside their classrooms. Moreover, Hutchinson and Torres (1994) clarified that the textbook is a world known element in language teaching, and millions of copies are sold every year and many projects are set up to produce them in many countries. The teaching learning situation seems incomplete until its relevant textbook becomes available.

On the other hand, opponents of textbooks use state that textbooks fail to develop creativity and meet learners' actual needs and interests. They are generally prepared to meet administrators and instructors' needs, and neglects learners' needs and interests in L2 learning, (Mishan 2005 and Tomlinson 2012). Swan (1992) argues against a textbook use:

> The danger with ready-made textbooks is that they can seem to absolve teachers of responsibility. Instead of participating in the day-to-day decisions that have to be made about what to teach and how to teach it, it is easy to just sit back and operate the system, secure in the belief that the wise and virtuous people who produced the textbook knew what was good for us. Unfortunately this is rarely the case (p.33).

Furthermore, Gilmore (2011) states that as soon as the language learners are offered the choice of learning a second language either through textbooks or from authentic materials such as songs, novels, or web-based sources; they mostly prefer the second choice as one of his students informed him in no uncertain terms.

It can be seen that arguments for authentic materials are far more than those for textbook materials in the field of language teaching. Unlike textbook materials, authentic materials mostly meet learners' immediate needs and interests in L2 learning, and at the same time, work on developing their communicative competence.

The following is a comparison made between authentic and non-authentic materials. It is salient that authentic materials excel the non-authentic (Textbook) materials in many aspects as can be seen in the table below. Most significant feature of the former materials is that they reflect the real use of language as it is among its native speakers whereas, the latter is only simulated use of a language in a different context. This also leads us to another use of the text which is the difference between " an authentic " and " a genuine " use of the text in language learning, which is an interesting topic for future research papers.

Authentic Materials	**Non-Authentic (*Textbook*) Materials**
• Taken directly from their original sources and presented for language learners with no pre-editing.	• Contrived for pedagogical purposes as it is in language books directed for a certain group of learners in a certain country.
• Useful for developing learners' communicative competence.	• Useful for language instructional purposes such as grammar and vocabulary teaching.
• They contain false starts and incomplete sentences.	• Well-formed structures and no possibility to have wrong sentences.
• Mostly meet learners' immediate needs and interests in L2 learning.	• Usually fail to meet learners' needs and interests in L2 learning.
• Any materials either audio-visual or written materials can be used inside language classrooms.	• Not any materials can be brought into language classrooms and used as potential pedagogical materials.
• reflect a real language use as it is among native speakers in everyday situations.	• Present a real use of the L2 in a simulated manner.
• A colloquial language used a lot.	• A formal language used here
• A variety of accents are used in here.	• Only Received Pronunciation is used in here.

(Adams 1995; Miller 2003; Laamri 2013)

As can be seen from the table above the many differences between both materials : authentic and non-authentic materials. For instance, the first distinctive feature of authentic materials is that they are directly obtained from original sources, whereas; non- authentic ones are usually revised for educational purposes as in textbooks. The revision of such materials remove many features of the everyday phrases and structures which language learners wish to know and understand in L2 learning. Moreover, diminishing the huge gap between the real world and classroom used materials is another significant feature of authentic materials. Authentic materials reflect the genuine use of language as it is used among native speakers in their daily activities. While textbook materials present a similar use of language inside classrooms. Another important feature of authentic materials use is the heavy use of idioms and colloquial language, which is used a lot by native speakers. Whereas, only a formal language is used in textbooks. Many different accents can be used as a possible audio materials in the use of authentic materials inside classrooms, while only received pronunciation is used in audio scripts in textbooks.

Origins of Authenticity

The following is just a short list of both printed and audio authentic materials' sources language teachers may make use of inside language classrooms:

1- Internet comes first since it is updated on daily basis, and as Berardo (2006) states that while all other sources get out of date quickly, the Internet is updated on daily basis.
2- Printed materials such as newspaper and magazine articles, Brochures, bus and train time tables street signs, order forms, application forms, ATM receipts and screens, web sites, food labels, utility bills, traffic tickets, greeting cards, TV guides ... etc.
3- Audio-visual materials such as radio and television programmes and *YouTube* films, videos, radio broadcasts, podcasts, movies and DVDs, songs, phone messages. ...etc. (Ianiro 2007, Berardo 2006, Tamo 2009)

Criteria for Selecting and Using Authentic Materials

1- Relevance to the learner in which a language teacher should be careful in selecting materials suitable for their learners' needs and interests. Otherwise, they (*learners*) won't be interested in the materials selected.
2- Cultural appropriateness: it is of a paramount significance this criteria is. It is taken for granted that there are many differences between cultures, and that language teachers should pay much attention in their selection and use of materials from the L2, otherwise; negative learning outcomes will appear. Materials, for instance, suitable for Spanish or Italian EFL contexts, may not be suitable for the Libyan or Algerian contexts, and this is due to the many cultural differences.
3- Cognitive demands: referring to understanding the presented topics
4- Logistical considerations: referring to the learner's time to read the authentic text or not
5- Topic interest: selected topics should arouse learners' interests toward learning the target language.
6- Quality: referring to the quality of recorded materials presented to the learner
7- Linguistic demands: referring to comprehending and understanding the structure of the presented materials
8- Exploitability: referring to whether learners can make use of the presented materials. (McGrath 2002).

There are of course numerous principles involved in selecting authentic materials, such as appropriateness of the content, readability and raising learners' interest and intrinsic motivation in the target language learning inside and outside classrooms. A text length as well is a very significant factor particularly with *ab initio* language learners. For instance, long newspaper articles or stories may lead to learners getting bored and tired. However, teachers must make sure that the selected materials are linguistically higher than the learners' current level, which may ensure moving to the next level in language learning.

Rewards and drawbacks of Authenticity

A number of researchers involved in the field of EFL teaching-learning such as Gilmore 2007; Tomlinson 2012, Mishan 2005; Thanajaro 2000; Guariento and Morley 2001; Peacock 1997; Martinez 2002; Belaid2015; and Belaid and Murray 2015 and other as well, have all explained that using authentic materials in a language teaching may contain positive and negative sides. Such positive and negative sides can be briefed in the following points:

A- Rewards of Authenticity

1- They mirror the target culture
2- They are related to learners' immediate needs and interests
3- They have positive impact on learners' motivation
4- They are continuously updated
5- They support creativity within learners
6- They expose learners to the real language use as it is among native speakers.

B- Drawbacks of Authenticity

1- The possibility of having difficult vocabulary and structures is high
2- Authentic materials might be difficult for younger learners
3- Authentic materials might contain provocative and challenging issues for language teachers to use in language classrooms
4- Authentic materials consume much of teachers' time searching for suitable materials for their learners
5-

Authenticity and Motivation

In the process of second language acquisition, motivation has been proven to be an indispensable factor in determining the success in L2 learning, (Gardner 1985). The motivation itself is divided into two main types: intrinsic and extrinsic motivation. The former is better than the latter, since it comes from the learner's own desire to master the target language for its own sake. While a learner with the

latter is either pushed to gain benefits through language learning such as high salaries or job offers or is instructed from parents or peer group to study that language. Deci and Ryan (1985) for instance, distinguished between the intrinsic and the extrinsic motivation and that learners with the former are more successful and autonomous than extrinsically motivated learners. The former refers to learners' desire to master the L2 to be able to communicate with the target language community, while the latter refers to the learners' desire to achieve some other goals behind learning the L2.

Numerous justifications have been stated in support of such claims. The most popular came from Swaffar (1985) Pinsonneault (2008) and Freeman & Holden (1986) in that authentic materials are more interesting and enjoyable than artificial materials, and this is due to authentic materials' ability in communicating a message instead of focusing on target language forms. Tamo (2009) on the significance of authentic materials inside language classrooms indicates that:

> Bringing authentic materials into the classroom can be motivating for the students, as it adds a real-life element to the student's learning experience. Authentic materials are significant since they increase students' motivation for learning, makes the learner be exposed to the "real" language (p.75).

A number of researchers return the motivating ability of authentic materials to the idea that they can be chosen to satisfy and meet learners' specific needs, which textbook materials fail to reach, (Mishan 2005, McCarthy and Carter 1995). Learners recognise authentic materials as a real reflector of everyday life, and this is what develops their motivation, (Peacock 1997 and Hill 1984).

However, it must be made clear that the success of authentic materials in enhancing learners' motivation heavily depends on how appropriate those materials are for the intended learners. How they are employed inside language classrooms, and most important is the language teachers ability to facilitate and mediate or scaffold between selected materials and learners, (Rogers & Medley 1988, Gonzalez 1990, and Kienbaum 1986).

How Can Authentic Materials be used in the EFL Classroom?

The following points summarises the researcher's point of view on the best appropriate ways to use authentic materials inside language classrooms. Such points appeared as a result of his short experience as a language teacher in the Libyan third level for more than nine years, and also in consultation with many literatures in this area. Points like the following may not be applied in different

contexts, meaning that it may work for the Libyan one, but not for the Tunisian, Algerian or Turkish context:

1- Cultural differences should be taken into a teacher's consideration before selecting authentic materials for Libyan 3rd level EFL context. Neglecting such differences between the learners' and the target culture may lead to negative learning consequences;
2- Authentic materials should be used for their original purposes as it is used in the everyday language use;
3- Learners' language proficiency and levels should be considered carefully before selecting authentic materials;
4- Language teachers should be familiar with their learners' needs and interests in learning the target language. This can be accomplished through a student profile survey, in which a number of questions given to learners in the first class, and according to learners' feedback, suitable materials may be selected in here;
5- Authenticity itself is not a characteristic of the text. It is the learners' reaction and response to a given material that makes it authentic.

At which level should authentic materials be used?

A number of scholars such as Kilickaya (2004) and Kim (2000) argue that authentic materials should be presented to intermediate and advanced language learners only. Their arguments might be attributed to the difficult vocabulary and structures in authentic materials. Moreover, authentic materials are usually obtained from their original sources with no pre-editing for pedagogical purposes. On the other hand, other scholars such as Miller (2005) and McNeil (1994) claim that authentic materials could be used even at lower level language proficiency.
Authentic materials could be used in three levels: beginners; intermediate and advanced language learners. There are however, certain steps that should be carefully considered in selecting authentic materials for each level. In the beginner level, for instance, a material designer should pay much attention toward grading the intended materials: from simple language structures into more difficult structures, which may ensure younger learners' enjoyment and learning at the same time. A short *YouTube* animation video might be an excellent choice in here, and then move to materials that are more difficult.

In the intermediate level, learners are more familiar with the target language than beginners, and a material designer may apply Krashen's (1982) formula: (i+ 1). In which the (i) is the current stage of language learners and in order to move to the next stage, the selected materials should be above their current level, which is (1). This can happen under the support and scaffolding with their teachers, as it has been clarified in Vygotsky's (1978) Sociocultural

Theory. A language learner, according to latter theory, is viewed as a child in a social environment, in which he/ she learns from their parents through scaffolding and continuous support.

With advanced students, learners are more familiar with the target language structures and vocabulary than learners in the previous two levels are. The material designer may use a student profile survey, in which a number of questions are given to learners such as the type of materials they like, and whether they like audio visual or printed materials. Such questions offer a material designer a basic and solid foundation of the type of materials for their learners, which would positively reflect on learners overall language proficiency in subsequent stages.

How can learners benefit from using authentic materials?

Using authentic materials as has been proven in many empirical studies is very beneficial and meets learners' immediate needs and interests in/ L2 learning. A great advantage in authentic materials' use inside EFL classrooms is their assistance in bridging the huge gap between the classroom taught materials and the real world. Learners' attitudes and motivations toward learning English language differ. A significant step a language teacher should do is to be familiar with their learners' attitudes and motivations. As previously stated, identifying learners' internal feelings will enormously assist language teachers in selecting and designing suitable materials for their students.

Authentic Materials in the Libyan EFL Context

There is indeed dearth of studies on the use of authenticity within the Libyan EFL context, (Mojahed 2007, Soliman 2013; Belaid 2015 and Belaid and Murray 2015). In such studies, positive attitudes revealed from both language teachers and students toward the use of such materials in language teaching. During interviews with a number of EFL professors in three public Universities, Belaid (2015) found that teachers possess positive attitudes toward using a variety of authentic materials in their classrooms. Some of them already used authentic materials in teaching English language. In one of the conducted interviews, one interviewee lecturer from the University of Tripoli revealed that he always uses authentic materials such as newspaper articles in teaching reading. He adds that such materials work on enhancing and intensifying learners' learning motivation. In addition, authentic materials unlike already prepared materials (textbooks) usually succeed in meeting learners' immediate needs and interests in L2 learning.

Another interviewee professor from Azzawia University referred to the significance of using authentic materials in teaching the speaking skills. She stated that authentic materials particularly audio-visual materials help in bridging the huge gap between the type of language used inside classrooms and that used outside in the real world. She stated that audio-visual materials assist foreign language learners become more familiar with L2 different accents and styles and unlike textbook materials which present new vocabulary and structures, authentic materials make learners more familiar with everyday language and phrases. Learners desire to understand television and radio programmes, and comprehend music lyrics and film materials as well. As a consequence, the integration of authentic materials would improve and develop learners' language proficiency within Libyan EFL learners. Soliman (2013) found almost the same encouraging results during his study on a number of EFL professors in University of Benghazi. His results revealed that his study participants prefer to use authentic materials in teaching readings to their students.

However, there is a crucial question that should be answered, which is how could authentic materials be integrated in EFL classrooms?. The researcher, with his cute interest toward using authentic materials in language teaching, will now turn to offer possible answers to such a question.

Integrating authentic materials in the Libyan 3rd level EFL programmes

Due to the enormous advantages of authentic materials in the field of language teaching, the researcher presumes that using authentic materials inside language classrooms would work on developing and enhancing learners' overall language proficiency. In order to achieve such desirable results, a number of steps should be taken to integrate such materials within the EFL curricula. These steps can be divided into two main types: (1)- Pedagogical, and (2) administrative steps:

1- Pedagogical Steps

a- The current EFL curricula should be adjusted, in which authentic materials (Audio-visual and printed) become a compulsory part in it;

b- EFL teachers should be instructed to use authentic materials on daily bases; particularly in teaching advanced readings and oral skills classes;

c- The idea of the flipped classrooms is currently very interesting. Students can plan, prepare, and discuss their own selected materials with their classmates. This may encourage students to more engagement and interest in EFL learning and contribute positively to their L2 proficiency. In addition, flipped classrooms work on shifting

classes from a teacher-centred into student-centred classes, since the former is the common style for the time being;

d- EFL teachers should concentrate on using modern effective and proven EFL teaching methods in which language classrooms become more like dialogues and information exchanges with their students rather than monologic ones, and aim to ensure that they develop and mature from school learners into life-long learners.

2- Administrative Steps

a- Effective implementation of authentic materials requires specific school facilities such as Overhead projectors, high-speed internet connection, and modern language laboratories;

b- Regular and collaborative workshops with language professors from different universities on how to effectively use authentic materials should be organised every year. Such workshops will work on exchanging experiences among language professors for more effective EFL results among Libyan language learners;

c- In such a digital era we witness nowadays, more attention should be paid toward making learners more digitally literate. This step would work on improving their familiarity with smart apps and may ensure their access to online authentic materials;

d- Ongoing training programmes for the in-service EFL and newly qualified lecturers are needed, in order to ensure remain up-to-date with modern and innovative educational practises.

Conclusion

The researcher, in this short article, endeavoured to reveal the most significant and relevant features of authentic materials' use in language teaching with a particular emphasis on the Libyan EFL context. Aspects like those may work as a preliminary point and a solid foundation for a total shift and improvement of the traditional EFL curriculums taught in language departments within Libyan universities with more developed and improved ones, in which authentic audio and visual materials become an essential part in the curriculum under investigations.

The researcher in the current time is also working on another research paper in which he endeavors to introduce short *YouTube* videos to EFL learners in three state Libyan universities.

REFERENCES

1- Adams, T. (1995). *What Makes Materials Authentic?* (ERIC Document Reproduction Service No. ED 391389).

2- Belaid, Abdulhakim, and Murray, Liam. (2015) Using Authentic Materials in the Foreign Language Classrooms: Teacher Attitudes and Perceptions in Libyan Universities. *International Journal of Learning and Development* 5.3. http://www.macrothink.org/journal/index.php/ijld/issue/view/404

3- Belaid, Abdulhakim (2016): The Localisation of the PARSNIP Model and Authentic Materials. Scholars' Press. Germany www.morebooks.de/store/gb/book/isbn/978-3-659-83703-6

4- Berardo, S. (2006). The use of authentic materials in the teaching of reading. *The Reading Matrix*, 6 (2), 60-69.

5- Deci, E. L., & Ryan, R. M. (1985). Intrinsic motivation and self-determination in human behavior: Springer Science & Business Media.

6- Eisenchlas, S. A. (2011). On-line interactions as a resource to raise pragmatic awareness. Journal of Pragmatics, 43(1), 51-61.

7- Elmojahed, A. A. (2007). The impact of using authentic texts on teaching reading in an EFL setting in an English department at a Libyan university. University of Newcastle upon Tyne.

8- Freeman, D., & Holden, S. (1986). Authentic Listening Materials. In S. Holden (ed.), Techniques of Teaching. *London: Modern English Publications*, 67-69.

9- Gardner, M. P. (1985). Mood states and consumer behavior: A critical review. *Journal of Consumer research*, 281-300.

10- Gilmore, A. (2007). *Getting Real in the Language Classroom: Developing Japanese Students' Communicative Competence with Authentic Materials.* (PhD) , University of Nottingham.

11- Gilmore, A. (2011). "I Prefer Not Text": Developing Japanese Learners' Communicative Competence with Authentic Materials. Language Learning, 61(3), 786-819.

12- Gonzalez, O. (1990). *Teaching Language and Culture with Authentic Materials.* (PhD dissertation), West Virginia University, , USA.

13- Guariento, W., & Morley, J. (2001). Text and Task Authenticity in the EFL Classroom. *ELT Journal, 55*(4), 347-353.

14- Hill, B. (1984). Using Television In B. J. (ed. (Ed.), *Using Authentic Resources in Teaching French* (pp. 34-43).

15- Hutchinson, T., & Torres, E. (1994). The Textbook as Agent of Change. ELT Journal, 48(4), 315-328.

16- Ianiro,S.(2007). Authentic Materials Retrieved from www.Calpro.online.org

17- Kienbaum, B. E. (1986). Communicative Competence in Foreign Language Learning with Authentic Materials. Final Project Report.

18- Kilickaya. F. (2004). Authentic materials and cultural content in EFL classrooms. The Internet TESL Journal, 10 (7). Retrieved November 1, 2006 from http://iteslj.org/Techniques/Kilickaya-AutenticMaterial.html.

19- Kim, D. (2000). A qualitative approach to the authenticity in the foreign language classroom: a study of university students learning English in Korea. Texas Papers in Foreign Language Education, 5(1), 189-205.
20- Krashen, S. (1982). *Principles and practice in second language acquisition*: Oxford Pergamon.
21- Littlejohn, A. (1992). Why are ELT materials the way they are. Unpublished PhD thesis, Lancaster University.
22- Martinez, A. G. (2002). Authentic materials: An overview. Free resources for teachers and students of English. *Karen's Linguistics Issues*, 1-7.
23- McCarthy, M., & Carter, R. (1995). Spoken Grammar: What is it and how can we teach it? *ELT Journal, 49*(3), 207-218.
24- McGrath, I. (2002). Materials Evaluation and Design for Language Teaching. Edinburgh: Edinburgh University Press.
25- McNeill, A. (1994). What Makes Authentic Materials Different? The Case of English Language Materials for Educational Television. Papers presented at the Annual International Language in Education Conference, Hong Kong.
26- Miller, L. (2003). Developing listening skills with authentic materials. ESL Magazine, 6 (1), 16-19.
27- Miller, M. (2005). Improving aural comprehension skills in EFL, using authentic materials: an experiment with university students in Nigata, Japan. Unpublished master's thesis, University of Surrey, Australia.
28- Mishan, F. (2005). Designing Authenticity into Language Learning Materials Bristol: Intellect.
29- Nunan, D, (1991), Language Teaching Methodology Prentice Hall.
30- Peacock, M. (1997). The effect of authentic materials on the motivation of EFL learners. *ELT Journal, 51*(2), 144-156.
31- Pinsonneault, B. C. (2008). *Authentic Input in Early Second Language Learning.* (Master of Arts), University of Massachusetts - Amherst.
32- Prabhu, N.S.(1989). Materials as Support; Materials as Constraint. Guide-lines A Periodical for Classroom Language Teachers,11(1).
33- Rogers, C. V., & Medley, F. W. (1988). Language with a purpose: Using authentic materials in the foreign language classroom. *Foreign Language Annals, 21*(5), 467-478.
34- Segni, Laamri, (2013) "Authentic materials: Towards a Rational Selection and an Effective Implementation." Faculty of Arts and Humanities Journal, Mohamed Khaeder University, Algeria.
35- Simpson-Vlach, R., & Ellis, N. C. (2010). An Academic Formulas List: New Methods in Phraseology Research. *Applied Linguistics, 31*(4), 487-512.
36- Soliman, E. M. (2013). Libyan teachers' Attitudes and Believes Regarding the Use of EFL Authentic Materials within Reading Lessons at Universities Levels in Libya. International Journal of Learning and Development, 3(5), Pages 121-129.

37- Swan, M. (1992). 'The Textbook: Bridge or Wall?'. Applied Linguistics and Language Teaching, 2(1), 32.
38- Swaffar, J. K. (1985). Reading Authentic Texts in a Foreign Language: A Cognitive Model.*The Modern Language Journal*, *69*(1),15-34.
39- Tamo, D. (2009). The Use of Authentic Materials in Classrooms. Journal of LCPJ, 2(1), 74-78.
40- Taylor, D. (1994). Inauthentic Authenticity or Authentic Inauthentic? . TESL- EJ, 1(2). Retrieved from http://www-writing.berkeley.edu/TESL-EJ/ej02/a.1.html.
41- Thanajaro, M. (2000). Using Authenitc Materials to Develop Listening Comprehension in the English as a Second Lnaguage Classrom. (Doctor of Philosophy), Virginia University.
42- Tomlinson, B. (2012). Materials Development for Language Learning and Teaching. Language Teaching, 45(02), 143-179.
43- Tomlinson, B., & Masuhara, H. (2010). Published Research on Materials Development for Language Learning. *Research for materials development in language learning: Evidence for best practice*, 1-20.
44- Vygotsky, L. (1978). Interaction Between Learning and Development. *Readings on the development of children*, *23*(3), 34-41.
45- Widdowson, H. G., & George, H. (1990). *Aspects of Language Teaching*. Oxford: Oxford University Press.

Reviewing some Second Language Acquisition Theories behind Learning and Teaching English Grammar

Dr. Abdussalam. S. Tantani , Faculty of Arts, University of Zawia.
E-mail: a_tantani@yahoo.com

Abstract

Second language acquisition theories are reviewed in this paper to provide teachers with useful information to help them with how they can take decisions in the teaching and learning of English grammar. However, there are many theories in second language acquisition, it could be said that there is no agreement on a "complete" theory of second language acquisition because each theory has its limitations. Second language acquisition theories at this time are considered as one of the most important sectors which influence learning and teaching grammar. Therefore, the whole impetus behind this work is reviewing the theories in order to change the teachers' practice in grammar classes. However, changing teachers' ideas does not always necessarily have the influence upon their practices.

Key Words: *first language acquisition, second language acquisition, grammar, learning, teaching, behaviourism, mentalism, cognitive.*

الملخص :

تتم مراجعة نظريات اكتساب اللغة الثانية في هذه الورقة البحثية لتزويد المعلمين بمعلومات مفيدة لمساعدتهم في كيفية اتخاذ القرارات في تدريس وتعلم قواعد اللغة الإنجليزية. وعلى الرغم من ان هناك العديد من النظريات في اكتساب اللغة الثانية، الا انه ويمكن القول بانه لا يوجد اتفاق على نظرية "كاملة" لاكتساب اللغة الثانية لأن كل نظرية لها عيوبها. تعتبر نظريات اكتساب اللغة الثانية في هذا الوقت واحدة من أهم العوامل التي تؤثر على تعلم وتعليم قواعد اللغة. لذلك، فإن الدافع الكامل وراء هذا البحث هو مراجعة النظريات السابقة من أجل تغيير ممارسة المعلمين في فصول تدريس قواعد اللغة. ومع ذلك، فإن تغيير أفكارهم ليس بالضرورة يكون له تأثير علي ممارستهم داخل الفصول الدراسية

1. Introduction

Second Language Acquisition is a central topic in many of the fields of activity related to human languages (Richards, 2003). Thus, this paper sheds light on how learners acquire a second language and how their teachers can help them to learn. Studies appeared in the Second Language Acquisition (SLA) field more than thirty years ago although all the previous studies confirmed that it is a relatively new field (Ellis, 1997). In order to understand the value of SLA theories effectively, Behaviourism, Mentalism and some cognitive theories which may help teachers to choose suitable approaches for teaching in general and grammar in particular are explored. The theorists have differing views about how we acquire and learn language.

2. The process of L1 acquisition

There are many stages that children pass through when learning their first language, and the stages have age and learning limits (Yule, 1996). Children all over the world mostly build up their language competence at the same age. With the development of their brains, children interact at their initial surroundings, and some knowledge of linguistics would enter into their mind from time to time. Children would pass through several stages, i.e. "caretaker speech", "pre-language stages", "the one-word or holophrastic stage", "the two-word stage" "telegraphic speech", "overgeneralization" and "overextension" (Yule, 1996: 177). They could master the fundamental part of their mother tongue around five. They acquire such a complex language system at amazing speed. All these stages having occurred means the children have developed their brains by exposure to their environment. Some knowledge of linguistics would help a teacher enter into their mind, and help them to pass through their stages of learning (ibid, 1996). At the native speech stage, when children are perhaps five years old, they have completed the basic acquisition process and become ready to start learning a second language.

3. The Process of L2 Acquisition and Grammar

Generally speaking, as a native language speaker and L2 learner at the same time, students do not hop directly from L1 to L2. Beliefs regarding several aspects of L2 acquisition such as target language difficulty (Diab, 2006) or the efficacy of grammar instruction (Loewen et al., 2009) appear to be influenced by the language being learned. There exists a language system between their L1 and L2. The language system is independent. It influences and is influenced by both L1 and L2. What L2 learners speak and write connects with this system. Above all, the language system will vary at different stages – this is interlanguage. "The overall knowledge that combines both the first language and the L2 interlanguage" is multicompetence (Cook, 2001: 16). Moreover, Ellis (1997) and others have agreed that, in practice, there are five stages of the learning process (input, intake, acquisition, access and output). These stages will be presented here in order to know how grammar is learnt and acquired.

3.1. Input

In general terms, input is considered as one of the main differences between first and second language learning. The term "input is used to describe the language that the learner is exposed to" (Yule, 1996:196). In other words, "Input refers to language sources that are used to initiate the language learning process" (Richards and Renandya, 2003: 153). This refers particularly to the quality and quantity of such input. It is clear that native language proficiency occurs entirely because children are among native speakers, and they hear and learn that language every day. Second language adult learners may only hear the target language inside the classroom, and perhaps for only a few hours a week. Moreover, learners will need more interaction and negotiated input to acquire focus on what is being said.

In part, input hypothesis has been developed by Krashen (1985) to explain how a learner acquires a second language. He said that a learner develops in the normal order. This happens when the learner receives input which is one step beyond the learner's current stage of linguistic competence (i+1). This is called comprehensible input. Regarding to acquiring grammar, Krashen (1994) stated that comprehensible input is necessary and important because if it is understood and there is enough of it that means the learners will acquire grammar automatically. Gass and Selinker (2001) defined input as little portions of language that are heard or read and that is considered as the most important part of the learners' current knowledge of the grammar of the goal language. Thus, information about grammar is automatically available because the input is understood in context – this is similar to the process of L1 acquisition, where "the child discovers, interprets and ascribes meaning through contextualised behavior" (Nemati & Taghizadeh, 2013:10).

3.2. Intake

"Intake is that part of the input that learners notice and therefore take into temporary memory. Intake may subsequently be accommodated in the learner's interlanguage system" (Ellis, 1994: 708). Intake is the information which is skimmed from input by the learner, and it is considered as a part of the input that learners notice and therefore take into temporary memory. Thus, it could be said that there is strong relationship between input and intake; this is confirmed by Richards and Renandya (2002) who argued that there are some important factors which affect how items pass from input to intake, such as complexity, saliency frequency and need. In terms of learning and teaching grammar and because input means data that the second language learner hears, VanPatten (1996) has researched the role of listening in the teaching of grammar and concludes that "only when input is easily understood can learners attend to form as part of the intake process" (p, 296).

3.4. Acquisition

McLaughlin (1987) built his definition of acquisition on Chomskyan theory (which is concerned with grammatical competence, as mentioned above) when he says that because of that theory "acquisition refers to ideal language learning unaffected by maturation, processing limitations, restrictions, and other cognitive and motivational factors" (p, 93). On the other hand, Ellis (1994) states that researchers have been unable to define the term 'acquisition' because it can mean many things, and he has mentioned that Krashen distinguished between acquisition and learning. Acquisition is the new information which may help learners to develop their systems or their interlanguage. "SLA research has demonstrated that learning is not a mirror of teaching. Learners do not pass from a state of not knowing a particular target structure to state of knowing and using it accurately" (Richards & Renandya, 2002: 159). They stated that a number of processes appear to be involved:

- *Noticing;*
- *Discovering rule;*
- *Accommodation and restructuring;*
- *Experimentation;*

These four processes are important and should be considered by teachers because all of them complement each other to make acquisition occur, although Ellis, (1994) says that "researchers disagree about what kind of performance they think provides the best evidence of acquisition" (p, 14).

3.5. Access

"Access refers to the learner's ability to draw upon his or her interlanguage system during communication" **(**Richards, 2003:160). It can be argued that successful access is dependent on the person's individual efforts in as much as the learner using the language improves his or her acquiring system to create output. On the other hand, Richards mentioned that there are some other aspects presented by Van Patten (1993) when he says that "Access may be 'totally, partially or not at all successful, depending on task demand, previous experience (practice) and other factors" (p, 436).

3.6. Output

Output is the last process of acquiring and learning a second language. It is defined as a “language produced by the learner” (Ellis, 1994:697). It takes place after all the other processes in the learner's mind and it can be described as a calculator which calculates what people collect from what they hear and the information they produce as the result or as a production. The most interesting thing related to the output process is that there are two opposing views about output. Krashen (1985) claimed that output is not essential to acquisition, whereas Swain (1985) has proposed that output is essential to acquisition. It "is more likely to facilitate acquisition when the learners are pushed, that is, required to reshape their utterances and to use the target language more coherently and accurately" (Richards & Renandya, 2002: 160). However, Krashen's point of view is different because output is important and a very essential process to second language acquisition otherwise, how can we know whether the learner acquired the language or not.

4. The psychology of language acquisition

Some psychologists and educators distinguish between learning a language and acquiring another language; that is to say, the mother tongue and the second language are not the same psychologically (Ellis, 1997). L2 learners would have to overcome the acquisition barriers (A.B.), affection filter (A.F.), positive transfer (P.T) and negative transfer (N.T.) of their mother tongue in learning. They would receive foreigner talk (F.T), negotiated input (N.I.), etc. The communicative competence (C.C.) and applied linguistics (A.L.) would hopefully be the output (Yule, 1996). The centre of the process is the L2 learners' interlanguage which is defined by Ellis (1994) as "the mental processes responsible for L2 acquisition" (p, 350). Therefore, learners would overcome their acquisition barriers, such as affection filters and negative transfer, by focusing on some helpful and very important transfers from first language to second language. It is believed that the best time for L2 learners to start L2 learning is from the age of 10 to 13. During this age, the learners are old enough to convey the knowledge of their mother tongue and other life experience to L2 acquisition with less acquisition barriers (Yule, 1996).

Furthermore, before L2 acquisition, L1 has been built up in L2 learners' mind. From this point of view, the L2 learning is only learning to do the same things in a new way. So the L1 would have important impact on L2 learning. "The L1 helps learners when it has elements in common with L2 and hinders them when they differ" "So our beliefs about how children learn their first language cannot be automatically transferred to a second language; some may work, some may not" (Cook, 2001: 14). The one which works is positive transfer and the one which doesn't work is negative transfer.

Moreover, it could be said that also motivation is crucial in learning. According to Yule, (1996) the motivation to learn is very important. Indeed, we might say it is essential to learning. Children learn their mother tongue with high motivation. The native language is the necessary and handy way to interact with other people. Life becomes easier for them with the language competence. By contrast, L2 learners always have different desire in learning as they have different needs. Ellis, (1997) argued that second language learners have more problems than first language learners in acquiring a language, because the mother tongue and the second language are not the same in that the first language is learnt automatically, whereas the second language is not. Those who tend to become one member of L2 community will probably achieve more than those who aim to get a better job. Moreover, L2 learners' motivation would vary at different stages. Accordingly, it can be argued that L2 learning is a formal, well-organized and integrated system which is affected by the learners' interlanguage and psychology, while the L1 acquisition takes place naturally, effectively.

5. Second Language Theories behind the Practice

In general terms, there are numerous theories in second language acquisition which encourage acquiring and learning through practice. However, only Behaviourism, Mentalism, Krashen's theory and some of Cognitive theories such as McLaughlin's Information Processing Model and Consciousness-Raising are reviewed. Lightbown and Spada (1999) believe that "knowing about the development of learner language helps teachers to assess teaching procedures in the light of what they can reasonably expect to accomplish in the classroom" (p, 71).

5.1. Behaviourism

The Behaviourists say that learning equals a change in behaviour. This means that children acquire their L1 through hearing the language by which they are surrounded; then they imitate the sentences they hear, practise them, and receive feedback from the people around them. The Behaviourists place greater weight on habit formation than on an understanding of the essential rules of a language. They believe that grammar should be taught through drills and memorization, from which students are expected to establish correct grammatical behaviour (Krashen & Terrell 1985:14). It stems from work in psychology, which saw the learning of any kind of behaviour as being based on the nations of stimulus and response. The response they give to such stimuli will be reinforcements of success. Furthermore, Mitchell and Myles (2004) stated that Behaviourists also say that if the structures in L2 are similar to those of the L1, then learning will take place easily. If, however, the structures are realized differently in the L2 and the L2, then learning will be difficult. "Learning took place when learners had the opportunity to practise making the correct response to a given stimulus" (Ellis, 1997:31). Therefore, they considered that learning would take place by imitating and repeating the structures from time to time. Ellis added that Behaviourism cannot adequately account for L2 acquisition and learners frequently do not produce output that simply reproduces the input. Thus, teachers needed to focus their teaching on structures which were believed to be difficult and which were difficult in the L1 and L2.

Teaching and the implications of this theory are summarised by Mitchell and Myles (2004) when they say that learning takes place by limitation and repetition of the same structure time after time. That means that practice is very important in Behaviourism theory. Therefore, teachers should focus their teaching on structures which were believed to be difficult because difficult structures would be different in L1 and L2 language. However, some studies suggest that initial hands-on experience in teaching an L2 precipitates a shift in teachers' beliefs about L2 acquisition (Busch, 2010), while other studies (Çapan, 2014) have reported less change. Thus, this theory was attacked by other linguists because they see that "structural linguistics, which was based on the description of the surface structure of a large corpus of language, to generative linguistics that emphasized the rule-governed and creative nature of human language"(Mitchell and Myles, 2004: 32). This approach "failed to account for the abstract nature of language, for the child's creativity, and for the interactive nature of language acquisition" (Brown, 2007: 24). Noam Chomsky a mentalist was the first linguist who criticized Behaviourism theory because he has

different ideas about how language is learnt. Since that time he has discovered and built some new theories which are described by some other linguists as Chomskyan revolution. Moreover, Johnson (2004) stated that "Behaviorism undermined the role of mental processes and viewed learning as the ability to inductively discover patterns of rule-governed behavior from the examples provided to the learner by his or her environment (p. 18)".

5.2. Mentalism

In contrast, Mentalism linguists such as Chomsky considered that the Language Acquisition Device (LAD) and UG are both concepts initiating knowledge or "little black box" as theories of Language Acquisition (Brown, 2000: 24). The LAD is defined as "a biologically determined period of life when language can be acquired more easily and beyond which time language is increasingly difficult to acquire" (ibid, 2000: 53). Ellis (1994) also stated that the LAD will work successfully only if it is activated at a certain time. Brown (2007) argued that the Language Acquisition Device (LAD), is internal mechanism enables the systematic perception of language: identifying speech sounds; categorising linguistic data and refining these classifications over time; establishing acceptable linguistic structures and those which deviate from them; and continually streamlining the details of the emerging language system. Chomsky stated that all human beings already have an innate knowledge of grammar as a competence and then performance. Mitchell, Myles (2004) stated that, by competence, Chomsky is referring to the abstract and hidden representation of language knowledge held inside our minds whereas performance is the data that people have produced.

The second theory which is mentioned by Chomsky is the universal grammar which is based on principles and parameters; he says that we are born with an innate knowledge of certain universal structures through access to Universal Grammar. Richards and Renandya (2002) stated that Universal Grammar theory suggests that "learners are learning aspects of grammar that we are not teaching them and that they have unconscious knowledge of grammar systems which we, as teachers, are often unaware of" (p.159). Chomsky argued that learners are able to produce and understand language structures and his theories are focused on the understanding of grammar in a formal manner as Syntactic Structures of the language.

After that, in the 1960s, he extended to transformational-generative ideas which have contributed to English Language Teaching and they are considered a cognitive approach which requires a return to the deductive teaching of grammar. It could be said that mentalism was a mixture of transformational grammar and psycholinguistic theory.

It is interesting to note that Behaviourist and Mentalist theories have different views about how grammar is acquired and learnt. Behaviorists such as Skinner considered language learning is seen as like any other kind of learning, as the information of habits. This means that grammar is acquired and learnt by teaching through classroom practice. However, Mentalists such as Chomsky say that the child already has some knowledge of grammar and it is not necessary for that to be taught. These disagreements lead us to explore the differences between

L1 processes and L2 language acquisition processes briefly to check whether this difference will affect teachers' knowledge when they deal with students inside the classroom. However Ellis (1994) stated that in the field of SLA, linguists have agreed that the acquisition of second language grammar is like the acquisition of the first language grammar because both occur in stages. This is true but it can be argued that those stages are different between L1 and L2 in terms of how we process them.

5.3. Krashen's Theory

Krashen (1985) defines a Monitor as one that edits language usage and he said that language acquisition is not innate as Chomsky said: it needs to be learned. He stated that people acquire second language structures if they achieve comprehensible input and their affective filters are low. Krashen's theory is considered as a theoretical base for the natural approach and, its affects on the second language acquisition field. Mitchell and Myles (2004: 44) stated that Krashen, in his theory which evolved in the late 1970s in a series of articles and was expanded in the early of 1980s in a series of books, based his ideas on five basic hypotheses:

The first hypothesis is the acquisition-learning hypothesis. The basis of this hypothesis is that acquisition and learning and are considered different. In this theory, learning is defined as knowledge about language whereas acquisition is defined as the unconscious process of using the language through social communication. Krashen (1985) stated that acquisition here refers to the implicit knowledge we have of a language, whereas learning refers to explicit knowledge *about* a language. I think what is also very problematic is that Krashen's statement that learning can not turn into acquisition and he considered that learners will learn the rule, but not acquire it. Krashen (1983) claims that it is not only children who can acquire language but also adults have the ability to acquire a second language and he considered his theory should be accepted as having an impact on second language research and teaching since the 1980s.

The second hypothesis which is considered by Krashen is The Monitor Hypothesis. In this hypothesis Krashen (1983) used the concept of the Monitor in order to explain individual differences between learners. He says that learners use the monitor only when they know the rules and have the time to find them. It could be said that when students learn a second language the monitor will develop automatically because the monitor is like a machine that notices errors in order to make corrections of incorrect sentences. In this case the monitor will guide the learner and will control the learners' mind to decide which is correct and which is incorrect when they are going to produce the grammar because the sentence is started by the acquired system.

The third hypothesis is The Natural Order Hypothesis. In this hypothesis, Krashen (1983) has stated that there is a particular order, which is called the natural order hypothesis. It is controlled by the students when they acquire the rules of language. This theory considered that the learners will master grammatical structures in a specific, inflexible order during L1 or L2 acquisition. In terms of how this hypothesis will work in the classroom, learners would require second language to try to find patterns from the input they hear and/or

see but learners will work through steps to have control of the language structure. It does not matter whether learners learn easy rules first or difficult rules first in terms of acquiring grammar. Tomasello and Brooks (1999) stated that the oral presentation of a grammar concept "is superior to a deductive one for the teaching of certain grammatical structures to beginning foreign language students" (p. 713).

The fourth hypothesis is the Input Hypothesis. Krashen (1982: 33) believes that "comprehensible input and the strength of the filter are the true causes of second language acquisition". In this hypothesis Krashen says that language is acquired when learners understand messages. These messages could be built on what the learners have seen or heard to get the meaning of the messages. VanPatten (1996) calls this "meaning bearing learner hears or sees that is used to communicate a message" (p. 5). There is usually a silent period and "speech will come when the acquirer feels ready. The readiness state arrives at different times for different people" (Krashen, 1994: 55). In terms of teaching and learning in the classroom, this hypothesis would require careful speech and usage of different teaching techniques to connect to comprehensible input.

The fifth Hypothesis is The Affective Filter Hypothesis. Krashen (1985) believes that the Affective Filter Hypothesis is important because it can explain why some adults, while exposed to ample comprehensible input, still do not attain high levels of competence. Affect is defined as "the effect of personality motivation and other 'affective variables' on second language acquisition" (ibid, 1994:57). He applies this theory to language learning to check how it may influence second language acquisition through focusing on emotional stress. That means the affective filter will influence people's high or low motivation because if the person has high anxiety but lower motivation, the affective filter will be higher and does not provide the learner with "subconscious language acquisition" (Krashen, 1994: 58).

5.4. Cognitive Approach

There are number of theorists who are known to have given and attention to cognitive theories, such as Krashen, (1982, 1985); Ellis (1997); VanPatten (1996) and Schmidt (2001). All of them contributed to the second language acquisition field. Cognitive psychology provides generally good information about how important it is to apply the learning processes of second language learning in general and learning or acquiring grammatical structures in particular. Therefore, teachers of a second language should know how learning grammar takes place in order to help learners control the central aspects of the process of learning. In addition, teachers should know that the explicit knowledge of grammar could lead to the learners' inability of using the language unless it is used to interact and communicate with other people. Therefore some cognitive theories will be presented.

5.4.1. McLaughlin's Information Processing Model

Mitchell and Myles (2004) argued that this model considered that language learning is a language skill. Ellis (1994) stated that this theory was presented by Barry McLaughlin in the late 1980s. According to this model, learning a L2 is, in fact, learning skills. This task entails controlled processing, automatic processing and, as performance improves, constant restructuring of language. In this model Mitchell and Myles (2004, 18) stated that people should go to the three processes if they are learning a L2:

1. *Controlled processing. (Learning happens in the early stage).*
2. *Automatic processing. (In this stage, learning happens in short memory).*
3. *Restructuring /correcting reorganizing. (In this process, the learner knows the structure of the language well enough to become like a native speaker).*

The language which has been produced in the short-term memory would be transferred to the long memory. Furthermore, in automatic processing, learning happens in the later stage. Also, access in the long-term memory is easier than in short memory. This theory has three characteristics: processes take time, the mind is a limited-capacity processor and complex behaviour is composed of simpler processes.

Mitchell and Myles (2004) stated that when applied to the second language learning, second language is viewed as the acquisition of a complex cognitive skill. That means to learn L2 is to learn a skill, because various aspects of the task must be practiced and integrated into fluent performance. In terms of how to apply this model to a second language we will note that learners first resort to controlled processing in the L2 and, through repeated activation, sequences first produced by controlled processing become automatic. This continuing movement from controlled, to automatic processing results in a constant restructuring of the linguistic system of the L2 learner.

This model has limitations, such as it does not give us linguistic description and it considers language learning in a vacuum in the sense that it takes the human brain as an isolated processor of language information which does not interact with other dimensions of language acquisition. It could be said that it focuses on the individual and not on the learner as a social being. Also the result of studying language learning inside the laboratory may be quite different from the result of studying it in real life situations.

5.4.2. Consciousness-Raising Approach

Both in the past and present, has considered that the teaching of grammar has been considered an essential part of language teaching and includes grammatical consciousness-raising (Ellis, 1997). It is an approach to teaching grammar. Consciousness-raising is a development from Krashen's Input Hypothesis, claiming that comprehensible input is necessary but not sufficient for SLA to take place. Consciousness-raising is often claimed to hold a middle-ground position between two extreme approaches to teaching L2 grammar (Yip, 1994). It is an "approach which is contrasted with traditional approaches to the teaching of grammar, in which the goal is to instill correct grammatical patterns and habits directly (ibid, 1994).

As recent developments show, consciousness-raising is getting more attention in grammar teaching than before. Through consciousness-raising activities, learners become aware of language features, are encouraged to think about language and to draw their own conclusions about how the language works (Willis & Willis, 1996). The notion of consciousness-raising as a type of form-focused instruction designed to make learners aware of a specific linguistic feature and he summarizes his idea by saying that direct instruction can help in many ways: for example, it may improve language accuracy, facilitate interlanguage development, and destabilize interlanguage grammars that have fossilized (Ellis. 1997). However, there are constraining factors such as the nature of target structures and learners' stages of development.

Thus, it can be argued that there are many techniques in the consciousness-raising on hand to raise awareness with many focusing on the relationship between form and function and those techniques are good for learners. Moreover, learners would receive support to shape hypotheses about the language connecting what language they have already acquired with the new aspects of language.

6. Conclusion

This paper confirms the importance of reviewing some second language acquisition theories. Each theory reviewed offers a different insight in the complex process of second language acquisition. Although, there are many challenges may encounter L2 learners, it is impossible to avoid teaching grammatical rules and structures entirely because transferring sometimes produces negative results, especially when people are communicating. Learning English grammar and structures are important but may create confusion for some students when they learn a second language; the rules and structures are different between languages, so teachers should help students' understanding by focusing on the nature of language and use metalanguage to help to make the picture more clearly to their students. Researchers found that some knowledge of first language acquisition would help accelerate second language learning. Therefore, teachers should consider some issues when they teach English grammar as the second language.

7. Implications and Recommendations

- Exploring these theories may prove helpful in bringing about a positive change for both teachers and students in the classroom. It is also enhanced by the dearth of such research in Libya.
- Identifying the strengths and weaknesses of second language acquisition theories may improve and support teachers' practice inside classrooms and offers some other new areas to investigate with regard to teaching and learning English language grammar.
- The second language acquisition theories reviewed in this paper will pay attention to different aspects of the second language acquisition process because this paper have provided valuable background and hypotheses for numerous research studies.

- This paper will be helpful for teacher educators to recognize if teacher education programs were built on a well-defined theoretical perspective. Teachers will recognize the theoretical level of their outputs so as to review their practices; then, they will increase their focus on empowering the relationship among these variables for future teachers.
- The study also will help interested Libyan educators to know to what extent their recommendation is valid in the present time before suggesting an essential change by organizing some sessions for secondary schools or university teachers.
- In addition, this study may contribute in finding good ways that help learners integrate instruction on problematic grammar forms within communicative framework.
- Finally, it may open some doors for other researchers to explore the field of teaching and learning English as a second language in Libya or elsewhere.

References

Brown, H. D. (2007). *Principles of Language Learning And Teaching*. White Plains, NY.: Addisonb Wesley Longman.

Busch, D. (2010). Pre_service teacher beliefs about language learning: The second language acquisition course as an agent for change. *Language Teaching Research*, 14(3), 318_337.

Çapan, S. A. (2014). Pre_service English as a foreign language teachers' belief development about grammar instruction. *Australian Journal of Teacher Education*, 39(12), 131_152.

Diab, R. L. (2006). University students' beliefs about learning English and French in Lebanon. *System*, 34(1), 80-96.

Chomsky, N. (1981). *Lectures on Government and Binding*. Dordrecht: Foris.

Cook, V. (2001). *Second Language Learning and Language Teaching*. 3rd ed. Oxford: Oxford University Press.

Krashen, S. (1983). *Principles and practice in second language acquisition*. Oxford: Pergamon.

Krashen, S. (1985) *The Input Hypothesis*. London: Longman.

Krashen, S. D. (1987) *Principles and Practice in Second Language Acquisition*.

Krashen, S. D., & Terrell, T. D. (1983). *The Natural Approach*. Oxford: Pergamon/ Alemany.

Krashen, S. (1994). The input hypothesis and its rivals. In Ellis, N. (Ed.), *Implicit and explicit learning of languages*. London: Academic Press.

Ellis, R. (1994) *The Study of Second Language Acquisition.* Oxford: OUP:

Ellis, R. (1997) *Second Language Acquisition.* Oxford: Oxford University Press.

Gass, S. M & Selinker, L. (2001). *Second Language Acquisition: An Introductory Course*, 2nd ed, Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

Johnson, M (2004) *A Philosophy of Second Language Acquisition*, Yale University Press, New Haven,

Lightbown, P. and Spada, N. (1999) *How Languages are Learned*. New York: Oxford University Press. Second Edition.

Loewen, S., Li, S., Fei, F., Thompson, A., Nakatsukasa, K., Ahn, S., & Chen, X. (2009). Second language learners' beliefs about grammar instruction and error correction. The Modern Language Journal, 93(1), 91-104.

McLaughlin, B. (1987) *Theories of Second Language Acquisition.* London: Edward Arnold.

Mitchell, R and Myles, F (2004) *Second Language Learning Theories*, 2nd Edition, Arnold, London.

Nemati, M., and Taghizadeh, M. (2013). Exploring Similarities and Differences between L1 and L2. *International Research Journal of Applied and Basic Sciences*, *4*(9), 2477-2483.

Nunan, D. (1991) *Language Teaching Methodology.* New York: Prentice Hall.

Richards, K. (2003). *Qualitative Inquiry in TESOL*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Richards, J. C., & Renandya, W. (2002). Methodology in language teaching.Cambridge: Cambridge University Press.

Schmidt, R. (2001) Attention. In P. Robinson (ed.), *Cognition and second language instruction* (pp. 3–33). New York: Cambridge University Press.

Tomasello, M. & Brooks, P. (1999). Early syntactic development: A construction grammar approach. In M. Barret (Ed.), *The Development of Language*, 116-90. Hove: Psychology Press.

VanPatten, B. and Cadierno, T. (1993) Explicit instruction and input processing. *Studies in Second Language Acquisition*. 15/2, pp.225-261.

Yip, V. (1994) Grammatical consciousness-raising and learn ability. In Odlin, T. (ed.) *Perspectives on Pedagogical Grammar.* pp.123-139. Cambridge: CUP.

Yule, G. (2006) *The Study of Language*, 3rd ed. Cambridge: Cambridge University Press.